رفع
عبد الرحمن الفجر
(أسس وطرق إلزام)
www.moswarat.com
أيام لا تنسي
صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

تاليف
تامر بدر
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
2011

دار الكتاب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

بحر، تامر
أيام لا تنسي/ تامر بدر
القاهرة: دار أفلام للنشر والتوزيع والترجمة، 2011
240 ص
1- التاريخ الإسلامي
953

رقم الإبداع: 2011/2238

مركز السلم للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر

أفلام
www.aqlamonline.net

ش بورسعيد - السيدة زينب القاهرة
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..
إلى الإخوة الكرام في المكتبات والمطابع في مصر وغيرها وفقهم الله ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
وبعد ..

أسأل الله لي و لكم التوفيق والسداد الدائم .. آمين ..

و لما كان كتابي : "أيام لا تنسى .. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي" يحتوي على صور وخرائط و توضيحات و طباعته هذه الصورة، وبوجودة عالية، يضمن بقاء الفائدة والانتعاب به، بإذن الله ..

فإني أُفيدكم بأن كتابي : "أيام لا تنسى .. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي"، حقوق طباعته ونشره لندا (أقام) فقط، أو من يُحولون هم بالطباعة والنشر في مصر أو غيرها، بشرط أن يُداع الكتاب بسعر مخفض؛ وذلك أن تنازلت عن حقوق المؤلف في سبيل بيعه بسعر لا يشتهى على طبعة العلم، ومن يُريدون إهداؤه وتوزييع خيريًا، وهذه الحقوق حصرية لهم لمدة ثلاث سنوات فقط من تاريخ هذه الورقة ..

أسأل الله أن يدفع به، ولا يحرمنا جميعًا الأجر والثواب ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كتبه / تامر بدر
القاهرة 26 محرم 1432 هـ
1 يناير 2010 م
إهداء
إلى الذين يجاهدون بأموالهم وأبنفسهم؛ كي تقف هذه الأمة
في مكانها الصحيح، وكي تؤدي دورها الصحيح.
إلى الذين يجاهدون بأموالهم وابنفسهم؛ كي يحرروا أراضي
المسلمين المحتلة.
إلى الذين ضحوا بأموالهم وابنفسهم ل سبيل رفع راية الإسلام
في مكان.
إلى من قاد الجيوش وقادته سبيل الله لتكون كلمة الله
هي العليا.
إلى من قاد الجيوش وقادته سبيل الله كي يصل
الإسلام إلينا.
إلى مسلم حريص على إعزاز دين الله ونصرته.
إلى العلماء العاملين، والدعاة المحاربين، وطلاب العلم
المجتهدين، وابناء الأمة الغيورين.
إلى صالح الذين وحد المسلمون، وقاد الجيوش، وذر迫切
 وسلم، وحرر الأقصى من الصليبيين.
إلى كل من يريد تحرير بيت المقدس من اليهود.
إليكم، وحدهم أُهدي هذا الكتاب سالًاً، المولى وبأسمائه
الحسنى وصفاته العالاً أن يكون خالصًا لوجهه الكريم.
عنوان التاريخ الإسلامي كثيرًا من الإهمال على مدار السنوات والقرن، وكانت النتيجة أن عبث كثير من المستشرقين والمسيحيين في هذا التاريخ، وبالتالي خرج لنا التاريخ بصورة مغيرة كثيرًا عن الحقيقة، والآخرين من ذلك أن الدروس والعبور تأهت وسط هذه التحريرات، فصار التاريخ دراسة أكاديمية لا معنى لها للقراء، ومن ثم عرّضوا قراءته، وأعرضوا عن دراسته.

 وإزاء هذا الوضع السابق كان لا بد لبعض المخربين أن ينتفضوا لنجدتها هذا التاريخ الطويل، بل لنجدة الشاب المسلمين الذي هدث على العثور على مصدر مناسب ومأمون يقرأ فيه تاريخ الأمة، بل لا أبالغ إن قلت: إن العالم أجمع -سلامًا كان أو غير مسلم- يحتاج إلى هذا التاريخ الإسلامي المجريد، فلم تعرف الدنيا روعة ولا إهابًا مثل التي وجدناها في تاريخنا العظيم.

 والكتاب الذي بين أيدينا نوع من هذه التجدات!

 إنه كتاب قيم يجمع في براعة فائقة عددًا ضخماً من الأيام الفاصلة في تاريخ الأمة الإسلامية، ومع ذلك فإن هذا الجمع الهائل لم يستثن في ضخامة ملائمة في عدد الصفحات! كما يُبين عن إتقان متميز من مؤلفه في انتقاء المفيد من كل معركة، وللهم من كل شيء، ولعل هذا من أبرز ما يميز هذا الكتاب عن غيره، حيث تُميز المؤلف بقدرة بارعة على الاختصار والتركيز، حتى لتشعر أنك قرأ أربع أو خمس صفحات عن موقعة هاتفية أنك قد ألنت بكل شيء، ولا تحتاج إلى معلومات أخرى، بينها المتخصصة يعرفون أن المؤرخ يمكن أن يكتب مجملات كاملة عن مثل هذه المعارك.

 وتميز هذا الكتاب كذلك بتجويهه في خفة بين مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة.
فهو يبدأ من العهد البوبي، ثم يقفز في سرعة مناسبة بين العهود التاريخية المختلفة؛ كالعهد الراشدي والأموي والعبيدي والأموي وال гаранقي والعثوبي، ولا يُغلق التجوال كذلك جغرافياً في جزء العالم المختلفة؛ فيصل إلى الشرق ويتخذ عن معارك الهند، ويغادر الشرق إلى الغرب فيصف معارك الأندلس!

ويُميز هذا الكتاب كذلك أنه تحدث عن معارك كثيرة لا يعرف كثير من المسلمين أي تفصيلات عنها، بل لا أبالغ إن قلت: لا يعرف المسلمون اسمها! ويكتفي أن أشار -مثلًا- إلى معارك عين النمر، وفتح الدبيل، ومعركة طالاس، وفتح سومات، ومعركة نيكوبوليس، ومعركة موهاكس، وغير ذلك من معارك اندرس ذكرها، وعلا الغبار على صفحاتها، حتى جاء هذا المؤلف بأمانة وحرص يكشف النقاب عن هذه الأيام الفاصلة.

وفوق كل ما سبق فإن هذا الكتاب القيم يتميز بأمرين انفرد بهما عن كثير من المؤلفات التي ملأت المكتبة الإسلامية، بما يجعله فريدًا في مجاله...

أما الأمر الأول: فهو عدم اقتضره على انتصارات المسلمين، بل ذكر بحباية جميلة، ودقة باللغة للفتك الكبرى التي هُزم فيها المسلمون! مثل معركة أحد، ومعركة بلاط الشهداء، ومعركة العقباب، وغيرها من الهزائم، وهذا في الواقع ذاتي واضح من المؤلف؛ حيث يُبرز للقارئ أمانته في عرض الأحداث، ويؤكد على أن الأيام دول يُهم الأمام، كلا لا يحرم القراء من الاستفادة من الدروس المهمة في هذه المعركة.

والأمر الثاني: هو أن المؤلف لم يقف عند سرد الأحداث كما يفعل كثير من المؤلفين، إنما تعين في الأمور، وبحث عن عوامل النصر، وعن أسس الهزيمة، فيخرج القارئ للكتاب بحصيلة وافرة من أسابق قيام الأمم أو سقوطها، وتحقق بذلك الهدف من قصَّة القصة؛ كما بين لنا نموذجَ عندمَا قال: «لَبَقَّ كَانَ فِي قَضِيَصَهُمْ عَيْرَةٌ لَّأُوْلِي الأَلْبَابِ» (يُوسف: 111). والحق أن المؤلف صاغ كل ذلك بحربة عالية متميزة.
وأخيراً:

فإن هذه الخيرية من المؤلِف لم تمنع أسلوبي منه أن يكون رقيقا جيلاً، فاجأت عبارات الكتاب رشيقا، وكلماته بديعة، وطريقة عرضه سلسه ممتأنة، مما أضفى على الكتاب بها ورونقًا.

إنني وإن كنت أعلم أن هذه هي المحاولة الأولى للمؤلِف في الكتابة العسكرية، إلا أنني على يقين من أنها ليست المحاولة الأخيرة أبدًا، فمعارك التاريخ الإسلامي وتفصيلاتها تحتاج إلى مئات المجلدات، وآلاف الشروح والتحليلات.

جزى الله الأستاذ تامر بدر خير الجزاء عن جهده الواعف، ونصيحتي إليه أن يُجدِد النية دوماً مع كل كتاب، حتى يكتب الله لكتبه الانتشار، ويكتب له الأجر الجزيل والثواب العظيم.

وأسأل الله أن يُعز الإسلام والمسلمين.

أ. د. راغب السرجاني
www.moswarat.com
بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيناثي أَعْلَانَا، مِنْ هَذِهِ اللَّهُ فَلا مُضَلُّهُ، وَمَنْ يُصَلِّ فَلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله،
واحمده الله مُعزُّ مِنْ أطاعه واتَّقاه، ومذلٌ مِنْ خالف أمره وعصاء، قاهر الجابرة،
وكاس الركاسة، لا يذلُّ مَنْ وَالاه ولا يعزُّ مَنْ عاداه، ينصر مَنْ نصره ويُغضِب لغضبه،
ويرضى لرضاه، يوحده سببه، وشكره جدًا وشكره يملؤان أرضه وسماه، وأشهد أن
سعيدنا ونبينا محمدًا عبد ورسوله وخيرته من خلقه ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك
عليه، وعلى آل واصحابه والتابعين، وكل مَنْ نصره ووالاه،
وعدل...
إن الحرب أمر بَيْن علي عليه نظام الكون لا مفر منه، والمتسامح العفو لا بدَّ أن يجد
نفسه يومًا مضطراً لحمل راية الحرب وإن لم يرغب في ذلك، بل وإن مكارم الأخلاق
تحت جميع على غير المسلم أن يقف مقاتلاً، ويرى أن قتل الآخر شرف لا يدنئه شرف;
إن كان هذا الآخر قد دَنَّس العرض أو سعى في الإساءة للمعتقد أو انتهاك الحرمات،
ولن يكون الكفُّ والإعراض من مكارم الأخلاق حينئذ.
وإذا كانت حروب النبيين السابقيين قد اختفت في ظلات الحقب وطيات التاريخ؛
فإن حروب سيدنا محمد ﷺ مسجلة في سجل الخلق، ثابتة هادية مشردة، معناء أنها
الحرب الفاضلة حقًا وصداقًا، فلم يكن الرسول ﷺ يقاتل الشعوب، بل كان يقاتل
فقط المنكرين المتغطرسين، الذين يقودون القوى إلى الاعتداء، والذين يصدون الدعوة
إيام لا تنسي. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

إلى الله，则 كذلك لم يكن النبي الكريم يُبِّيِح قتال أحد لا يُقاتل، وليس من شأنه أن يُقاتل وليس له رأي في الحرب؛ فتنهي النبي ﷺ عن قتل النساء والعبيد والذريّة والشيوخ الذين لا رأى لهم في الحرب.

إن الحرب الإسلامية وما اشتملت عليه من قواعد وأحكام تمنع إتلاف الزرع والشجر وتخريب العمران؛ لعلهم الناس أنها شريعة تستمد نظمها من السياق، لا من قوانين الغابة في الأرض، ولا من تُحَكَّم القوي في الضعيف، بل هي في جُلُّ أحواضها لنصرة الضعفاء، وحاميةهم من الأقوياء؛ كما جاء في القرآن الكريم: «وَإِنَّما يَمْنَعُ عَلَى الْمُؤَاذِينَ اسْتَضْعَافُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَجْرِيعُهُمْ أَيْمَةً وَتَجْرِيعُهُمْ الْوَارِثَيْنَ» (القصص: 5). ولم يعرف التاريخ جيوشًا رفيعة بالأسرى كجبير المسلمين الذين اتبعوا أمر دينهم؛ ولذا حرص على الصلاة والسلام على الرفت بالأسرى فقال: «اسْتَوْضَعْوا بالأُسْلَامَاءِ»(1).

وجِهنُ نظر المرء نظرةً لواقعنا، ويقارن بإيضانا يتحسر، يتحسر يوم يرى تلك الأمة.

وقد كانت قائدة، وإذا بها قد أصبحت تابعة.

والأمة اليوم بحاجة ماسةً إلى أن تعود إلى النهج النبوي والسيرة النبوية؛ لأخذ الدروس والعبر النورات المباركة، وتتعلم منها الأداب الرحعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الأخلاق، وظهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله.

وإذا تجاوزنا ما قدَّموه المسلمون من إسهامات، وأفكار، خطط وأسلحة مبتكرة، وأدوات حرب، ووقننا أمام أنصهر وأعظم إنجاز حربي قدمه المسلمون للعالم ودنياهم، حتى وإن طلُّ أعداء الإسلام يعترونهم سقطة تاريخية من وراء حقد دفين، فإنها الفتوحات الإسلامية للبلدان، فكم حرَّر الإسلام من شعوب عاشت تحت نير طغيان

(1) آخرجه الطبري في الكبير (18829)، وفي الصغير (409)، وقال الذهبي: رواى الطبري في الصغير والكبير. وإسناده حسن: مجموع الروايات 110/2.
مقدمة

حكامها، وقهرهم وتخيمهم!! ويكفي ما كان يُبديه الإسلام في نقوحاته من معاملة طيبة لأهل الكتاب؛ ليتعرف العالم على السِّبب الذي يجعلنا نُعَتَّى هذه الفتوحات إنجازات إنسانية قبل أن تكون إنجازات حربية؛ لقد استطاع المسلمون نشر دينهم بالفتوحات بأقل عدد من القتلى على الجنائيين، ولو خُيلت شعورًا مثل: مصر، ليبيا، والمغرب، وغيرها من دول شمال إفريقيا أنفسها بدون فتح إسلامي لصار مصيرهم في أيدي الاستعمار، وبُدْدَى الثروات، وغاصبى الأرض، الذين ما كانوا يُعَسُرون ضد شعوبهم سوى العنف والقهر والعمل بالسخرة إلى أن جاء الإسلام، ورغبته به الشعب من أجل الإنقاذ، فجاهم الإسلام وقُدِّم مبادئه التي لا يختلف اثنان على موضوعيتها وسماحتها.

يجب على الشعوب الإسلامية أن تدرس وتتعرّف على هذا التاريخ العظيم لأمّتنا الإسلامية؛ كي تستعيد مجدها الغائب، وتعرف لماذا التصرنا وفتحنا البلدان وخشيتنا منا الأعداء، ولما ازدهرتنا واستعمرنا ونجزا علينا الأعداء؛ لذلك فقد حاولت قدر استطاعي أن أُبرز في هذا الكتاب أهم المعارك العربية الإسلامية التي غيّرت الحريطة السياسية هذه الأمة عبر العصور. فأرجو أن يكون ما كتبته نموذجًا لما أصبو إليه وما يطلع إليه الدارسون في دراستهم أحدث تاريخنا العسكري.

ولست بمستغنٍ عن أي ملاحظة تستدُّ نقصًا هو من طبيعة عمل البشر، والشطر أُقدِّمه سلكًا لكل من ساهم بمحاولة مفيدة، أو لم يخلق علَى دعوة بظهور الغيب صادقة، أصلح الله أحوال المسلمين ووقاهم الشرور والفتنة وصل الله على سيدنا محمد آمين.

وأخيرًا:

أرجو من الله تعالى أن يكون عملي عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يثبتني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثبت إخواني الذين أعانوني بكافة ما
يملكون من أجل إقام هذا الكتاب.
سبحانك اللهم وحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
الفقر إلى عفو ربه ومغفرته
تأمر بطل

* * *
الفصل الأول
أيام لا تنسي في العهد
النبي الشريف
رقع
حب الأسرة الإنجليزي
رخص راديو الإرتو
www.moswarat.com
معركة بدر

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>2 هـ/624 م</td>
<td>آباد، 120 كم جنوب غرب المدينة المنورة</td>
<td>انسار المسلمين</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>المحاربون</th>
<th>المسلمون</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>قريش</td>
<td>النبي عمو بن هشام بن المغيرة المخزومي</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>170 من الخزج 14 من الأوس + 900 من المشاة + 100 من الفرسان بإجمالي 1144 مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والحشود</td>
<td>70 قبيلاً</td>
</tr>
<tr>
<td>القتلى</td>
<td>14 شهيداً</td>
</tr>
<tr>
<td>أسير</td>
<td>-</td>
</tr>
</tbody>
</table>

غزوة بدر الكبرى هي معركة وقعت في (17 رمضان 2 هـ = 13 مارس 624 م) بين المسلمين بقيادة النبي ﷺ وبين قريش بقيادة عمو بن هشام بن المغيرة المخزومي المعروف بأبي جهل عند آباد بدر في جنوب المدينة، وانتهت بانتصار المسلمين ومقتل سيد قريش عمو بن هشام بن المغيرة.

أسباب المعركة

أطاع المسلمون أمر الله، وهاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بعد أن أشتد الأذى والتعذيب عليهم، وتركوا ممتلكاتهم وأموالهم، وما كان من كفار قريش إلا أن استولوا على هذه الأموال وذهبوا إلى الشام لتتاجروا بها، ثم عادوا إلى مكة في قافلة مهملة بالكثير من الأموال والأعمال والجمال.

(1) انظر: ابن هشام 3/152.
الخروج إلى القافلة

وصلت أخبار هذه القافلة إلى النبي ﷺ في المدينة المنورة، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية للهجرة المشرفة، فخرج النبي ﷺ على رأس جيش من الصحابة الأبطال، وكان عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، والأعلام والبارق حوله ترفق وتعليم.

لكن خبر خروج المسلمين للقتال بلغ القافلة التي كان على رأسها أبو سفيان بن حرب وهو أحد رؤوس الكفر في ذلك الوقت، ولم يكن معه حراسة كافية لمنع عنه النبي ﷺ وصحابته.

ووصل الرجل إلى مكة صارخًا طالبًا النجدة، فأسرع كفار قريش يتبجع قواهم وجندهم وسلاحهم ومضوا إلى محاربة النبي ﷺ.

في هذه الأثناء عَبَر أبو سفيان مسيرة القافلة بين الشام ومكة، وابتدأ عن الطريق المعهود إلى ناحية البحر (١)، ولم يعلم المسلمون أن كفار قريش خرجوا لمساعدة القافلة، حتى وصلوا إلى ما قبل بدر وهو اسم ناحية، فنزلوا هناك وأرسلوا ثلاثة أشخاص للاستكشاف، فعادوا وقد قبضوا على غلامين خرجا لجلب الماء لعسكر كفار قريش، فعلم عندها النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته بخروج قريش لمقاتلتهم وأن عددهم حوالي ألف مقاتل.

استشار النبي الأعظم الصحابة، فقام كبارهم وتكلموا فأخذوا وأجادوا، وقال الهاجرون خيرًا، والأنصار خيرًا، وكان منهم سبأ بن سعد بن معاذ الذي أخبر النبي ﷺ أن الأنصار لن يُفلهُو أبدًا، وللو أمرهم بخروج البحر لحاشوهم ومعه وحتمه بقوله: "فَسَرِبْنَا عَلَى بَرِكَةِ اللَّهِ".

المعركة

فارغ عَلَى النبي ﷺ حتى وصل قريبا من وادي بدر، فبلغه أن أبا سفيان قد نجا بالتجارة وأن قريشًا وراء الوادي؛ لأن أبا جهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير الآلهة يرجعوا حتى يصلو بدرًا فينحروا ويطعموا الطعام ويسقوا الخمور فتسمع بحمى العرب فتهاجمهم أبدًا.

(١) ابن كثير: السيرة ٢:٣٨٠.
فسار جيش المشركين حتى نزلوا بالعذراء الفصوي من الوداي (أي الشاطئ البعيد للوادي)، وسار رسول الله ﷺ باصحابه حتى نزلوا بالعذراء الدنيا من الوداي، ولم يكن بها ماء، فأرسل الله تعال الغيث حتى سال الوداي فجرب المسلمين وملؤها أسبتتهم، وصار التراب تحت أقدام النبي ﷺ والصاحبة جامدًا يسهل المسير عليه، وأما الكفاح فقد صار الرمال من تحتهم وحلاً مزروعًا تغوص فيه أقدامهم وأقدام بعيرهم؛ مما أعاقهم وأعرههم، وتقدم النبي ﷺ بجيشه حتى نزل بأقرب ماء من القوم، وأمر ببناء حوض بُعْلاً ماء لجيشه؛ كما أمر بأن يغور ما وراءه من الآبار حتى يقطع أمر المشركين في الشرب من وراء المسلمين، ونبيّ النبي ﷺ عريضًا فوق تل مشرف على ميدان الفتال.

الحركة

ما أن ترائي الجيشان - وكان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء 17 رمضان من السنة الثانية للهجرة - حتى قام النبي ﷺ بتعديل صفو جيشه، حتى صاروا كأنهم ييان مرصوص، ونظر لفرش فقال: "اللَّهُمَّ هَيْـئُهُ هُدَى فَقَّدْ أُثِبْتُ بِحَيْلَيْهَا وَفَخْرُهَا تُحَاذِكَ وَتَكَذِّبُ رَسُولِكَ، اللَّهُمَّ تَضْرِكُ الْذَّيْنَ وَعَدَّتِي الْلَّهُمَّ تَأْحِجُّهُمْ (1) النُّذَارَةِ.

ثم برز ثلاثة من صفو المشركين؛ وهم: عتبة بن ربيعة وأبي الوثيد وأ وخوبة شيبة، وطلبوا من يخرج إليهم، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فقال المشركون: إنه نطلب أكفاء من بني عمنا (أي: الفرسان)، فبرز لهم حزرة بن عبد المطلب، وعبدة بن الحارث، وعلي بن أبي طالب، فكان حزرة بإزار شيبة وكان عبيداء بإزار عتبة وكان علي بإزار الوثيد؛ فأما حزرة وعلي فقد أجهز كل منها على مبارزه، وأما عبيداء فقد ضرب صاحبها ضربة ثم تمت، وضربه صاحبه مثلها، فجاء علي وحزرة فأجهز على مبارز عبدة، وحمله عبيداء وهو جريح إلى صفو المسلمين، وقد مات من آثار جراحه.

(1) أحدهم: أي: أحلم بهم، ابن منصور: لسان العرب، مادة حين 133/13.
(2) ابن هشام: السيرة النبوية 3/168، و ابن كثير: السيرة النبوية 2/420.
وقابل الجيشان، وكانت خطة المسلمين على ما أشار عليهم رسول الله ﷺ؛ أن لا يبدوا القتال حتى يخطبهم الكفار، عندها يظهر الرماة المختبئون على التلال المحيطة بمكان المعركة، ويرمون ظهور الكفار برامحهم، وهكذا كان.

واقتتل الناس قتالًا شديداً وتضاربت السيف ولعبت الرماح، وتطارب الغبار، وعلت التكبيرات الصادحة، وقد أحاص المسلمون بتلال مطلة على بركة ماء كبيرة في بدر، وراءها الكفار ليشردوا منها، فصار المسلمون يصطادونهم الواحد تلو الآخر.

وكان المدّد الكبير؛ فقد أدّم الله تعالى المسلمين بمعالجة النصر، فلم تكن إلاّ ساعة حتى انتهى المشركون وولوا الأدبار، وبتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتلت منهم سبعين رجلاً وأسرًا سبعين، ومن بين القتلى كثير من صناديقهم.

بعد المعركة

ولما انتهت الموقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً.
أيام لا تنسى في العهد النبوي الشريف

وبعد أن انتهى القتال في بدر ودُفن الشهداء والقتلى؛ أمر رسول الله ﷺ بجمع الغنائم، فجعلها تُصلى أهل المدينة بالنصر، ثم عاد عليه الصلاة والسلام بالغنائم والأسرى إلى المدينة. فقسم الغنائم بين المجاهدين، وحفظ لورثة الشهداء أسمهم، وأما الأسرى فأرى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن يستقيهم ويقبل الفداء من فرس عُمْنُ رُذَّد فداءهم، فبعث قريش بالمال للفداء أسرهم، فكان فداء الرجل من ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم بحسب منزلته فيهم، ومن لايكن معه فداء وهو يُحسن القراءة والكتابة أغطره عشرة من غلائ المسلمين يُعَظَّهم; فكان ذلك فداءهم.

ومن قتل قريش: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعمرو بن عبد، وحيد بن عبيدة. 
وبعدهم: أبو سفيان، والوليد بن عتبة، والجراح والد أبو عبيدة، قتله ابنه أبو عبيدة بعد أن ابتعد عنه، وأما شهداء بدر الأربعة عشر فمنهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. 

وهذه الغزوة الكبرى التي انتصر فيها المسلمين ذلك الأنتصار الباقر، مع قلة عددهم وعهدهم، وكثرة عدد العدو وعهده من الأمة الكبرى على عتبة الله تعالى بالمسلمين صادقين في العزيزة، الممتثلة قلوبهم طمأنينه بالله تعالى وثقة بيه وعهدهم على لسان رسوله ﷺ من الفوز والنصر.

ونقد دخل بسببها الرعب في قلوب كافة العرب، فكانت للمسلمين عزة وهيبة وقوة، والحمد لله رب العالمين.

***

(1) ابن هشام ٤٦٧، معرفة الصحابة، ٢٦٥، زاد العداد ٣/٢٠٠، ١٦٠.
معركة إحد

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>الملصق</th>
<th>المكان</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>3 هـ</td>
<td>225 م</td>
<td>أحد - المدينة المنورة</td>
<td>انصراً عسكريًّا لأهل مكة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الملحدين</th>
<th>المسلمين</th>
<th>المقاتلين</th>
<th>القادة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>قريب وبعض من هامة وكنانة</td>
<td>النبي ﷺ</td>
<td>700</td>
<td>أبو سفيان بن حرب</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td></td>
<td>75 شهيدًا</td>
<td>22 قتيلًا</td>
</tr>
</tbody>
</table>

غزوة أحد وقعت في يوم السبت السابع من شوال في السنة الثالثة للهجرة وهي تصادف 23 مارس 225 م، بين المسلمين في المدينة بقيادة النبي ﷺ، وبين أهل مكة وأصحابها ومن أطعمة من قبائل كنانة وأهل هامة.

تمكّن جيش أي سفيان من تحقيق نصر عسكري بواسطة هجومهم شديدًا ومدروسًا وتفوقهم الدافع في دفع الخسائر. تم التخطيط لها قبل المعركة.

قبل المعركة

شعرت قريش برغبة الهزيمة التي لقيتها في حربها مع المسلمين في بدر، وأرادت أن تتأثر لهزيمتها؛ حيث استعدّت لvhلاقلة المسلمين مرة أخرى يوم تتحو عنها هزيمة.

ذهب صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن ربيعة إلى أي سفيان يطلبون منه عقد القافلة، ليتمكّنوا من تجهيز الجيش، ولقد كان ريح القافلة ما يقارب الخمسين ألف دينار، فوافق أبو سفيان على قتال المسلمين، وراحوا يعثرون المعارك إلى القبائل لتحريض الرجال. وبعد سنة من هزيمة بدر استطاعت مكة أن تجمع 3000 مقاتل من قريش والخلفاء
أيام لا تنسي في العهد النبوي الشريف

والاحيائي، ووصل الجيش إلى جبل أحد في مكان يقال له عينين (1)، فعسكر هناك يوم الجمعة 6 شوال سنة 23 هـ، ولم يبلغ الأئمة المسلمين فرح بعضهم، وخاصة من لم يخرج منهم إلى معركة بدر ولم يصب مرتبطًا، وقال بعض المسلمين الذين قاتلهم بدر: «يا رسول الله، أخرج لنا إلى أعدائنا، لا تروون أبا بكر وعثمان والضبع، وكان بعض المسلمين ومنهم المناقش عبد الله بن أبي سفيان يريدون بالبقاء بالمدينة والدفاع عنها، وكان هذا الرأي مطابقًا لرأي الرسول ﷺ، الذي فرّ ألا يخرجوا من المدينة، بل يتحصنوا بها؛ فقد رأى رسول الله ﷺ في منامه أن في سيفه ثمرة، وأنه يبرى له تذكيرًا، وأنه أدخل يده في درع حصينة، فتأوّل أن نفرًا من أصحابه يُقتلون، وأن رجلاً من أهل بيته يُصاب، وأن الدعوة الحسینية المدينة (2)، فأشار رسول الله ﷺ على أصحابه أن لا يخرجوا إليهم، وأن يتحصنوا بالمدينة، فإن قربوا منها قاتلوهم على أحوال الأطفاء، ووافق رسول الله ﷺ على هذا الرأي عبيد الله بن أبي سفيان رسول، وأبي أكثر الأنصار إلى الخروج إليهم؛ لِيَكُم لِهَا مَن شاء منهم بالجهاد، فلما رأى النبي ﷺ عزمتهم دخل بينه، فلمس لأستغله وخرج، وذلك يوم الجمعة، ونقد قوم من الذين أخرجوا في الخروج وقالوا: «يا رسول الله، إن شئت فارجع». فقال رسول الله ﷺ: "إنه ليس لي أن يُبتّلِ بِإِياكَ، إن يُلبِثِ به تَغْيِرًا؟" (3). فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه، واستعمل ابن أم مكتمون على الصلاة، لن يبقى بالمدينة من المسلمين.

ولكن عبد الله بن أبي سفيان -وهو سيد الخروج ورئيس من أسهام المسلمين بالمنافقين- قرر أن يعود بأتباعه إلى المدينة، قاتلًا: "ما ندري علماً نقتل أنفسنا؟" وكانوا واستنادًا إلى سيرة الحلي 300 مقاتل.

أدرك المسلمون الشعوب من جبل أحد، فعسكر الجيش مستقبلاً بالمدينة وجاء عظة إلى هضاب جبل أحد، وتاجر الرسول فصيلة من الرماة المهرة، قواهم خمسة مقاتلاً، وجعل.

---

(2) انظر الجديدي، برويات مختلفة عبر النصيحي (747) و(Note 500) وتنصيرة الأراقي، إسناده حسن.
(3) الدارمي: (749) وقال حسب سليم أسد: إسناده كيف أن شروط مسلم، والحراكي (2588)، والليهي: السكن
(4) الكبري (131).
(5) رواه أحمد في مسند (1482) ونقله الأروى، شريف، وهذا إسناده على شروط مسلم.
(6) رواه أحمد ورواه رجال الصحيح، جمع الزوايا 2/157.
قائدهم عبد الله بن جبر بن النعيم، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي منة، وقال لهم الرسول ﷺ: "إنّ رأيتكما تُخْفِيّضاً الطَّيْرَ، فلا تُعْجِبُوا مَكَانَكُمُ هَذَا حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وإنّ رأيتكما هَزْرَمْنا القُوَّمَ وَأَوْطَانَاهُمۡ، فَلا تُعْجِبُوا حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ"(١). وأمر عبد الله بن جبر بأن ينصح المشركون بالنبيل؛ لئلاً يأتوا المسلمين من ورائهم.

وتعبى رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعاتة، وقال: إنّ المشركين كانوا في ثلاثة آلاف، وفيهم مائتا فارس. وقال: كان في المسلمين يومئذ خمسون فارسًا، وكان رماة المسلمين خمسين رجلاً. ودفع النبي ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمرو أحد بنى عَبْد الدار. وجعلت قريش على ميمنتهم في الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرة في الخيل عكرمة بن أبي جهل.

وقائع المعركة

وبدأت المعركة وحقّ المسلمون النصر في البداية، وظّنّوا أنّ المعركة قد انتهت فانشغالوا

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسیر، باب ما يكره من التنافع والاختلاف في الحرب وعقيدة من عصي إمامه (٨٧٤)، وأبو داود (٢٧٧٢)، والنسائي (٧٨٩)، وأحمد (١٨١١).
أيام لا تنسي في العهد النبوي الشريف

بجمع الغنائم التي خلفها المشركين المهزمون، وفي الوقت نفسه خالف الرماة الذين فوقع الجبل أمر النبي ﷺ، فتركوا مواقعهم ونزلوا ليكون هم نصيب في جمع الغنائم، وقال بعضهم: "ما لنا في الوقوف حاجة"، ونسوا وصية الرسول ﷺ لهم، فذكروا قادتهم بها، فلم يكتبوا بمقولته، وسارعوا إلى جمع الغنائم، لاحظ خالد بن الوليد نزول الرماة، فانطلق مع بعض المشركين ونفروا حول الجبل، وفاجأه المسلمون من الخلف، فتبع المسلمون وهرعوا مسرعين هاربين، وارتفعت راية المشركين، فلما رآها جيش المشركين عاردوا هجومهم، ولقد رمى أحد المشركين حجرًا نحو الرسول ﷺ فكسرت راحيته ﷺ، كما أنه وقع في حفرة كان أبو عامر الوارث قد حفرها ثم غطاه بالقش والتراب، ففتح رأس النبي ﷺ، وأخذ يمسح الدم قائلًا: "كيف يُ贖 قُومٍ علَّمهم وجهِهِم بِاللهِ وَهُوَ يُدُعُوهُم إلى رَبِّهم".

بعد المعركة

انتهت المعركة بأخذ قريش ثأرها فقد قتلوا 70 مسلمًا بسبعين مقاتلاً من مكة يوم معركة بدر، وأسروا 70 مسلماً، وهو عدد متقابل لأسرى مكة يوم بدر، وفي سورة آل عمران إشارة إلى هذا حيث نص الآية (115): "أَوَلَىٰ أُسَاتَذَةُ ٓمُصْبِحَةٌ قُدْ أُصْبِحُ مَتْنِهَا فَلْتَمَّ أَنَّهَا قَلِيلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفِسِكَمْ إِنَّلَا اللَّهُ عَلَيْ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، وكانت خسائر قريش قرابة 32 مقاتلاً.

وقد 3 أيام من هزيمة أحد وبالتحديد في ليلة 10 شوال خرجت قوة من المسلمين وعلى رأسهم النبي ﷺ في غزوة حضراء الأساد، حتى تواجها جيش أبو سفيان العائد إلى مكة.

وأوثر المؤرخون في هذه الحركة معاني عنيفة حاول النبي ﷺ إيضاحها ومنها:

١- محاولة لعلاج الجانب النفسي من الجيش المنهار؛ حيث طلب النبي ﷺ وبالتحديد من المسلمين الذين قاتلوا في أحد فقط أن يخرجوا معه، وكان معظم من خرج وعلى رأسهم الرسول ﷺ مجريًا في الوجه والشفة السفلي والركبتين.

٢- إرسال إشارة إلى مكة مفاده أن هزيمة أحد لم توقع الوحش في صفوف المسلمين.

٣- إرسال إشارة إلى الحركات المعارضة داخل يبرن أن القيادة المركزية ما زالت

(1) رواه النسائي في سنن الكبرى (757)، وفيما ماجه (407)، وأحمد (12854). وقال شهاب الأزربوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.
متحكمة في زمام الأمور.

أسباب الهزيمة

1- خلافية بعض المسلمين أوامر قائدتهم في المعركة أثرت على الجيش كله؛ كما حدث مع الرماة عندما تركوا مواقعهم دون إذن النبي ﷺ قائد الجيش.

2- عدم ترشيح مبادئ الأمة الإسلامية الواحدة في مجتمع يثور؛ حيث إن بعض المسلمين خرجوا إلى أحد لأخذ ثور قديم من مسلم آخر، وذكر السهيلي الحارث بن سويد بن الصامت، الذي كان يزعم الثأر من المجدد بن زياد الذي قتل أباءه في حرب الأوس والخزرج (1)، ولم يقتصر الأمر على الأنصار بل إن مجموعة من المهاجرين استسلموا بعد ساعات بصرخة مقتل الرسول ﷺ.

3- من مصلحة الإسلام والدولة الإسلامية الأولى أن تصاب برجوع عنفية تعزز حكمها عنها، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التحقيق في أحد. "ما كان الله ليُبَيِّن المُؤمِنِينَ علَى ما أُنْثِمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُبِينَ الْخَيْبَةَ مِنَ الطَّبَقَ وَمَا كَانَ اللَّهُ ليُكَلِّمُهُمَا عَلَى الْعَلَّمِ" (ال عمران: 179). فمعركة أحد مبارزة المنافقين الموجودون بالمدينة عن المؤمنين؛ فقد سقط ما كان يمتلك به عبد الله بن أبي سهل من سلطة، فعندما حاول أن ينصح أتباعه في صلاة الجماعة بطباعة النبي ﷺ أخذ المسلمون بثوبه، وقالوا له: "أجلس عدو الله، لست لذلك بأهل".

* * *

معركة الخندق

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>627 هـ</td>
<td>المدينة المنورة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>فك الحصار عن المدينة وانسحاب الأحزاب</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>قريش وحلفاؤهم من كنائه وسلمهم وقائب غطفان وأهل بني عقيادة وكان بن تنضير من أجل هذه الجمع</td>
<td>المهاجرين</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو سفيان بن حرب القرشي على كنائه</td>
<td>إبادة</td>
</tr>
<tr>
<td>عيينة بن حصن الفراز على فرقة الحارث بن عوف المري على مرة</td>
<td>الرسول الله صلى الله عليه وسلم</td>
</tr>
<tr>
<td>مسعود بن رخيلة الأشجعي على أشجع</td>
<td>القوى والحشود</td>
</tr>
<tr>
<td>قتيلان</td>
<td>الخسائر</td>
</tr>
</tbody>
</table>

غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق هي معركة وقعت في العام الخامس للهجرة بين المسلمين وبين قريش وأنصارها من غطفان وكنائة، انتهت بنصر المسلمين وفك الحصار عن المدينة وانسحاب الأحزاب.

الأسباب

بعد أن أجل الرسول ﷺ بني النضير وهم قسم من يهود المدينة وساروا إلى خيبر، ذهب نفر من اليهود إلى مكة؛ منهم: كنائة بن الربع على أبي الحال، وسلام بن مشكيم، وحبي بن أخطب النضیر، وهودة بن قيس، وأبو عمار بن أبي وائل، وهم كلهم بيرود، وهم الذين حزروا الأحزاب وألقوها وجمعوا، خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل فأتوا مكة، فدفعوا قريبا إلى حرب رسول الله ﷺ، ووعدواهم من أنفسهم بعون من أتبع إلى ذلك، فأجابهم أهل مكة إلى ذلك، ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدفعواهم إلى مثل ذلك.
فاجابهم، فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدهم عبين بن حصن بن حذيفة بن بدر النزاري على نزارة، والحارث بن عوف المري على بني مرة، ومسعود بن رخيلة على أشجع.

وهكذا انطلق جيش قومه عشرة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان بن حرب، وذلك في السنة الخامسة من الهجرة من شهر شوال.
أيام لا تنس في العهد النبيي الشريف

حفر الخندق

لما علم الرسول الكريم ﷺ بالأمر، استشار أصحابه وقادته في الحرب، فأشار عليهم سلائم الفارسي بحفر خندق في مشارف المدينة، فاستحسن الرسول والصحابة رأيه، وعملوا به، كأنه يود بني قريظة مدعوا لهم يد المساعدة من معاوّل ومكاثل بموجب العهد المكتوب بين الطرفين.

كان الرسول ﷺ وأصحابه يتفقدون سير العمل، فوجدوا صخرة كبيرة كانت عائقة أمام سلائم الفارسي، حيث كسرت المعاوّل الجديدة، فتقدّم الرسول الكريم من الصخرة، وقال: «يا سلائم، فضربها فنصدّعت وربقت منها برقة مضيّئة فقال: ﴿الله أكبر، فتحمله ﷺ ﷺ ﴿، ثم ضرب الثانية فقطع منها الثلث الثاني، وقال: ﴿الله أكبر، فتحمله ﷺ ﷺ ﴿، ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقى، وقال: ﴿الله أكبر، فتحمله ﷺ ﷺ ﴿، وقد نصر الله عبده وصدق وعده، والحمد لله رب العالمين، فلما فرغ رسول الله ﷺ أقبلت قريش في نحو عشرة آلاف بمغن معهم من كنائسة وأهل تراث، وأقبلت غطفان بن مين معها من أهل نجد، حتى نزوا إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزوا بظهر سلع في ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهم، والخندق بينهم وبين المشركين، واستعمل علّ الدين ابن أم مكتوم.

نفق العهد من بني قريظة

لم يجد المشركون سبيلًا للدخول إلى المدينة، وبقوا ينتظرون أيامًا وليالي يقابلون المسلمين من غير تعزيز.

خرج عدو الله ﷺ بن أخطب حتى أتى كعب بن أم سراً، وكان صاحب عقد بن قريظة ورقيهم، وكان قد وداع رسول الله ﷺ وعاهده وعاهده، إلا أن كعب بن أخطب أحْمَّه بفسخ الاتفاقية بين بني قريظة والمسلمين.

فلا تأخر في خيّر كعب وحشي إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، بعث سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وسيد الأول سعد بن معاذ، وبعث معهما عبد الله بن رواحة، وخوّان بن جبير.
وقال لهم رسول الله ﷺ: "أنطلقوا إلى بني قريظة، فإن كان ما في لكتا حقًا، فاغتنموا لكتا تحنَّ"، و"لا تطلقوا في أغصان السليبين، وإن كان كذبًا، فاجهروا به للكاس". فانطلقوا حتى أتواهم، وجدوا عليهم أشياء معروضة، ونادوا من رسول الله ﷺ: "لا عهد له عندنا". فشافتهم سعد بن معاذ وشاقوهم، وكانت في مكة، فقال له سعد بن عبادة: "دع عندك مشائعتهم، فالذي بيننا وبينهم أكبر من المشائحة". ثم أقبل سعد وهذى آية رسول الله ﷺ في جماعة المسلمين، فقالوا: "عسل والقارة". يقصدون بعسل والقارة أصحاب الرجوع خبيز وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: "بيروا ما تعبَّر السليبين". وعمر عند ذلك البلاه، واشتد الخوف، وأمّ المسلمين عدوهم من فوقهم ومن أسفلهم حتى ظنوا على الله العظوم، وحكى أحيط المسلمين بالمشركين من كل حدب وصوب، إلا أن الرسول ﷺ وأصحابه لم يباشروا من روح الله ﷺ لأهم كانوا على يقين بأن عين الله ترعىهم.

 موقف المدافن

وأظهر المنافقون كثيرًا ما كانوا يثيرون فلنتصرف إليها، فإن نحفظ عليها. ومنهم من قال: "يبددان محمد أن نفتح كنز كسرى وقيصر، وأخذنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

 المناوشات

أيان أهبت نعمة الناس في العهد النبي الشريف

ابن أهيب; والله! ما أهبت أن أهبت مما كان بيني وبين أبيك. فقال له: أنا والله أهبت أن أهبت. فحمى عمرو بن عبد ود العامري ونزل عن فرشه وسار نحو فتنازلا وتجولا وثار الغبار حتى حال دونها، فانقل الغبار حتى رأى عليه على صدر عمرو يقطع رأسه، فلما رأى أصحابه أنه قدم عليه، اقتتحموا بخيلهم الثغرة من هزامين هاربين، وقال علي:

في ذلك:


وارمي يومي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأحقل.

الوفيعة

أمي رسول الله نعمة بن مسعود بن عامر الشجعي، فقال: يا رسول الله! إنني قد أسلمت، ولم يعلم قومي بإسلامي، فمرني بها شئت. فقال له رسول الله: إنها أنت رجل واحد من عطقان، قل قرطبة فحدثت عنه كان أهبت يلًا ذا بئاليك، فأخرج في الرب تجده. ونجح نعمة بن مسعود -دون أن يعلم الأحزاب بإسلامه- في不分辉 بين الأحزاب وبين يهود بني قريظة، وزرع الشكوك في قلوبهم، ثم أرسل الله ربيه شديدة قلعت خيام المشركين وكتاب قدورهم، وانقلب الموقف كله بفضل الله تعالى.

النصر

آدرك أبو سفيان بن حرب قائد الأحزاب أنه لا فائدة من البقاء، فأمر الأحزاب بالرحيل، والعودة من حيث جاءوا، وبعد رحيل الأحزاب قال النبي: "الآن نغزوهم ولا نغزوهم".

---

1) متجلداً، أي: صبيًا ملقى على الأرض قبلاً. ابن منظور: لسان العرب، مادة (جدل) 1103/11
2) دكاك: جمع الدكاك والدكاك: وهو أرض فيها غلظة ورملى ذو نراب متليد. ابن منظور: لسان العرب، مادة (دكاك)
3) رواي: في الجرحية: وهو من ما ارتفاع من الأرض، أو ما أشرف من الرمال مثل الدكاكة، غير أنها أشد من حدائقها، وهي
4) من منظور: لسان العرب، مادة (خيراء) 298/144
5) ابن عبد البر: المدرر في اختصار المغازي والسير 186.
بعد انتهاء غزوة الحنونق تقدَّم النبي ﷺ وحاصر بجيشه بيوت قريطة خيانتهم للعهد وانفاقهم مع المشركين، وبعد أكثر من عشرين يومًا طلبا أن يحكم فيهم سعد بن معاذ، وكان خليفهم، فحكم بقتل الرجال جزاء غدرهم وخيانتهم، وحين قضى "سعد" بهذا الحكم قال له الرسول ﷺ: "قلت: حكمت فيهم بحكمة الله". أمر النبي ﷺ بتنفيذ الحكم، واستنادًا من ذلك من اختيار الدخول في الإسلام، وهكذا، لم تكن غزوة الأحزاب هذه معركة ميدانية وساحة حرب فعلية؛ بل كانت معركة أصعب وامتحان نفوذ واختبار قلوب؛ لذلك أخفق المنافعون ونجح المؤمنون في هذا الإبلاء.

***

(1) البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحنونق وهي الأحزاب (484)، وأحمد (834)، والفهرس في المعجم الكبير (1499).
(2) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل (2872)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جوان قال من نقل العهد وجزاء إزال أهل الحصن على حكم حاكم عهد (1718).
فتح مكة

فتح مكة هو حدث تاريخي تم فيه فتح مدينة مكة على يد النبي ﷺ في 20 رمضان 8/هـ (230 م)، وذلك بعد أن هاجر منها، وقد كانت هجرته للمدينة نواة لتأسيس دولته وعمل على العودة لمكة مجددًا.

أسباب الفتح

لما كان من بنود صلح الحديبية أن مَن أراد الدخول في حلف المسلمين دخل، ومن أراد الدخول في حلف فضيله دخل، دخلت قبيلة خزاعة في عهد الرسول ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد فضيله، وقد كانت بين القبيلتين حروب وثورات قديم، فأراد بنو بكر أن يصيبوا من خزاعة الثور القديم، وأعلنت قبيلة بني بكر بسلاج والرجال، فأغاروا عليها ليلاً، وقتلوا منهم نحو عشرة رجلًا، ودخلت خزاعة الخردل للنجاة بنفسها، ولكن بني بكر لاحقوهم وقتلوا منهم في الحرم، فأسرع عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة، وأخبر النبي ﷺ بقدر قريش وحلفائها.

وأرادت قريش تنادي الأمير، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة لتجديد الصلح مع المسلمين، ولكن دون جدوى؛ حيث أمر رسول الله ﷺ بالاستعداد، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة كأمر بكتم الأمر عن قريش من أجل مباغتها في دارها.

المباشرة

قام الرسول ﷺ بتجهيز الجيش للخروج إلى مكة فحصرت جموع كبيرة من قبائل جهينة وبيئي غفار ومزينة وأساد وبيئي سليم والأنصار والمهاجرين، وقد دعا الرسول ﷺ الله قائلًا: "الله يغفر الخُطؤُ والأخطار على من كان منه في بادئها" (1).

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 5/10، ابن كثير: السيرة النبوية 3/535.
قامت حاسب بن أبي بنتة بكتابة كتاب بعث به إلى قريش مع امرأة تُعرفهم بها عزم على رسول الله ﷺ، وأمرها أن تُخفى الخطاب في ضفائر شعرها؛ حتى لا يراها أحدًا، فإذا الرسول ﷺ أرسل على حاسب بن أبي طالب والاتير بن العوام ليلحقاً بالمرأة، وتم القبض عليها قبل أن تبلغ مكة، وعذرا على الرسالة في ضفائر شعرها.

فَلَا عاَتِبُ النَّبِيِّ ﷺ حاضِبًا اعتذر أنه لم يفعل ذلك ارتداءًا عن دينه، ولكنه خائف -إن فشل رسول الله ﷺ- على أهل الدين يعيشون في مكة.

قال عمار: «يا رسول الله، دعني أضرب عني هذا المنافق». فقال رسول الله ﷺ: إنّه قد شهد بدرًا، وما تذريت لعلّ الله أطعّن على من شهيد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتكم فقد غفرت لكم (1). وكان حاسب بن امرأة مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر، فعدا عهده.

مقدمة الجيش المدين

في رمضان من السنة الثانية للمهاجرة غادر الجيش الإسلامي المدينة إلى مكة، في عشاء آلاف من الصحابة بقيادة النبي ﷺ. بعد أن استخفى على المدينة أيا ذاهب الغفار، وصلوا مرظهران قريباً من مكة، فصدوا خيامهم، وأشعلوا عشرة آلاف شعلة نار، فأصاحب الوادي، ولم كان بالجحيفة لقيه عمه العباس بن عبد المطلب، وكان قد خرج بأهله وعوائله مسلياً مهاجرًا، وركب العباس بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، يبحث عن أحد يُغلق قريشّ؛ لكي تطلب الأمن من رسول الله ﷺ قبل أن يدخل مكة، ولهذا تقابل العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان، فأخذ العباس بن عبد المطلب إلى الرسول ﷺ، وبعد حوار طويل دخل أبو سفيان في الإسلام. وقال العباس: «إنّي أبا سفيان يجب الفخار فأجمل له شيخًا». فقال الرسول ﷺ: من دخل كأس أبا سفيان فهو أمين ومن ألقى السلاح فهو أمين ومن أغلق بابه.

الفتح

أراد النبي ﷺ أن يري أبا سفيان قوة المسلمين؛ حتى لا تغنه نفسه بقتال المسلمين،

---

(1) البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الفتح (4/2/24).
(2) مسلم: كتاب الجهاد والسر، باب فتح مكة (79/1780)، وأبو داوود (79/1799)، والنسائي (79/1129)، وأحمد (79/2).
فحبسه عند مضيق الجبل، ومرّت القبائل على راباتها، ثم مرّ رسول الله ﷺ في كتبته الخضراء،
فقال أبو سفيان: "ما أهذا بولاء من قيل ولا طاقة".

ثم رجع أبو سفيان مسرعًا إلى مكة، ونادى بأعلى صوته: "يا معمر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيها لا يقبل لكم به، فمن دخل داريه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن". فهجر الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وأغلقوا الأبواب عليهم وهم ينظرون من شقوقه وثقوقها إلى جيش المسلمين، وقد دخل مرفع الجبهة، ودخل جيش المسلمين مكة في صباح يوم الجمعة الموافق عشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

دخل الجيش الإسلامي كل حسب وضعه ومهامه، وابن مأرب المقاومة من قريش، ودخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها وهو يقرأ قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ مَا كَانَ مُنْهَجًا لَكُمْ" (الفتح: 1) واصطبحت مكة، وأخذ المسلمون ينتفون في جنبات مكة، وأصولهم تشق عناء السياح: الله أكبر، الله أكبر، وتوجه رسول الله ﷺ إلى الحرم، وطاف بالكعبة، وأمر بتحطم الأصنام المصقولا حولها، وكان عددها ثلاثمائة وستون صنًا، فجعل يطعنها ويقول: "جاء الحقّ ورَهَقَ النَّابِئُ إِنَّ النَّابِئَ كانَ رَهَقًا" (الإسراء: 81).


بعد الفتح

في اليوم الثاني للفتح قام رسول الله ﷺ، وألقى خطبته المشهورة، وفيها: "إِنَّ اللَّهَ حَرِّمَ 

(1) البخاري: السنن الكبير، (١٨٣٩)، وأبي هشام: السيرة النبوية (٢)، (١١)، وأبي هشام: زاد المعاد (٣٥٦)، والسيهيل: الروض الأنف (١٧٠)، وأبي كثير: السيرة النبوية (٣٧٠)، وأبي حنفه: نظم البديع (٨١).
أيام لا تنس في العهد النبوي الشريف

باع الناس رسول الله، فجااه الناس الصغير والكبير، والرجال والنساء، فبعده على الإيام،
وشهدت أن لا إله إلا الله، وما ظهر من بيعة الرجال، أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا،
ومعمر بن الخطاب فاعد أسفل منه، فبعده عنه، وبعده على أن لا يشرك بالله شريكًا، ولا يسرقن، ولا
يزنبن، ولا يقتلن أولادهن، ولا يتأين بناتهم في فترته بين أبدين وأرجلهن، ولا يصعبه في معروف.

وهكذا ارتفعت رؤية الإسلام في مكة وما حولها، وراح الناس ينعمون بتوحيد الله.

***

(1) البخاري: كتاب الغزاز، باب من شهد الفتح (659)، ومسلم: كتاب الحج، باب تمرير مكة وصيدها وخليها،
وشجرها وقطعها إلا نشيد على الدوام، (1353).
معركة حنين

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>630 هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>وادي حنين، بجوار الطائف في الجنوب الغربي للجزيرة العربية</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انتصار المسلمين</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>المتحاربون</th>
<th>المقاتلون</th>
<th>الخسائر</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>قبيلي هوازن وثقيف العربان</td>
<td>مالك بن عرف</td>
<td>70 رجلاً</td>
</tr>
<tr>
<td>النفوذ والهشود</td>
<td>غير معروف</td>
<td>لا يوجد</td>
</tr>
<tr>
<td>الجاهز من المسلمين</td>
<td>القيادة</td>
<td>20 ألف</td>
</tr>
</tbody>
</table>

غزوة حنين وقعت بين المسلمين وقبيلة هوازن وثقيف العربان (اللتين زالا تقيداً في الطائف وأجزاء من مكة) في وادي حنين بين مكة والطائف، حيث انتصر المسلمون عليهم.

أسباب الغزوة

كان لفتح مكة في رمضان سنة (8 هـ) وهذه الصورة القوية والباهرة أمر بالغ في تحريك ضغائن القبائل العربية المتمردة لمصرع عموماً وقريش خصوصاً، وكانت بطول قيس عيلن بالأخير في حالة عداء تقليدية وقوية مع بطول مضر؛ لذلك لما فتح المسلمون مكة، اجتمعت قبائل هوازن وثقيف وبني هلال، وقررت محاربة المسلمين مدفعية بعداء الإسلام وعذابة القبلة والعصبية.

قرر القائد العام لتحاليل مشركي هوازن وثقيف مالك بن عرف أن يسوق مع الجيش الأموالي والمال والنساء؛ لزيادة ذلك من حاسة المشركون في القتال، وجعلهم يقاتلون حتى الموت، إن لم يكن للنصر فللدفاع عن الحرمتين، وسار جيش التحالف الشرقي حتى وصل إلى وادي أوطاس، وهو على المسيرة يوم من مكة تقريباً، ولم يعجب هذا الرجل أحد قادة الجيش ذوي الخبرة، وهو دريد من الص.range، ولكن مالك بن عرف أصرّ عليه، وهدُد بالانتحار.
يفضل أن لا تنسى في العهد النبوي الشريف

إذا لم يطبعوا، فأطعوه على صفوة رأيه، ولتَّب من بعدها بالأخلاق المطابق.

وصل أخبار هذا الجيش للرسول ﷺ، فاستعد بجيش كبير يضم كثيرًا من أسلم بعد فتح مكة الذين لم يدخل الإسلام في قلوبهم بصورة كاملة، إضافة إلى الجيش الذي فتح مكة وكان الجيش كبيرًا بصورة أعجب كثيرًا من المسلمين، وأدخلت فيهم الثقة الكاملة ضد الغزاة من النصر الكاسح على المشركين، وانزغ الرسول ﷺ من مقولة بعضهم: "لن نغلب اليوم من قلة".

المعركة

قام مالك بن عوف بوضع جيشه على شكل كأنه في مداخل وضواحي وادي حنين، ويقع في منطقة جبلية وعرة بين مكة والطائف، وقد سبق المسلمين هذا الوادي، ووضع خطته على مكافحة المسلمين بالسهام القاتلة، وفي يوم 10 شوال سنة 8هـ وقبل الفجر، والظلام يغطي وادي حنين السحاب دخل المسلمون وادي حنين، وهم لا يدرون بوجود كائن للعدو، وفجأة اتاحت السهام عليهم من كل مكان، والعدو يهجم عليهم هجومًا...
رجل واحد، فأصيب المسلمون بالدهشة المرعبة، وتروجوا دون نظام، فركبوا بعضهم بعضًا من شدة الصدمة، وصاح بعض حديثي العهد بالإسلام مثل أبي سفيان بن حرب وكلثمة بن الجندل بما في صدورهم، وعندما قام الرسول ﷺ بعمل جريء؛ إذ عُرف نفسه مخاطرة كبيرة، إذ انحاز إلى جهة اليمين، ثم نادى على المسلمين وقال: "أنا النبي لا كتب أنا ابن عبيد المطلب". وأمر الرسول ﷺ العباس أن ينادي في الناس، فقال: يا معشر الأنصار، يا معشر الهاجرين، يا أصحاب الشجرة، فحركت هذه الكلمات مشاعر الإيمان والشجاعة في نفوس المسلمين، فأجابوه: ليك يا رسول الله ليك.

والنظام الذي مرّ أخرى، واشتد القتال، وأشرف الرسول ﷺ على المعركة، وما هي إلا ساعة حتى انهزام المشركين، وولأ الأدوار تاركين النساء والأموات والأولاد، وفرّوا إلى عددٍ أماكن مختلفة، فتابعته إلى أوطاس وأخرى إلى نخلة، ومعظم الفارين هربوا إلى حصن الطائف، فأرسل الرسول ﷺ عدة فرق لمطاردة الفارين، وذلك من أجل منهم من التجمع ومعاعودة الهجوم على المسلمين، وبلغ عدد الأسرى من الكفار في ذلك اليوم ستة آلاف أسير.

**حصار الطائف**

استطاعت فرق المطاردة القضاء على الفارين، وبعدها أتى الرسول ﷺ ولفذاً على المسلمين مباشرة إلى الطائف، حيث منازل وحصون ثقية، وقد جاء إليها مالك بن عوف ومعظم الفارين، وضربوا على الطائف حصارًا شديدًا، وقعت خلاله مجازر حادة بين المدافعين عن الحصن والمسلمين، حدثت خلالها إصابات كبيرة للمسلمين جعلهم يعترضون مكان معسكرهم، حاول الرسول ﷺ الضغط على المحاصرين بقطع حبات أعبائهم، فسألوا أن يدعو الله والرحمن، فتركها الله والرحمن، ثم أعلن أن من خرج من عبيد ثقية للمسلمين فهو حر، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون رجلاً، ثم حاول الهجوم بشدة، ولكن أهل الحصن قد أدرعوا فيه ما يكون لحصار ستة، وبعد المشاورة قرّر الرسول ﷺ الرجوع ورفع الحصار عن الطائف.

---

(1) البحاري: كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، (270)، وelsinki: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة خين، (177).
توزيع الغنائم

ولما عاد رسول الله ﷺ بعد رفع الحصار عن الطائف، مكث بالجعرانة، وهو المكان الذي تم تجميع غنائم هزب فيه، وكانت كبيرة وضخمة بالمقارنة بعائشة دخيلة المعارك السابقة، قام الرسول ﷺ بتوزيعها على رؤساء القبائل وأشراف مكة والمؤلفة قلوها، وأفراد في العطاء، حتى ازدهم عليه الأعشاب والناس طمعًا في المال، ولم يُعط النبي ﷺ للأنصار من هذه الغنائم الضخمة شيئًا، فوجد الأنصار في أنفسهم من هذا الأمر، وتكلموا فيه، حتى كثرت فيهم القالة، فجمعهم النبي ﷺ ووعظهم موعظة بلغة مؤثرة أزارى من نفوسهم أي أثر للحزن ووجد النفس، وقال: «ما يشعر الأنصار؟ ما قالة بلغبني عّنكم، وجنة وأخذتوه في أنفسكم؟ أم أيهم صلى الله عليه وسلم؟ وعذابه تأذينا فيه؟ وعذابه؟ وأيضًا؟»

قالوا: بل، الله ورسوله أمرًا وأفضل.

ثم قال: «ألا تجيبونني بما تعذر الأنصار؟» قالوا: إذا نجيبن يا رسول الله أن نرسله في من والفضل، قال: «أما والله لو شئت لقلتُ قلصدمتم وصدقتتم أثبتنا مكتنّا قصّدقالد وتحذرنارك وتربيًا فالواك وعاليًا فأخبائنًا»

أُجْدِمْنَا مِنَ الدَّنْبَاءِ مَا نَعْمَرُ الأَنْصَارُ فِي لِجمَاءِ مِنَ الدَّنْبَاءِ تَأَلَّفَ بِهَا قُوَّةً لِلْيَسْلَمُوا وَرَكَّنَّا إِلَى إِسْلاَمْنَا مَا نَمَاء نَزَّحْنَا مَا نَعْمَرُ الأَنْصَارُ أن يَنْصُبَ النَّاسُ بِالشَّامِّ وَالبَيْرُجَةَ وَنَزَحْنَا بِبَرْسُولِ الله صلّي الله عليه وسلم فِي رِحَاكِمُ فَقَالَ اسْتُرْعَى مَا تحذَّبُ بَيْدَهُ لَوْ أَحْيَتْ فَكَانَ أَخْلَقَ ابْنَهُ الأَنْصَارِ فَكَانَ نَزَحْنَا مَا نَعْمَرُ الأَنْصَارُ وَأَعِبَاءٌ أَبْنَاءَ الأَنْصَارِ»

فبكي القوم حتى أخضَّلوا جاهم، وقالوا: «رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَّنَا وَحَظَّنا»(1). ثم انصرف رسول الله ﷺ و필قوا.

درس وعبر

وكانت حينئذ استفاد منه المسلمون، فطعنوا أن النصر ليس بثورة العدد والعدة، وأن الاعتزاز بذلك ليس من أخلاق المسلمين، ومرّت الأيام فإذا بوفد من هوازن يأتي إلى

(1) رواه أحمد في سنةه (848) وقال شبيب الأرناؤوط: إسناده حسن.
الرسول ﷺ يُعلن ولاءه للإسلام، وجاء وفد من ثقيف -أيضا- يُعلن إسلامه، وأصبح الذين اقتنعوا بالأمّة إخوانًا في دين الله، وأنزل الله ﷺ في أحداث غزوة حنين وما جرى فيها للمسلمين من إعجاب بالنفس آيات من الذكر الحكيم في سورة النبأة، ليتأسّى المسلمون بهذه الحادثة العظيمة وما فيها من دروس وعبر، فقد قال الله ﷺ: 

«لَقَدْ نَصَرَكُمْ نَصِيرًا ۖ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ رَكَابًا مَا كُرِيرًا» (النبأة: 26-27).»
معركة مؤنة

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>مؤينة - جنوب غرب الأردن</th>
<th>المكان</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انعقاب المسلمين بعد إيقاع خسائر في صفوف الروم</td>
<td>المحاربون</td>
</tr>
<tr>
<td>الروم ونصارى من العرب من أنصار الروم</td>
<td>المسلمون</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>البر قتل</td>
<td>زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة، خالد بن الوليد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>القوى والمحاربين 3 آلاف مقاتل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>آلاف من القتلى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>13 شهيداً</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

جرت الغزوة في جمادي الأول من العام الثامن للهجرة الموافق أغسطس 129 م؛ بسبب قتل الحارث بن عمر الأزدي رسول النبي ﷺ إلى ملك يصري على يد شريحة بن عمرو بن جبلة الغساني، وإلى البلقاء، الواقع تحت الحماية الرومانية؛ إذ أوقعه رباطاً، فقدّمه ضرب عته.

سبب الغزوة

أسّست العلاقات بين المسلمين والروم بالتوتر، فقد دأب الروم ومّن والابا من العرب على مضايقة المسلمين واستفزازهم بكل الطرق وكتاب من أظهرها المحاولات المتكررة للتعرّض لتجارة المسلمين القادمة من الشام، والقيام بالسبل والتهب للقوافل التي تمرّ بطرقهم، بالإضافة إلى ما مارسه من ضغوطات ومضايقات طالت كل مسلم وقع تحت أذىهم.

وبلغ الأذى ذروته حين بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمر الأزدي رسولًا إلى ملك بصري في أرض الشام يدعو إلى الإسلام، فكان من ملك بصري شريحة بن عمرو الغساني إلا أن قتل رسول النبي ﷺ، فاشتد ذلك على النبي ﷺ؛ إذ كان هذا هو أول رسول
له يقتل على خلاف ما جرت العادة من إكرام الرسل وعدم التعظيم لهم، وآمر بتجهيز جيش من ثلاثة آلاف مقاتل ولم يجمع هذا العدد من المقاتلين المسلمين من قبل إلا في غزوة الأحزاب.

وصية رسول الله ﷺ لامراء الجيش

أمر رسول الله ﷺ على هذا البعث زيد بن حارثة، وقال: "إن قُتلَ زيدُ فَجعَّرونهُ، وإن قُتلَ جعفرُ فَعَجَّرونهُ بن رواحة". (1) وعقد لهم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاه أن يأتوه مقتلى الحارث بن عمرو، وأن يدعو من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم، وقاتلوا؛ وكان إذا أمر أميراً على جيش أو سري أو وصاوه خاصته باتقوا الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم يقول: "اغزوا بِاِسْمِ اللهِ ﷺ، قاتلوا مِنْ كُفَّارِ اللهِ، اغزوا وَلَا تَغِيِّرواً وَلَا تَفْتَنُوا وَلَا تُقِلُّوا وَلَا تَكُونُوا وَلِيدًا". (2) وقد خرجت نساء المسلمين لتوزيع أزواجهن وهم يقفن: "رَكِمُ اللَّهَ إِلَى صَأَبِرٍ، فَرِدَلَ بَنِ رُواحَةَ وَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَا رَدِينَا اللَّهَ".

ووصل الجيش إلى مكان يُدعى "معان" في أرض الشام، فبلغهم أن هزيمة بالبلقاء في مائة ألف من الروم واتسع إليها مائة ألف أخرى من القتال العربة الموالية له من خم وجدام، وبهاء وغيرهم، فاجتمع هزيم مائتي ألف مقاتل.


(1) البخاري: كتاب الغزاة، باب غزوة مئوتة من أرض الشام، (32) 324، والسني، (8) 841، وأحمد، (22) 2274.
(2) مسلم: كتاب الجهاد والسي، باب تمبري الإمامة على البغوث ووصية إبراهيم بأبادي الغزو وغيره، (173).
المعركة

اصطفف المسلمون في مئتا وقد اقتربت ساعة الصفر لأشرس موقعة في تاريخ السيرة النبوية، حيث أمواج بشرية هائلة من الرومان ونصارى العرب تنساب إلى أرض مئتا، ورجال كالجبال من المسلمين يقفون ثابتين في وجه أقوى قوة في العالم آنذاك، وهنا قد ارتفعت صيحات الكبار من المسلمين، وحمل الرابية زيد بن حارئة، وأعطى إشارة البدء لأصحابه، وقد اندفع كلاهما صوب الجيوش الرومانية، وكان قتالاً لم يشهد المسلمون مثله قبل ذلك؛ ارتفع الغبار في أرض المعركة في ثوانٍ معدودات، وما عاد أحد يسمع إلا أصوات السيوف أو صيحات الألم، ولا يتخلل ذلك من الأصوات إلا صيحات تكبر المسلمون، أو بعض الآيات الشعرية الحماسية التي تدفع المسلمين دفعاً إلى بذل الروح والدماء في سبيل إعلان كلمة الإسلام، وقد سالت الدماء غزيرة في أرض مئتا، وتتأثرت الأشياء في كل مكان، ورأى الجميع الموت مراراً ومراراً، كانت ملحمة بكل المقاييس، سقط على إثرها أول شهيد للمسلمين، وهو البطل الإسلامي العظيم والقائد المجاهد زيد بن حارئة، مقبلاً غير مديب، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب بيمينه، وأخذ ينشد:
يا حيذا الجنة واقتراها طيبة ويارد شراها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أسابها
على إن لاقيتها ضراها
وحمل جعفر اللواء بينته فقعته، ثم حمله بشياله فقعته، فاحضرته بعضاً حتى ضريه رجل من الروم فاستشهد فسمي بذي الجنانين؛ حيث أمر الله ببديه جنانين يظهر
بها في الجنة حيث يشاء، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم بها على فرسه فجعل
يستنزل نفسه، وقوله:
أقصمت بما تفسُّط تزليته طاعة أو لا تكيرته
إني أجب الناس وصدوا الزلة فإن أراك تكرهين الجنانين
فد طالّا قد كنت مطمنة هل أنت إلا نطفة في مسّة
ثم تقدم، فقال حتى قتل، ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم، فقال: يا معشر المسلمين؛
اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت، فقال: ما أنا بفاعل. فاصحل الناس على خالد بن
الوليد.

خطة خالد بن الوليد

وبعد أن تسلّم الإمرة خالد انتهج خطة جديدة في مواجهة العدو فلم يكن من عادة
الجيش في ذلك الوقت أن يتأتّي ليلًا، فكان أن يتحجر الغريقان، واستراح الروم ليلتهم
هذه، لكن المسلمين لم يركوا إلى الراحة، وإنما كانوا في حركة دائمة؛ فقد بدأ خالد بن الوليد في
تنفيذ خطّة عبرية بارعة للوصول بشبه إلى بر الأمان، وكان هدفهم إشعار الروم بأن
هناك مددًا كبيرًا قد جاء للمسلمين؛ وذلك حتى يتسلل الإحاطة إلى داخل جنود الروم
والعرب المتحالفين معهم، فهم أمس كانوا يتقاتلون مع ثلاثة آلاف وقد رأوا منهم ما رأوا،
فكيف إذا جاءهم مدد؟!

ولتنفيذ هذه الخطة قام خالد بن الوليد بالخطوات التالية:

1- جعل الخيل طوال الليل تجري في أرض المعركة لثير الغبار الكثيف؛ فيخُنَّل للروم
أن هناك مقدّمًا قد جاء للمسلمين.

2- غيّر من ترتيب الجيش، فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة، وجعل المقدمة مؤخرة
المؤخرة مقدمة، وحين رأى الرومان هذه الأمور في الصباح، ورأوا الرايات والوجه والهيئة
قد تغيرت، أيقنوا أن هناك مقدّمًا قد جاء للمسلمين، فهبطت معنوياتهم تمامًا.

3- جعل في خلف الجيش وعلى مسافة بعيدة منه مجموعة من الجنود المسلمين فوق أحد
التلال، متنثرين على مساحة واسعة، ليس لهم من شغب إلا إثارة الغبار لإثارة الرومان
بالمدّد المستمر الذي يأتي للمسلمين.

4- بدأ خالد بن الوليد في اليوم التالى للمعركة بالتراجع التدريجي بجيشه إلى عمق
الصحراء، هذا ما شعر به الرومان بأن خالدًا يستدرجهم إلى كمين في الصحراء، فترددوا في
متابعته، وقد وقفوا على آر من موته يشتدون انسحاب خالد، دون أن يبرمو على مهاجمته أو
متابعته.

وتحت خطة خالد بن الوليد، فبى أطل الصباح، أُنكرت الروم ما كانوا يعرفون من
رایاتهم، فظنوا أن المسلمين قد جاؤهم مهد، فخافوا وانكسفاوا، وما زال خالد يحاربون
وداروهم، والمسلمون يقاتلونهم أثناء انسحابهم بضعة أيام حتى خاف الروم أن يكون ذلك
استدراجًا لهم إلى الصحراء، فتوقف القتال.

وهكذا تبديلت هزيمة جيش المسلمين إلى نصر، وأي نصر أكبر من صعود جيش يبلغ
عدده ثلاثة آلاف مقاتل، وميمن يبلغ عدده مائتي ألف مقاتل، وإن كان لم يقف جندي
واحد ميمن مبين من الجنود المحمدين بالسلاج، ولكن قوة الإيمان التي جعلت المسلمين
يصمدون أمام جيش العدو، وترجع الجيش الإسلامي بكامله إلى عمق الصحراء، ثم بدأ
الجيش رحلة العودة إلى المدينة المنورة سالًا.

استقبال النبي وأهل المدينة الجيش

لم اقترب الجيش من المدينة تلقىهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون،
ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال: "مَعِنَّاهُمَا التَّوْبَةِ! فَأَصْلَحُوهُمَا، وَأَعْطُوهُمَا بِنَّ
جَعْرِهِ. فَأَيُّ بَعْضِيَّةَ اللَّهِ فَأَخَذَهُ فَحَمَّلَهُ بِبَيْكَة، وَكَانَ النَّاسُ يَكْنُونُ على الجيش التراب
أيام لا تنسي... صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

و يقولون: يا قَرَّارَاء فرتم في سبيل الله، فيقول رسول الله ﷺ: "ليَسْوَا بِالْقَرَّارَاء وَلَكِنْهُمُ الْجُرُورُ.
إن شاء الله تعالى«.  

دروس وعبر

هذه هي غزوة موتية تكاد تنفجر عظة وعبرة، فإن يقرأ القارئ هذه الأحداث إلا ويجد الإعجاب قدر لسانه؛ فآي بشر هؤلاء؟ يقفون بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل أمام جيش هائل قوامه مائتي ألف مقاتل. إن تصورُوا سريعاً للغوتين لِعَطْيُ نتائج حاسمة بانصار الجيش الكبير على الجيش المقابل، ومع ذلك يتقدم المسلمون على قلة عددهم، وضعف عُدْدُهم ليضربوا أعظم صور التضحية والفاء؛ بل وليتصوروا على ذلك العدو، في أعظم مهلة يترُضُّ لها جيش الإمبراطورية الرومانية، إن غزوة موتية بكل المقاييس العسكرية معجزة من المعجزات، وكراة من الكرامات، لقد وضعت معركة موتة القاعدة العسكرية الإسلامية في مواجهة العدو، فنحن لا نقاتل بعدد ولا عَدْة؛ ولكن نقاتل بهذا الدين، فإذا كان قتالنا نصرة لدین الله، وقما ما استطعنا بها أوجه الله علينا من الأخذ بالأسباب الظاهرة، كان النصر حليفاً بذن الله.

* * *

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 2/382، ابن كثير: السيرة النبوية 3/479.
الفصل الثاني
أيام لا تنسى في عهد الخلفاء الراشدين
معركة ذات السلاسل

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>التحريرون</th>
<th>الخسائر</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>12 هـ / 833 م</td>
<td>القيصر</td>
<td>ألف قتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الكويت</td>
<td>الفرقة والحملة</td>
<td>ألف شهيد</td>
</tr>
<tr>
<td>انضمار المسلمين</td>
<td>هرمز</td>
<td>30 ألف قتيل</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمبراطورية الساسانية الفارسية (زراوشتيون)</td>
<td>خالد بن الوليد</td>
<td>80 ألف قتيل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخلافة الراشدة (مسلمون)</td>
<td>18 ألف قتيل</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
أيام لا تنس... صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

لا ننسى، فقد جاتك يقوم يحبون الموت كي يحبون الحياة.

وهذا أصدق وصف لجند الإسلام، وهو الوصف الذي جعل أعداء الإسلام ياهبون المسلمين، وهو النشاطة الغالية التي خرجت من قلوب المسلمين، وله حمزة الوهن الذي قال عنه رسول الله ﷺ: أنه سبب تكالب الأمم علينا، وهو كي عرفه الرسول ﷺ: "عَبْدُ الْدُّنَيَا وَكَرَاهِيَةُ الْحُرُم"(1).

ขอบ الاستنزاف

رفض هرمز الرسالة الإسلامية التي تدعو إلى الإسلام أو الجزية، واختار بيده مصرف المحتوم، وأرسل إلى كسرى يطلب الإمدادات، وبالفعل أرسل كسرى إمدادات كبيرة جدًا، واجتمع عند هرمز جيش جرار عظيم النشوب، وبنى هرمز خطته على الهجوم على مدينة كاهثة ظنًا منه أن المسلمين سوف يعكرون هناك، ولكن يصدم أمام العقلية العسكرية الفذة للقائد خالد بن الوليد؛ فقد قام خالد بن الوليد بهجوم يُعرّف في العلم العسكري الحديث بحرب استنزاف، ومناورات مُرهاة للجيش الفارسي؛ قام خالد وجيشه بالتوُجُوّه إلى منطقة الحفري، وأقبل هرمز إلى كاهثة فوجدها خالية، وأخبره الجواسيس أن المسلمين قد توجهوا إلى الحفري، فتوجه هرمز بسرعة كبيرة جدًا إلى الحفري حتى يُسرق المسلمين، وبالفعل وصل هناك قبل المسلمين، وقام بالاستعداد للقتال، وحضر خانق، وعايا جيشه، ولكن البطل خلال يُقرر تغيير مسار جيشه، فكر راجعًا إلى مدينة الكاهثة، ويعكر هناك ويسريح الجند قبل القتال.

تصل الأخبار إلى هرمز فيشتبه غباؤاً، وتتوتر أعياصه جدًا، ويتحرك بجيشه المرهاة المتعبة إلى مدينة الكاهثة؛ ليستعد للمصادم مع المسلمين، وكان الفرس أدرى بطبيعة الأرض وجغرافيا المكان من المسلمين، فاستطاع هرمز أن يُسيطر على منابع الماء؛ بأن جعل نهر الفرات وراء ظهره حتى يمنع المسلمين منه، وصدق الحق عندما قال: "وَعَسَىٰ أَنْ تَكَرَّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ كُلُّ نَّداً" (البرءة: 216)، فقد كان سبيًا لاستعجال حرب المسلمين حماستهم ضدبناء.
الفوضى، وقال خالد بن الوليد كلمته الشهيرة تفتيحًا بها الجند: "ألا انزلوا وحطورا رحالكم،
فلعمر الله ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وأكرم الجندين".
وقبل أن يصعد هرمز قائد الجيش الفارسي مع جيوش المسلمين أرسل بصورة الوضع إلى
كسرى، الذي قام بدوره بإرسال إمدادات كبيرة يقودها قارن بن قبرس يكون دورها الحفاظ على
مدينة الأنبة في حالة هزيمة هرمز أمام المسلمين، لأهمية هذه المدينة كباشرة.

سلاسل الموت

كان هرمز رجلاً متكبرًا أهوجًا، لا يستمع إلا لصوت نفسه فقط، برهن الاستعاع
لتصاح قواده، وأصر على أن يربط الجنود الفرس أنفسهم بالسلاسل؛ حتى لا يفرّوا من
أرض المعركة، كتاباً عن القتال حتى الموت! لذلك فقد شهدت المعركة بذات السلاسل.

وكان أول وقود المعركة وكا هو معتاد وقتها أيام الحرب أن يخرج القواد للمبازرة،
وكان أول الوفود عندما خرج القائد الفارسي هرمز لمبازرة القائد المسلم خالد بن الوليد،
وكان هرمز كأرسلنا شديد الكفر والخيانة، فاتفق مع مجموعة من فرسانه على أن يهجموا
على خالد، ويفتشوا به أثناء المبازرة، وبالفعل خرج المسلم للفراق الكافور، وبدأت المبازرة، ولم
يعهد أو يعلم عن خالد بن الوليد أنه هرمز فقط في مبازرة طوال حياته قبل الإسلام. وبعد،
وقبل أن تقوم مجموعة العدو بجريمهم البشارة، فطل أحد أبطال المسلمين الكبار لذا،
وهو البطل الفارسي التعاقب بن عمر، وهو مثل خالد في البطولة والشهامة، فخرج من بين
الصفوف مسرعاً، وانقض كالأسد الضاري على مجموعة العدو فقتله جميعاً، وفي الوقت
 نفسه أُجهز خالد بن الوليد على الخائن هرمز وذبحه كالنعم، وكان لذلك الأمر وقعاً شديدًا
في نفوس الفرس؛ حيث انفتر عقدهم، وانحلَّ نظامهم لمجتل قادتهم، وولوا الأدبار، وركب
المسلمون أكثراً منهم، وأخذوا ب阿富汗هم، وقتلوا منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وغرق الكثير في نهر
الفرات، وقل المربوطون بالسلاسل عن بكر أهله، وكانت هزيمة مدوية على قوى الكفر
وعُبّاد النار، وفرير باقي الجيلى لا يلوي على شيء.

(1) لا يُلوي على شيء أي: لا يُلقي أو لا يُعطف على شيء. ابن منصور: لسان العرب، مادة (لوى) 213/15.
الفزع الكبير
لم تنه فصول المعركة عند هذا الحد، فمدينة الأبلة لم تفتح بعد، وهناك جيش قویة
ترابط بها للدفاع عنها حال هزيمة جيشه هرمز وقد كانت، ووصلت قلول المهزمين من
جيشه هرمز، وفي حالة برثها من هول الهزيمة، والقلوب فزعة وجلة، وانضمت هذه
القلول إلى جيش قارن بن قريش المكلف بحماية مدينة الأبلة، وأخبروه بصعوبة الأمر فامتلا
قلبه هو الآخر فزعًا ورغبًا من لقاء المسلمين، وأصر على الخروج من المدينة للقاء المسلمين
خارجها، وذلك عند منطقة المزار، وإنما اختيار تلك المنطقة تحديًّا لأنها كانت على ضفاف نهر
الفرات، وكان قد أعد أسطولاً من السفن استعدادًا للهرب لو كانت الدائرة عليه، وكانت
قلول المهزمين من جيش هرمز ترى أقصى البقاء داخل المدينة والتحصن بها، وذلك من
شدة فزعهم من لقاء المسلمین في الميدان المفتوح.
كان القائد المعنک خالد بن الوليد يعتمد في حروبه دائمًا على سلاح الاستطلاع الذي
ينقل أخبار العدو أولاً بأول، وقد تقلت له استعراضاته أن الفرس مسكون بالمزار، فأرسل
خالد المعيلة إلى كركوك إلى اليمن حتی يعلم بما سوف يتصرف بالمزار، لضرب المعسكرات الفارسية هناك.
ليفتح الطريق إلى الأبلة، ثم انطلق خالد بأقصى سرعة للصدام مع الفرس، وأرسل برفقه
طيلة من خبرة الفرسان يقودهم أسد العراق замين بن حارثة، وبالفعل وصل المسلمون
بسرعة لا يتفوقها أحد من أعدائهم.
القطاعة العسكرية
عندما وصل المسلمون إلى منطقة المزار أخذ القائد خالد بن الوليد يفحص المعسكر، وأدرك
بخبرته العسكرية، وخططه الفذ أن الفزع يملأ قلوب الفرس، وใจها، وتم تأسيس الفرس
من باماكوس ومن هرمز، وعندها أمر خالد المسلمين بالصبر والثبات في القتال، والإقفال بلا رجوع، وكان
جيش الفرس يقترب بهم الناس، وجرى قلوب المسلمين بشدت أشرارًا، وميزان القوى المادي نصلح
الفرس، خرج خالد الفرس قارن وكان شجاعًا يطيل، وطلب الماربة من المسلمين فخرج له رجلان
خالد بن الوليد وأعراض من البادية، لا يعلمهم أحد اسمه معقل بن الأعشى الملقب بأبيض الركبان
لبارزته، وبين الأعراض خاصة، وانقض كالمصعقة على قارن وقتس في الحال، وخرج بعده عدد من
أبطال الفرس وقادته، فبرز عاصم بن عمرو الفائد الأنصاری، فقتله، وبارز الصحابی هو بن
حاتم القائد قبّذ فقتله في الحال، وأصبح الجيش الفارسي بلا قيادة.

كان من الطبيعي أن يطرط عقد الجيش الفارسي بعد مصرع قادته، ولكن قلوبهم كانت مشحونة بالحقد والغيرة من المسلمين، فاستناروا في القتال على حق وحنكة، وحاولوا بكل قوتهم صد الهجوم الإسلامي ولكنهم فشلوا في النهاية تحت وطأة الهجوم الكاسح، وانتصر المسلمون انتصاراً مبيناً، وفتحوا مدينة الأبلة، وبذلك استقر الجنوب العراقي بأيدي المسلمين، وسيطروا على أهم موانئ الفرس على الخليج، وكان هذا الانتصار فاتحة سلسلة طويلة من المعارك الطاحنة بين الفرس والمسلمين على أرض العراق، كان النصر فيها حليقاً للمسلمين في جملتها، وانتهت بسقوط مملكة عبّاد النار.
معركة الولجة

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1323م/12هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>العراق قرب نهر الفرات</td>
</tr>
<tr>
<td>الفوز ساحق وحاسم للمسلمين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المنتحرون</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الخلافة الراشدة (مسلمون)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>خالد بن الوليد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الأندزغر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>القوى واللحشود</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>25 ألف مقاتل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>15 ألف مقاتل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أكثر من 20 ألف قتيل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>حوالي ألفي شهيد</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة الولجة التي وقعت في بلاد الرافدين في عام (12/1323م) بين جيش الخليفة الراشدين بقيادة خالد بن الوليد وبين الإمبراطورية الفارسية حلفائها من العرب المسيحيين، في هذه المعركة كانت قوات الفرس ضعيفة قوات المسلمين، وبالرغم من ذلك هزم خالد بن الوليد القوات الفارسية رغم تفوقها العددي بنسخة طويلة من حركة الكياشة التي استخدمها قادة الحرب قبله.

الجيش الفاسي

أمر الإمبراطور الفاسي أردشير الثالث بتركيز جيشين أخرين في يوم معركة نهر الدم نفسه، وبعد أوامر أردشير الثالث بدأت القوات الفارسية بالتحجج في العاصمة الإمبراطورية وجاجت القوات من كل المدن والحمايات باستثناء من يجرون الحدود الغربية مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وفي أيام قليلة كان الجين الأول مستعدًا؛ حيث تفقّع مستشار الإمبراطورية الفارسية العسكريون أن المسلمين سيطرون مع الفرس على الشلال الغربي في العراق؛ لبهم يعرفون أن القوات العربية عبر التاريخ لا تتحرك بعيدًا عن الصحراوات، والتي تستخدمها للتراجع في حالة الهزيمة.

وبدع توقع محرك جيش المسلمين صوب الغرب، اختار أردشير الثالث الوجبة كالكان الذي سيبقى في خالد بن الوليد ويدمر جيشه.
أيام لا تنسى في عهد الخلفاء الراشدين

كانت أول جيوش الإمبراطورية الفارسية قد وصلت إلى قسطسفيون، ووضعت تحت قيادة أندرززار حاكم خراسان، فأمر أندرززار جيشه بالتقدم إلى الولجة؛ حيث سيلتحق به الجيش الثاني قريبًا، وانطلق الجيش الأول من قسطسفيون، وانطلق على طول الضفة الشرقية من دجلة، وعبر دجلة في كاسكاد ثم انتقل إلى الجنوب الغربي إلى الفرات، وبالقرب من الولجة عبر الفرات وأنشأ معسكره في الولجة.

جيش المسلمون

كانت معركة نهر الدم نصرًا مهمًا للمسلمين، فمنع انخفاض خسائرهم، هزم المسلمون جيشهما فارسيًا كبيرًا وحصوا على كمية هائلة من الغنائم، أتت نتائج بدأ المسلمون يدركون ضخامة موارد الإمبراطورية الفارسية، ولكنهم لم يضحوا سوى معركتين متقلتين مع جيشين متصلتين، والمسلمون هم الذين استروا عن أمراً آخرًا، ولا يزالون سوى عن هواشم الإمبراطورية، فذكر أن الفرس يمكنهم صرف عدد جيوش ميدانية في آن واحد كمثل تلك التي خاضت في معركة كازاريا ومعركة نهر الدم.

نظم خالد شبكة عملاء فعالية تعلمهم بمواصفات الفرس، وكان العملاء من العرب المحليين الذين كانوا معادين للفرس، وقد أبلغ العملاء خالدًا عن تركيز الجيش الفارسي الجديد في الولجة، وعن أعدادهم الكبيرة.

كان خالد مصليًا على الحصول على الحيرة، وكانت الولجة في طريقها إليها، ومع جيش بلغ حوالي 15 ألف رجل، انطلق خالد في اتجاه مدينة الحيرة، وعرّف على نحو سريع على طول الحافة الجنوبية من المستنقعات، قبل أيام قليلة من توقيع بأها MATLAB، بدأ الجيش المسلم في الظهور في الأفق الشرقي، وأقام غيمه على مسافة قريبة من الولجة.

مناورة خالد

كانت أعداد كبيرة من الفرس السياسيين قد فروا من المعارك السابقة، وعادوا إلى جمل السلاح مرة أخرى، والناجون من معركة ذات السلاسل انضموا إلى قارين، وقاتلوا في معركة نهر الدم، والحاجون من معركة نهر الدم انضموا إلى أندرززار والآن انجبوا نحو الولجة، واجه المسلمون هاجسين، وإستراتيجية واحدة وتكنيك واحد:

- الهاجس الأول والإستراتيجية: كان جيشان من الفرس على وشك أن يجتمعان
لاعترض للمسلمين، وخلال هذه المشكلة عزم خالد بن الوليد على الهجوم بسرعة، والمحارية، والقضاء على الجيش الأول (جيش أندرزغار)، ثم الجيش الثاني (جيش باهنام) قبل وصوله إلى مكان المعركة.

الهاجس الثاني والتكتيك: منع مقاتلي العدو من الهرب من خضم المعركة، وإعادة تنظيم صفوفهم والعودة لواصلة القتال؛ لذلك قرر خالد إحاطة الجيش الفارسي، والانقضاض عليه من الخلف، وتمدّد جيشهم في هذا الوقت، إذ كانت خالد نويًا من حركة الكاشة.

أعطى خالد توجيهاته إلى سويد بن مقرن لرئية الإدارة للمناطق التي غزاها مع فريق من المستسلمين، ودُمرت مفاصل خرازة دجلة من احتلال عبور العدو وهجومه من الشمال والشرق، وإعطاء أي تحذير عن قوات جديدة للاحذر في تلك الاتجاهات.

موقع المعركة

أرض المعركة عبارة عن سهل شاسع ممتلئ بين مرتفعين يمتدان إلى حوالي ميلين، وارتفاع 30 قدمًا، الشياش الشرقي من السهل يداخل مع صحراء قاحلة، وعُلقة قربة من الشياش الشرقي يظهر لنا فرع من الفرات يُسمى نهر خافر.

المعركة

كان أندرزغار واثقًا من النصر، حتى إنه لم يزعج نفسه بالانسحاب إلى ضفة النهر، على بعد ميل واحد، ليتمكن من استخدام النهر لحماية عمق الجيش.

وفي (12 مارس 632 م) تم نشر الجيشين لخوض المعركة، ولكن منها مركز وأجنبية. أجنحة المسلمين كانت بقيادة عاصم بن عمرو وعاصي بن حاتم، وانتشر الجيش الفارسي في وسط السهل، وكان يواجهه لليمين والجنوب الشرقي، وفي الجنوب الغربي كانت وراءه التلال، شغل خالد جيشه أمام تلال الشياش الشرقي، في مقابل الجيش الفارسي. وفي وسط ساحة المعركة، أي
أيام لا تنسي في عهد الخليفة الراشدين

ال نقطة الوسط بين الجيشين كانت تبعد حوالي ميلين إلى الجنوب الشرقي من عين الوهارى، وعلى
بعد 25 ميلاً إلى الجنوب الشرقي تقع النجف و16 أميال إلى الجنوب الشرقي تقع خش الصنافية.
وكان معظم قوات المسلمين قد تألفت من المهاجرين، مع عدد قليل من الفرس.

توقّف الفرس أن يكون جيش خالد أكبر بكثير، وفي الليلة التي سبقت معركة الولجة
أرسل خالد اثنين من ضباطه بشر بن أبي رحم وسعيد بن مارا وجعل كلاً منهما قائداً على قوة
متحركة تتكون من نحو ألفي فارس، وأمرهم على النحو التالي:

1- يأخذ كل منها فرسانه خلال الليل ويتحرك بسرعة في الجنوب من خيام الفرس.
2- عند الوصول إلى الجانب الآخر من سلسلة التلال التي تimiters وراء خيام الفرس،
سيخفى الرجال، ولكن يحتفظان بهم على أهبة الاستعداد للتحرك خلال فترة قصيرة.
3- عند الصباح ستبدأ المعركة، وسيفوق رجالها وراء التلال، وسيضعان عددًا من
المرافعين لانتظار إشارة خالد.
4- عندما يعطي خالد إشعاره، سيهاجمان القوائم الفارسية من المؤخرة، وكل مجموعة
ستهاجم جنحًا.

صدرت الأوامر اللازمة من خالد لان كان يجب أن يعرف هذه الخطة، حتى يتسنى تنظيم
وتحضير قوات الضربة دون حدوث أي توقف وسريعة نامة؛ لذا لم يتم إعلام المقاتلين المسلمين
العاديين شيئاً من مناورة حركة الكشافة، شكل خالد جيشه إلى 10 آلاف المتطابق قبالة الجيش
الفارسي严重影响، كانت إستراتيجية القائد الأعلى للقوات الفارسية أخرى تعتمد على الدفاع
وترك المسلمين يهاجمون أولًا، وأعدم وقف هجاعتهم حتى يصبح دون فائدة، وبعد ذلك الشروع
في هجوم مضاد للجيش المسلم، وكانت المرحلة الأولى من المعركة كانت وفق خطة
آخر دعبار، فقد أمر خالد الجيش بشن هجوم عام، وكان للجيش الفارسي احتياطات متعلقة
بالمجاعة، هذا ما يتيح لهم التحكم في الجيش المسلمين ومساعدتهم على تنفيذ
خططهم لاستهدال جيش خالد، وخلال هذا الوقت بارز خالد بن الوليد بطل الفرس العمق،
ووُلِمَ على مارد وقعته، فكان هذا نصراً كبيرًا للمسلمين.

كانت المرحلة الأولى قد انتهت، وبدأت المرحلة الثانية من المعركة بهجوم مضاد لجيش الفرس،
وربما شاهد آخر دعبار علامات التعب على الجنود المسلمين؛ لذا احتفظ على أن هذه هي اللحظة
المستقبيلة للمهجوم المضاد للجيش الفارسي فدفع سلاح الفرسان التغلب إلى الأمام لضرب المسلمين.

تمكن المسلمون من مقاولتهم لبعض الوقت، لكن الفرس زادوا الضغط، وكان هناك تراجع

معهم للجيش الإسلامي، لوقف الهجوم حتى إصدار تعليقات أخرى من خالد بن الوليد.

أعطي خالد في النهاية الإشارة على المضي قدمًا في تنفيذ خطته، ومن خلال أفق التلال

التي تمتد وراء ظهر الجيش الفارسي ظهرت قوات من المحاربين؛ واحدة من وراء الجناح
الفارسي الأيمن، وأخرى من وراء الجناح الفارسي الأيسر، ولم يكن سلاح الفرسان الفارسي
الثقيل دافعًا لسلاح الفرسان المسلمين الخفيف، المعروف بسرعته التي لا تُضاهى، وإمكاناته

على تنفيذ المناورات والتراجع والهجوم مرة أخرى، ومع هزيمة الفرسان الفارسيين,

تسبعت الهجمات التي بدأت تعاصر الفرس، واستنادًا لقسم الرئيس من الجيش المسلم

تحت قيادة خالد بن الوليد الهجوم على الجيش الفارسي، وفي الوقت نفسه، مد مجموعتي

الفرسان لإحاطة الفرس قلقةًا، وذلًا وقعت جيش أندرزاغار في شرق، لا يمكن له الفرار منه.

ومع توالى الهجمات التي تأتي من كل الاتجاهات، اجتمع الجيش الفارسي في كتلة مترحلة,

عاجزة عن استخدام السلاح بعزمٍ أو تخريب ضربات الهجومين، ووسط الرماد كان الذين

يريدون القتال لم يعرقوه من قتالون، والذين كانوا يرتدون الفرار لا يعرفون إلى أي جبهة

انتهت المعركة، وألقت خسائر فادحة بالجيش الفارسي، فقط بضعة آلاف من المحاربين

تمكنوا من الفرار، وأندرسغاغار نفسه تمكن من الهرب، لكنه في أعقاب الصحراء العربية بدلًا

من الفرات، وتوّج في تلك المنطقة من العطش.

ما بعد المعركة

بعد المعركة جمع خالد رجاله، وأدرك أن المعركة فرضت ضغطًا هائلًا على قواته، وعلى

الرغم من انتصارهم الساحق على الفرس، كانت معركة الولجة أطول وأشرس المعارك التي

خاضها المسلمون حتى الآن في العراق؛ لذلك سمع خالد بن الوليد إلى ضمان أن تبقى

معنويات المسلمين مرتفعة.

★★★
## معركة عين النمر

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
<th>المطابقة</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>12 هـ/133 م</td>
<td>عين النمر - شمال غرب الحيرة - العراق</td>
<td>الحلفاء الراشدة (مسلمون)</td>
<td>المتجاوزون</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>خالد بن الوليد</td>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>عقبة بن أبي عقبة</td>
<td>القوى والحشود</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>عشرات الآلاف</td>
<td>قليل جدًا</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>كثيرة</td>
<td>الخسائر</td>
</tr>
</tbody>
</table>

وقعت تلك المعركة في العراق ما بين قوات المسلمون بقيادة خالد بن الوليد وبين القوات الساسانية، ومعها جموع من قبائل العرب النصارى، وتقع عين النمر غربي الأردن، وهي منطقة أسسها الفرس لحماية حدودهم، بعد سقوط الحيرة على يد خالد بن الوليد عام 12 هـ/133 م. توجه إلى الحلفاء الراشدة الكبيرة، التي كانت في عين النمر، الواقعة على الطريق إلى دوما النجد، وكان يقتلك العرب النصارى الموالين للفرس، وكانت الحلفاء مؤلفة من قسمين: الأول فارسي تحت قيادة القائد الفارسي مهران بن بحرام، والثاني عربي من قبائل النمر وتغلب وإياد بقيادة عقبة بن أبي عقبة.

وقد تميزت هذه المعركة الغربية بسرعة انتهائها؛ حيث لا لاذ العرب النصارى بالفرار قبل أن تبدأ المعركة فعليًا.

**ما قبل المعركة**

يبدو أن عقبة هذا كان غيراريًا ومعتقدًا، ويدعو أن الرغبة ملكته لحزة الفخر والمجد بالانتصار على المسلمين وحده، فقد طلب من القائد الفارسي مهران أن يبني الساحة ليقاتل هو المسلمون وحده دون مساعدة من الفرس، وقال له: "إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا
وخلال ذلك، وقد علم ما حقق خالد من انتصارات قبل ذلك.

و عندما سمع مهران هذا الكلام من عقة قال له: "صقت؛ لعمري لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم مثلنا في قتال الاجم، دونكموه، وإن احتجتم إليّ أعتاكما". وكان مهران قد أراد تجنب قتال المسلمين؛ لعلمه أنهم لا يقهرون بعد انتصاراتهم المتلاحقة في العراق في ذلك الوقت، وقد اتفق قادة الفرس ذلك الأمر من مهران، واستنكرنا قوله عقة، فقال مهران: "دعوني فإن ما أردت إلا خيرا لكم وشرًا لهم! إن قتالكم من قتال ملوككم وقَل حذم فاتقته بهم، فإن غلبوه خالدًا فهو لكم، وإن غلبوه قاتلنا خالدًا وقد ضعفوا ونحن أقوياء".

فاعتبرنا له بفضل الرأي عليهم.

المعركة
خرج عقة الغروور والمن معه من العرب النصارى من عين التمر للصدام مع المسلمين.
وأوغَل في الصحراء غرورًا منه لمبادرة المسلمين بالهجوم.
ووصل إلى منطقة الكرخ.
وعبا قواته، ووصل المسلمون إلى أرض المعركة، وعزًا خالد الجيش بسرعة، واستعدّ للقتال.

و لم يكن خالد قد رآى عقة من قبل، ونظر إليه نظرة الفاحش الخبر بتفاؤل المحاربين.
فعلم أن هذا الرجل شديد الغرور، فقرر القيام بحيلة بارعة شجاعة، جريئة في الوقت نفسه.
وهي خطف القائد عقة نفسه في عملية فذائية أشبه ما تكون بعمليات الصاعقة، فانتحب.
جموعة خاصة من أبطال المسلمين، وأطلعهم على الفكرة الجريئة.

و كانت الخطة تقضي بأن يبدأ جناحا الجيش المسلمين بالمناوشات السريعة، دون شن هجوم كبير لإشغال الطرفين المقابلين من جيش العرب النصارى، بينما يقب القلب في سكون حتى يعطي خالد إشارة بشن الهجوم، وهذا ما جعل عقة يستغرب من تأخر قلب الجيش.
أيام لا تنسي في عهد الخلفاء الراشدين

المسلمين على الهجوم، وكان خالد ومرافقه في مقدمة الجيش.

ولكن ما حدث في اللحظات التالية هو أن الجنود اندهشوا من هذه المجموعة الصغيرة التي هجع عليهم وهم عشرين الآلاف، ولم يفقروا من هول الصدمة إلا و خالد قد أُسر عند جبل كالطلل الصغير، وعاد به إلى صفوف المسلمين، وعندها تجمعت الدماء في عروق العرب التوارى، وركبهم الفزع الشديد، ففرموا من أرض المعركة دون أن يسلو سيفًا واحدًا.

استكمال الهزيمة وإحراب النصر

لما بلغ مهاران هزيمة عقة وجيشه، وكان قد أرسل الاستطلاع لمراقبة مجريات المعركة، نزل على الحصن وهرب مسرعًا مع حامته باتجاه قطيفون أو المدينة، وترك الحصن بدون حامية.

ورجعت فلول العرب إلى الحصن فوجدوه مفتوحًا، فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار، فلم يروا ما سألوه الصُلح، فأيّ لولا أن ينزلوا على حكم خالد، فجعلوا في السلاسل، وتسلّم الحصن، ثم أمر فُضّرت عقى ومن كان أسر معه، والذين نزلوا على حكمه—أيضاً—أُجِّمعُون، وغنم جميع ما في ذلك الحصن.

من سيايا خالد

وجد خالد في الكنيسة التي في الحصن أربعين غلامًا يتلممون الإنجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد وحافظ على حيتهم، وفرّهم في الأمور وأهل البلاد.

من هؤلاء الغلامين الذين ساهم خالد من كنيسة عين النمر كان سيرين، الذي اشترى أنس بن مالك الأنصاري وأعتقه، وهو والد الفقيه المعروف محمد بن سيرين، وكذلك كان الغلام تُشير من سبي خالد في تلك الكنيسة، وهو والد الفاتح الإسلامي والفائز الشهير موسى بن نصير.

***
## معركة دومة الجندل

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>12 هـ/333 م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>دومة الجندل</td>
</tr>
<tr>
<td>النتائج</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المقاتلون</td>
<td>الملحدين</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>خالد بن الوكيل</td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والحوش</td>
<td>10 آلاف</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>12 - 15 ألف ألف</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قتل أغلب من في الحامية، ووقعت النساء والأطفال والشبان في السبب.</td>
</tr>
</tbody>
</table>

كانت دومة الجندل إحدى المراكز التجارية المهمة على أطراف الجزيرة العربية، تشتهر بسوقها المكتش والغني، وكانت نقطة تقاء مهمة للطرق التجارية بين الجزيرة العربية والعراق وسوريا.

### الاعتقادات السائدة في دومة الجندل وقت المعركة

كان الناس في دومة الجندل يعانون أصنامًا مختلفة، ولكن في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام بوقت قصير ظهرت كل من الديانات النصرانية واليهودية فيها، وبالإضافة إليها ظل الناس يعانون أصنامًا مختلفة حتى ظهور الإسلام، وقد ركزت الروايات على وجود صنم (ود) وأنه كان يُعبد في دومة الجندل.

وقد قام خالد بن الوكيل بتحطيم صنم وعندما ظهر الإسلام عندما بعثه النبي ﷺ بعد غزو بثوب هُمه.

### المسلمين غزوا دومة الجندل عدة مرات سابقًا

غزا المسلمون دومة الجندل في الواقع أربع مرات، كانت الأولى في العام الخامس الهجري عندما قاد النبي ﷺ غزوة دومة الجندل بنفسه ووجدها خالية من سكانها، والأخرى عام
في عام 9 هـ، أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى يافا ليجمع له ملكة أكبر بن عبد الملك الكندي الذي أسلم بني يحيىان، ثم كتب بعدها النبي ﷺ ميثاقًا إلى أهل دومة الجندل.

خلية العركة

في عام 12 هـ وفي الوقت الذي أمر الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد بالتحرك من الباحة نحو العراق، أرسل عياض بن غنم لفتح دومة الجندل وإعادة القبائل الشمالية إلى النفوذ الإسلامي.

وصل عياض إلى دومة الجندل ليقرأ محضنة تخصيصًا شديدًا من قبل كلب العربي المسبيح، الذي كانت تقطن المنطقة على الجانب الشرقي لسوريا، وتمكن عياض على الجهة الجنوبية من الحصن، حيث نشأت حالة تُعتبر هرآ من الناحية العسكرية، فقد اعتذر العرب المسبيحون أنفسهم محاصرين رغم أن الطريق إلى الشمال كان مفتوحًا، والمسلمون الذين كانوا ملثمين للحصول لم يستطيعوا التوقف علهم فيه، وحسب المؤرخين فقد كان الطرفان محاصرين.

وقد انحصرت العمليات القتالية على رمي النيران والترشق من جانب حامية الحصن.

وقد دامت تلك الحالة لعدة أسابيع حتى تعب الطرفان في الوقت نفسه، وعاجلاً من الأعيان بالحجم نفسه تقريبًا، واتبع القائد المسلم نصيحة أحد رجاءه بالكتابة إلى خالد بن الوليد في العراق طلبًا للمساعدة، ففعل وشرح له الوضع القائم في دومة الجندل.

وصلت هذه الرسالة إلى خالد عندما كان يهم بالرحلة من عين التمر باتجاه الخبرة، وكانت الأوضاع في العراق قد استقرت، في اليوم التالي لوصول نباً عياض غادر خالد بن الوليد عين التمر على رأس ستة آلاف رجل باتجاه دومة الجندل.
التغينة العامة الجديدة
عرفت الحامية في دومة الجندل بقدوم خالد إليها، وكان في قيادتها كل من أكيد بن عبد الملك الكثني الذي ارتد عن الإسلام والجودي بن ربيعة، ونشب خلاف بين القادة العربيين فتنازل أكيد عن القيادة، ويرى الطبري في تاريخه أنه لما بلغهم نبو خالد وكانوا على رئيسين أكيد بن عبد الملك والجودي بن ربيعة اختلقوا، فقال أكيد: أنا أعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائرًا منه، ولا أخدي في حرب، ولا يرى وجه خالد قومًا أبداً قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطعوني وصالحوا القوم». فأجاب عليه، فقال لهم: «لن أهلكم على حرب خالد فشأنكم». فخرج وبلغ ذلك خالد، فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له، فأخذوه وأتى به إلى خالد فنضرب عنه.
وأعلنت حالة الاستنفار في الحصن، حيث كانت الحامية مستعدة للصمود أمام عياض بن غنم، ولا فرصة لها بالصمود إذا شارك خالد في الخصائر، وأرسل المحاصرون رسالهم على عجل إلى القبائل العربية المجاورة يطلبون الدعم، وقد لَّبَت القبائل العربية

*الرسمة: ختام دومة الجندل (27 رجب 13 هـ = 4 أكتوبر 632 م)*
الأيام لا تتسم في عهد الخنازير الرشادين

المسيحية نداء الاستغاثة بحماس؛ فقد انضمت قوات من الغساسنة ومن كلب للدفاع عن الحصن؛ حيث عسكر أغلبهم تحت جدران الحصن بسبب ضيق المكان فيه.

سير المعركة

بعد وصول خالد بن الوليد ضم عباضًا إلى قيادته، وصار مجموع قوات المسلمين حوالي 10 آلاف في مواجهة 12 - 15 ألفًا في المقابل.

أوكر خالد لرجال عباض بن غنم بصد الطريق إلى الجنوب من الحصن، وتمكن بجنوده إلى الجبهات الشرقية والشمالية الغربيّة؛ معقلًا بذلك الطريق إلى العراق والأردان، مستفيدًا بعض قواته القوية على مسافة بعد كا誓言يًا؛ حيث يستطيع تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة قبل الهجوم على الحامية بعد إضعافها، وقد تمكن بقواته بعدها عن الحصن.

وانتظر قائد العرب المسلمين جودي بن ربيعة المسلمين كي يقوموا بالحركة الأولى، ولكن المسلمين بقوا هادئين، وبعد فترة وجد جودي أن المسلمين لن يقوموا بالهجوم، فقرر هو البدء بالهجوم والتحرك بمجموعتيهم؛ الأولى هاجم عباضًا على الطريق العربي، بينما يقود هو المجموعة الثانية الأكبر عددًا، التي تضم قتيته وعديته، لمهاجمة معسكر خالد بن الوليد الواقع في الشعل.

وتمكن عباض من رد الهجوم، حيث خرجت المجموعة الأكبر، بقيادة وعديته ونحت قياده جودي، وفي الوقت نفسه لمهاجمة خالد، الذي كان على الطرف الآخر من الحصن متاحًا بجيشه للمعركة، وعندما رأى جودي أن المسلمين لم يمكرون ساقًا قتر الهجوم؛ فقد نظم قتيته للقتال وتقام لمهاجمة خالد، وعندما صارت المسافة قريبة جدًا بين اليهود أمر خالد فجأة بالهجوم، وضرب جودي يعصف وسرعة كبرى، فقتّر جيش جودي خلال دقائق قليلة.

قصر جودي مع مئات من رجال قتيته، بينها هرب اليهود بشكل عشوائي باتجاه الحصن، أما العرب اليهود في الحصن الذين لم يغادروا فقد رأوا حشرًا كبيرًا من البشر يزعج باجئي الحصن، نصفهم من المسلمين، فأغلقوا أبواب الحصن بوجه رفاقهم، ونعتت قتيته وعديته التي كانت تقاتل مع جودي من الحصن، ووقع المئات منهم في الأسر، وقتل اليهود منهم خلال المعركة العنيفة المأبطة، وقتل آخرون بعد المعركة أثناء القتال عند بوابة الحصن.
آخذ خالد جودي ومن أجل معه إلى أمام الحصن؛ كي يرى الجميع قطع رؤوسهم، ودام الخصائر بعد ذلك لعدة أيام أخرى، وبعدها هاجم خالد الحصن، ودافعت الحامية ما استطاعت، وأبدت مقاومة قدر المستطاع، ولكن أمام جيش خالد المدرب جيداً على القتال لم يكن لها أي فرصة، فذبحت أغلبية الحامية، بينما وقعت النساء والأطفال والشبان في السبي.
كان ذلك في آخر أسبوع من شهر أغسطس من عام (12 هـ/733 م).

بعد المعركة
أمضى خالد بن الوليد عدة أيام بعد المعركة في دومة الجندل، توجه بعدها إلى الحيرة واصطحب معه عيان بن غنم تحت قيادته، وعند وصوله إلى الحيرة كانت الأوضاع في الجبهة العراقية قد ساءت من جديد.

***
# معركة أجنامين

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>۱۳۴/۶۳۴ م</td>
</tr>
</tbody>
</table>

- أجنامين قرب مدينة الرملة في فلسطين
- انتصار المسلمين

<table>
<thead>
<tr>
<th>المكان</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الإمبراطورية البيزنطية</td>
<td>المحاربون</td>
</tr>
<tr>
<td>خالد بن الوليد</td>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td>۴۰ ألف مقاتل</td>
<td>القوى والحشود</td>
</tr>
<tr>
<td>۹۰۰۰ شهيدًا</td>
<td>الخسائر</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة أجنامين هي معركة وقعت بين المسلمين والبيزنطيين عام (۱۳۴/۶۳۴ م) قرب مدينة الرملة في فلسطين، وكانت أول لقاء كبير بين جيوش الخلافة الراشدة والروم البيزنطيين في الصراع على الشام، وجرت قبل حوالي ستين من اللقاء الفاصل والخاصم في معركة البرموق عام (۱۵۶/۶۳۶ م).

الاستعانة بخالد بن الوليد

بعث الصديق إلى خالد بن الوليد بأن يقدم إلى الشام ومعه نصف قواته، التي كانت معه في العراق، حتى يتلقى بأبي عبيدة بن الجراح ومن معه، ويتمكِّن يداًً كلاً، وفي الوقت نفسه كتب الصديق إلى أبي عبيدة يخبره بما أقدم عليه، وجهه في كتابه: «إنّي قد ولّيت خالدًاً قنّال الروم بالشام، فلا تخافه، وإسمع له وأطيع أمره، فإنّي قد ولّته عليك، وأنا أعلم أنك خير منه، ولكنّ طالب أن له فضيلة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبكم السبل الرشاد، والسلام عليك ورحمة الله».

امتلّ خالد بن الوليد لأوامر الخليفة، وخرج من الحيرة بالعراق في (۸ من صفر ۱۳۴/۴ من أبريل ۶۳۴ م) في تسعة آلاف جندي، فسار شالام ثم عجز حتى اجتاز صحراء السياوة في واحدة من أعرضاً المغامرات العسكرية في التاريخ، وأعظمها خطرًا؛ حيث قطع أكثر
من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يومًا في صحراء مُهلكة حتى نزل بجيشه أمام الباب الشرقي
لدمشق، ثم سار حتى أيت أبا عبيدة بالغابية، فالتقى ومضى بهجيشاً إلى مصر.
تجمعت الجيوش كلها تحت قيادة خالد بن الوليد، وحاصر بصرى حصارًا شديداً
واضطرت إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فأجابا خالد إلى الصلح وفتحها الله على المسلمين
في (25 ربيع الأول 13 هـ/20 مايو 634 م)، فكانت أول مدينة فتحت من الشام صلحًا على
أن يُؤبيدوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم، نظير الجزية التي سيدفعونها.

الاستعداد لاجنادين
بعد سقوط بصرى استنفر هرقل قواته، وأدرك أن الأمر جدل لا هدر فيه، وأن مستقبل
الشام بات في خطر ما لم يُواجه المسلمون بكل ما يملك من قوة وعتاد، حتى تسلم الشام
وتبعه طيبة تحت إمرة، فحشد العديد من القوات الضخمة، وبعث بها إلى بصرى حيث
شرحبيل بن حسنة في قواته المحدودة، وفي الوقت نفسه جهز جيشًا ضخمًا، ووجبه إلى
أجنادين من جنوب فلسطين، وانضم إليه نصارى العرب والشام.
تجمعت الجيوش الإسلامية مرة أخرى عند أجنادين، وهي موضوع يعد عن "بيت
جرير" بحوالي أحد عشر كيلو مترًا، وعن الرملة حوالي تسعة وثلاثون كيلومترًا، وكانت
ملتقمًا مهيبًا للطريق.
نُظم خالد بن الوليد جيشه البالغ نحو 40 ألف جندي، وأحسن صنعه وترتيبه على نحو
جديد، فهذا أول مرة تجمع جيوش المسلمين في الشام في معركة كبرى مع الروم، الذين
استعدوا للفداء بجيش كبير بلغ 90 ألف جندي.
شَكَّل خالد جيشه ونظمه ميمنة وميسرة، وقبًا ومؤخرة؛ فجعل على الميمنة معاذ بن
جبل، وعلى الميسرة سعيد بن عامر، وعلى الماشي في القلب أبا عبيدة بن الجراح، وعلى الخيل
سعيد بن زيد، وأقبل خالد يمر بين الصفوف لا يستقر في مكان، يُحرض الجنود على القتال،
ويجعلهم على السับ والتابة، ويشد من أزرهم، وآقام النساء خلف الجيش يتهنئ إلى الله
ويدعونه، ويصرخ بهم ويستنكر نصره ومؤمنه، ويحسين الرجال.
وهنا جيش الروم للقتال، وجعل قادته الرجالية في المقدمة، بلهم الخيل، وأصدرت
الجيش في كتاب، ومدَّ صفوفهم حتى بلغ كل صف نحو ألف مقاتل.
اشتمال المعركة

وبعد صلاة الفجر من يوم 27 جمادى الأولى 1312 هـ (30 من يوليو 634 م) أمر خالد جنوده بالتقدم حتى يقتربوا من جيش الروم، وأقبل على كل جمع من جيشه يقول لهم: "اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تنكحوا مع أعقابكم، ولا تنها من عدوكم، ولكن أقدموا كأقدام الأسد وأثمان أحجار كلام، فقد أبِئم الدنيا واستوجه على الله ثواب الآخرة ولا يهولكم ما ترون من كثيرهم؛ فإن الله منزل عليهم رجزهم وعاقبهم". ثم قال: "أيها الناس إذا أنا خلت فاخملوا".

وكان خالد بن الوليد يرى تأخير القتال حتى يُصَلَّبَوا الظهر، وله الرياح، وهي الساعة التي كان رسول الله ﷺ يحب القتال فيها، ولو أدى ذلك أن يقف مدافعاً حتى تحين تلك الساعة.

أُعجب الروم بكثرةهم وغزتهم قوتهم وعتادهم فبدروا بهجوم على الميمنة؛ حيث يقف معاذ بن جبل، فثبت المسلمون ولم يتزحزح أحد، فأعادوا الكرة على الميمنة، فلم تكن أقلً ثباتاً وصبراً من الميمنة في تحمل الهجوم الشرسة وردوها، فعادوا يُطردون المسلمين ببلاهم، فتبادر قادة المسلمين طالبين من خالد أن يأمرهم بهجوم، حتى لا يظن الروم بالمسلمين.
أيام لا تنسي. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

ضعيفًا ووهجًا ويعاودون الهجوم عليهم مرة أخرى، فأقبل خالد على خيل المسلمين، وقال:

«احملوا رحمك الله على اسم الله». فحملوا حملة صادقة زلزلت الأرض من تحت أقدام عدوهم، وانطلق الفرسان والشامى يُمزِّقون صفوف العدو، فاضطررت جموعهم، وهانت فواهم.

فلا يرى القبلاء قائد الروم أن الأمر خرج من يده، وأن الهزيمة واقعة لا محالة بجوده قال معه: «ألفوا رأمي بثوب». فلما تعبوا من طلبه قال: «يوم البيعة لا أحب أن أراه! ما رأيت في الدنيا يومًا أشد من هذا». وما لبث أن حز المسلمون وراءه وهو ملبس بثوبه، فانهارت قرو الروم، واستسلمت للهزمة، ولم يبلغ هرقل أخبار الهزيمة امتنًا قلبه رعًا.

بطولية وفداء
وفي هذه المعركة أقبل المسلمون بالله حسبًا، وضربوا أروع الأمثلة في طلب الشهادة، وإظهار روح الجهاد والصبر عند اللقاء، وبرز في هذا اليوم من المسلمين ضرار بن الأزور، وكان يومًا مشهودًا له، وبلغ جملة ما قتله من فرسان الروم ثلاثين فارسًا، وقتلت أم حكيم الصحابية الجليلة أربعة من الروم بعمود خيمتها.

وبلغ قتل الروم في هذه المعركة أعدادًا هائلة تجاوزت الآلاف، واستشهد من المسلمين 450 شهيدًا.

الرسالة
وبعد أن انتهى غبار المعركة وحقق النصر، بعث خالد بن الوليد رسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق يُبَشِّر بالنصر وما أفاء الله عليهم من الظفر والعشمة، وجاء فيها: «أما بعد فإن أخبرك أبا الصديق أنا الثنيان نحن والمشاركون، وقد جمعنا لنا جموعًا جمة كبيرة بأجانب، وقد رفعنا صلبهم، ونشروا كتبهم، وناقشنا ما شاء الله لا يفرقون حتى يقنون أو يخرجون من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متكيلين على الله، فطاعناه بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، ففارعناهم في كل فج. فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه، وحسن الصنع لأوليائه». فلما قرأ أبو بكر الرسالة فرح بها، وقال: «الحمد لله الذي نصر المسلمين، وآثر عيني بذلك».

***
معركة الجسر

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>13/12 هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>قرنة الناففين - العراق</td>
</tr>
<tr>
<td>هزيمة المسلمين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>نتيجة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الإدارة الساسانية الفارسية (زرادشتية)</td>
<td>الخلافة الراشدة (مسلمون)</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>المتمردون</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبد القدسي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والحشد</td>
<td>8 آلاف مقاتل، 10 فيلة</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>4 آلاف شهيد</td>
</tr>
<tr>
<td>4 آلاف قتيل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أكثر من</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

ينبغي لنا تاريخ العيسارية الإسلامية كثيرًا من الدروس، التي تبقى الاستفادة منها واجبة ومكينة في كل وقت، وحتى تلك المعارك التي خسر فيها المسلمون تستدعي التوقف عندما وقراءة الأسباب التي أدت إلى الهزيمة، ولعل أشهر تلك المعارك معركة الجسر التي جرت يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان عام 13 هجرية.

اجراء الإعداد للمعركة

نتيجة للتطورات العسكرية على الجبهة مع الروم، تم نقل قسم كبير من الجيش إلى الجبهة المواجهة للروم، عنددها ركز الفرس جدهم على تصفية الوجود الإسلامي في العراق، فقرر القائد المثنى بن حارثة تجميع الجيش المسلم على حدود العراق، وذهب مسراً لعرض الأمر على الخليفة أبي بكر الصديق، ووجده ميتًا، وسرعان ما توفي وتوالى الخلافة بعده عمر بن الخطاب، ففرض عليه المثنى الوضع العسكري في العراق، وقد كانت المهام كثيرة أمام عمر بن الخطاب بعد تسليمه الخلافة، ومع ذلك أولى الجهاد ضد الفرس في العراق اهتمامه، فنادى على الناس داعيًا بإيام للجهاد ضد الفرس، ولكن الوضع لم يكن واضحاً
أيام لا تنسى - صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

بالمامة بالنسبة للمسلمين في تلك الفترة الانتقالية بين حكم خليفيين، فتردّد الناس في تلبيه الدعوة، وبعد محاولات متكررة منهج استجابة حوالي ألف رجل، فجمعهم وأثر عليهم أبا عبيد الثقفي، ووجههم للعراق، وبحسب إجماع المؤرخين، لم يكن أبو عبيد الثقفي مؤهلاً تماماً للقيادة، ولكنه كان مروقاً بشعاعته وإخلاصه وقوته؛ حتى إن المثل كان يضرب بشعاعه بين العرب وقتها، وهو ما كان يدركه عمر بن الخطاب، ولكن في تلك الفترة العصبية لم يكن أمامه خيار آخر سوى تسليم قيادة الجيش لأبي عبيد، الذي ما إن دخل العراق حتى نظّم الصفوف، واستطاع يفعل الله ثم بشعاعته وإقامته أن يستعيد كل الأراضي التي خُلّى عنها المسلمون، وبحسبه الذي لا يزيد عن عشرة آلاف مقاتل استطاع أن ينتصر في ثلاث معارك كبيرة هي النزار والساساطة والسقيان، وكان الخليفة عمر يتبع بهتهام ويشكل مباشراً أخيراً أبي عبيد، فاطمياً إلى أهليه في قيادة الجيش بعد الانتصارات التي حققها.

الوضع عند الفرس

كان لهذه الانتصارات التي حققها المسلمون بقيادة أبي عبيد أثر مدوّ على الفرس، فتزعمت الجبهة الداخلية الفارسية بقوة؛ حتى إن خصوم رستهم ثاروا عليه، واتهموه بالتقصير والتخاذل عن قتال المسلمين، وبدأ الأخبار المعنوية في صفوف الجيش الفارسي، وكان لابد على رست أن يتحرك لوقف التدهور على الجبهة الداخلية من جهة، وتحقيق أي نصر على جيش المسلمين يرفع من حالة المعنوية لجيشه، فعقد اجتماعاً على أعلى المستويات الفيدالية، واستدعى القائد أجيليوس، الذي فرّ من قتال المسلمين، وغصب عليه شدةً وحكم عليه بالقتل مع وقف التنفيذ، وأنزل رتبته من قائد عام إلى مساعد القائد العام، ثم تشاور مع كبار قادة جيوشه في كيفية تحقيق النصر على المسلمين، وله مئة واحدة في محاولة منه لرفع الحالة المعنوية لجنود الفرس، الذين هُزموا في كل لقاءاتهم مع المسلمين، وكان رستم داهياً، فاختلى أجيليوس القائد السابق للجيش، وتشاور معه حول نقاط القوة في جيش المسلمين، ونقاط الضعف في جيشه، فشرح له أجيليوس أن كثرة العدو لا تعنده مع جيش المسلمين، لأن أسلوبهم القتالي يعتمد على القوة والفرقة، وينهُ بمددون في قتال الأماكن المنبسطة التي تئاب بينهم الصحراوية، وغير ذلك من النقاط التي وضعها رستم في حساباته، واستفاد منها في إعداده للجيش.
آيام لا تنسي في عهد الخلفاء الراشدين

كانت الخطوة الأولى التي قام بها رستم هي اختيار قائد قوي للجيش، فاختار أمهر القادة الفرس وأداههم، وهو (ذو الحاجب يمن جاهدده)، وكان من أشد قادة الفرس كبرًا وحقًّا على المسلمين والعرب، وإنما تسمى بذي الحاجب لأنه كان يصعب حاجبه الكثيفين لرفعه عن عينيه تكبرًا، فاستناد له رستم قيادة الجيش الذي بلغ أكثر من سبعين ألف فارسي، كما اختار رستم بنفسه أمراء الجند وأبطال الفرسان، وليتغلب على أسولب المسلمين في قتال الكر والفرز ورود الجيش ولأول مرة يانتشار المدرعات الفارسية، وهي الفيلة، وليضفي رستم أهمية خاصة على هذا الجيش المدرع أعطاها راية الفرس العظمى باسمها (دارفن كابان)، وكانت مصنوعة من جلد النمور، وكانت هذه الرعاية لا تخرج إلا مع ملوكهم في معاركهم الحاسمة.

وكان أبو عبيد يتابع عبر استخباراته التحريكات العسكرية للفرس، فوصلت إليه أخبار الجيش الجار الذي أعدته رستم لمحاصرة جيش المسلمين فتوجه بجيشه إلى منطقة في شال الحيرة تسمى (جيش الناطف)، وعسكر بجيشه في هذه المنطقة منتظارًا لقعود جيش الفرس، وقُوِّم الفرس، ووقفوا على الجانب الآخر من نهر النرات، فالمسلمون على الناحية الغربية والفرس على الناحية الشرقية بقيادة يمن جاذوه، وكان بين المسلمين جسرًا عائم أقامه الفرس في هذه الأوقات للحرب، وقد كان الفرس مهرة في بناء هذه الجسور، وأرسل بيمن جاذوه رسلًا إلى الجيش الإسلامي يقول له: "إما أن تعبر إليكم، وإما أن تعبروا إلينا".

أبو عبيد يختبر نصيحة عمر

كان عمر بن الخطاب نصح أبو عبيد قبل أن يخرج إلى القتال وقال له: "لا تفصين لك ستراً لأنك مالك أمرك؛ حتى يخرج برك من بين جنبيك، ولا تخفَّى أمرًا حتى تستشير أصحاب رسول الله ﷺ. وأوصوا خاصًا، بسعد بن عبيد الأنصاري وسلب بن قيس من الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعًا، وأخطأ أبو عبيد الخطأ الأول لأخذ ينافق أصحابه ويشاورهم أمام رسول الفرس، وأهاج هذا إفشاء للرسول ولا مور تنظيم الحرب، وأخذت الخيبة عندما وصلتهم الرسالة وقال: "وأنت لا ت/world wwwinston.org: إذا جُنِبًا عن لقائهم". واجتمع الصحابة مع عدم العبور إليهم، وقالوا له: "كيف تعب إليكم وتقطع على نفس خط الرجعة، فيكون الفرات من خلفكم!؟". وقد كان المسلمون وأهل الجزيرة العربية يجدين الحرب في الصحراوات ودائماً كان المسلمون يجعلون لأنفسهم خط رجعة في الصحراوات.
أيام لا تنسي: صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

وإذا حدثت هزيمة يستطيع الجيش أن يرجع إلى الصحراء ولا يملك بكامله، ولكن أبا عبد أصر على رأيه بالعبر، وذَّكرَه أصحابه يقول عمر بن الخطاب: "أنه استهر أصحاب رسول الله ﷺ". فقال: "وألا نكون عندهم جناء". وهذا كله يحدث أمام رسول الفرس، الذي استغل الفرصة ليثير حميم أبي عبد، فقال: "إذا يقولون إنكم جناء، ولن تعبروا لنا أبداً". فقال أبو عبد: "إذن نعب إلىهم". وسمع الجنود وأطاعوا، وبدأ الجيش الإسلامي يعبر هذا الجسر الضيق لوصول الناحية الأخرى التي يوجد بها الجيش الفارسي.

وائلح في هذا الموقف أن الجيش الإسلامي يدخل في منطقة مخصوصة بين نهر يسمى النيل وهو نهر صغير وأحد رؤاد نهر الفرات. وبين نهر الفرات، وكلا النهرتين يمتد إلى البحر، والجيش الفارسي يعاقب بقية المنطقة، فلو دخل المسلمون هذا المكان فليس أمامهم إلا القتال مع الجيش الفارسي، والفرس يتديران آمنه هذا الموقف جيدًا، فأخذوا مكانًا ضيقًا ليعبر المسلمون إليه، وينكسج الجيش الإسلامي في منطقة صغيرة جدًا، ويرى المتنى بن حارثة ذلك ويُمِّد النصارى لا يعنيه قائلاً له: "إذا تلقينا هذا إلى الهلكة". ويُعْرَج أبو عبد على رأيه.
وعبر الجيش الإسلامي بالفعل إلى هذه المنطقة، وكان مع الفرس عشرة آلاف منها الفيل الأبيض، وهو أشهر وأعظم أتراك فارس في الحرب، وتتبعه كل الفيلة إن أقدم أقدموا وإن أحمل أحملوا.

المعركة

بدأت المعركة وقوّمت الجيوش الفارسية يتدفقون الفيلة إلى الجيش الإسلامي المحمور بين نهري الفرات ورافدته نهر النيل، وترجعت القوات الإسلامية تدريجيًا أمام الأتراك، ولكن خلفهم نهرين فاضطرموا للوقف انتظرًا لهجوم الفيلة وقفاً، وكانت شجاعة المسلمين وقوّتهم فائقة، ودخلوا في القتال، ولكن الخيل بعهد أن رأى الأتراك فزع وهرب، وكانت نسبة في عقعة إبقاء المسلمين على القتال، وعادت الخيل إلى الوراء ودامت مشاة المسلمين، ولم تفلح محاولات المسلمين لإجبار الخيل على الإقامة، لعدم تمكينها على مواجهة الأتراك، وفك هذا الانتظار بعد أن أخطأ أبو عبد في إنشاء السرام أمام رسول الفرس، وأخطأ في العبور مخالفة مشورة أصحاب رسول الله ﷺ، وأخطأ باختيار هذا المكان للمعركة، وبعد كل هذه الأخطاء كان لا بد عليه أن يسبح بجيشه سريعًا من أرض المعركة، كما فعل...
潋ج بن الوليد في معركة المذار؛ عندما علم أنه سيكون مخاطباً بجيش من الجنوب، انسحب سريعًا بجيشه حتى يقابل جيش الأندزغار في الوجه.

لكن أبا عبيد استقلل، وقال: "الأفاتن حتى النهاية". وإن كانت هذه شجاعة فائقة منه؟ فإن الحروب كما تقوم على الشجاعة لا بد أن يكون هناك حكمة في التعامل مع الحدث، وبدأت أفعال الفرس هجوم المسلمين بضراوة، وأمر أبو عبيد أن يتخلّل المسلّمون عن الخيول ويجاربوا الفرس جميعًا وهم مشاة، وفقد المسلمون بذلك سلاح الخيول وأصبحوا جميعاً مشاة أمام قوات فارسية مجهزة بالخيول والأفعال، واشتند وطيس الحرب، ولم يتوان المسلمون عن القتال، وتجدّد أبو عبيد بن مشعود الثقفي، وقال: "دُولْي على مقتيل الفيل". كما قال من قبل المثنى بن حارثة، فقال له: "يُتَلَّى من خرطومه". فتقدم ناحية الفيل الأبيض بمفرده،
فقالوا له: «يا أبا عبيد، إننا نلقينه بنفسك إلى النهلكة وأنت الأمير». فقال: «ولله! لا أتركك إلا بقتلي وأنا أقتلك». وتوجه ناحية الفيل، وقطع أحارمه التي يحمل فوقها قائد الفيل، ووقع قائد الفيل وقتله أبو عبيد بن مسعود، ولكن الفيل لا يزال حيًا، وهو يُلْدِرُ تدريبًا جيدًا على الفتال، وأخذ أبو عبيد يقاتل هذا الفيل العظيم، ويفقد الفيل على قدميه الخلفيتين، ويرفع قدميه الأمامية في وجه أبي عبيد، ولكن أبا عبيد لم يتوقف عن محاولة قتله ومحاولة قتله، وعندما شعر بضعفه الأمر أعضى من حوله: «إن أنا يمت، فإمرة الجيش لفلان ثم فلان ثم فلان». ويُمَتَّدُ أسماء من يخافونه في قيادة الجيش، وهذا أيضًا - من أخطاء أبي عبيد - لأن أمير الجيش يجب أن يحافظ على نفسه، ليس حيًا في الحياة، ولكن حرصًا على جيشه وحده في تلك الظروف، وليس الأمر شجاعة فحسب، ولأنه بمثل الأمر تنهار معنويات الجيش، وتحت الكثير من موازنته، ومن الأخطاء - أيًا- أن أبا عبيد أوصى بأمرية الجيش بعد هذه أن يكون الأمر بعده لثيق؛ منهم ابنه، وأخوه، والثامن المثنى بن حارثة، وكان الأول أن يكون الأمر بعدة مباشرة المثنى أو سلسلة بن قيس، كأوصاء عمر بن الخطاب.»

**استشهاد أبي عبيد وتولي المثنى**

ويواصل أبو عبيد قتاله مع الفيل وينجر قطع صوره، لكن الفيل يعجله بضربة في قاع الأرض، ويحطم عليه الفيل ويدوسه بأنهكم الأمامي فيفرزه أشلاء، وقد كان موقفًا صعبًا على المسلمين حينما يكون قادهم يقتلون هذا القتلة البشعة، وتتولى إمرة الجيش بعده مباشرة أول السبعة، ويحمل على الفرس ويستقل ويدخل على الخيل، ويكون التغلب في هذه المعركة ثلاثة من أبناء أبي عبيد بن مسعود الثقفي، كان أحدهم أبا، أولهم، ثمهاك، وقد قُتِلَ في هذه المعركة ثلاثة من أبناء أبي عبيد بن مسعود الثقفي، وكان أحد الأمراء على الجيش بعد استشهاد أبي عبيد، وتأتي الإمارة للمثنى بن حارثة، والأمر كي نرى في غاية الصعوبة، والفرس في شدة هجومهم على المسلمين.

وفي هذه اللحظة يبدأ بعض المسلمين في الفرار عن طريق الجسر إلى الناحية الأخرى من الفرات، وهذه أول مرة في فتح فارس يقيّم فيها بعض المسلمين من القتال، وهذا الفرار في هذا الموقف له دليل شرعي ولا يُعيدُ فرائض من الزحف، وقد قبل: «إذا الفرار من الملل جائز». فبهذا وجيشه الفرس ستة أو سبعة أمهات جيش المسلمون! ولكن يُعْتَطِف أحد المسلمين خطأً
أيام لا تنسي في عهد الخلفاء الراشدين


انسحاب منظم عبر الجسر

وبدأ المثنى في هدره يحسب له يقود حركة الجيش المسلم المتقبلي، بعد الهجرات الفارسية القاسية والشديدة، ويقول جيشه متحمساً لهم: «يا عباد الله، إما النصر وإما الجنة». ثم نادي على المسلمين في الناحية الأخرى أن يصلحوا الجسر ما استطاعوا، وكان مع المسلمين بعض الفرس الذين كانوا قد أسلموا، وكانوا ذوي قدرة على إصلاح الجسور، فبدأ يصلحون الجسر من جديد، وبدأ المثنى يقود إحدى العمليات الصعبة، وهي عملية انسحاب في هذا المكان الضيق، أمام القواطع الفارسية العنيفة، فأرسل إلى أشجع المسلمين، واستنفرهم ولم يستكرههم، وقال: «يقف أشجع المسلمين على الجسر طليعة، فتقدّم حرية الجسر عاصم بن عمر التيمي، وزيد الطيل، وقيس بن سلطان صحابي رسول الله، المثنى بن حارثة على رأسهم، ووقف كل هؤلاء ليقمنوا بحرية الجيش أثناء العبور، وключение الجسر لخلايا يقطع أحد من الفرس، ويقول المثنى بن حارثة للجيش في هدوء غريب: «اعترفا على هيئتك ولا تفزؤوا»، فإن نقف من دونكم، والله لا نزلزل (أي لا ترك هذا المكان) حتى يعمل آخركم؟» وبدأ المسلمون في الانسحاب واحداً تلو الآخر ويتالمون حتى آخر جلتة، وتكسو الدماء كل شيء، وتكسر جثث المسلمين ما بين قتيل وجريف في النهرين، ويكون آخر شهداء المسلمين على الجسر هو سويد بن قيس أحد صحابة النبي، وآخر من عبر الجسر هو المثنى بن حارثة، فقد ظل يقاتل حتى اللحظة الأخيرة، ويرجع يظهره والفرس من أمامه، وينصرج عليه الجسر قطعه على النهر، ولم يستطع الفرس العبور إلى المسلمين، وعاد المسلمون أدركوه ووصلوا إلى الشاطئ الغربي من نهر الفرات قبل غروب الشمس بقليل، ولم يكن الفرس يقتلكون بالإبل؛ لذا تركوا المسلمين، وكانت فرصة للجيش الإسلامي لكي ينجو من التخريب، إلى عمق الصحراء، لأنه لم يكن

في مكانه لعبب إليه الجيش الفارس في الصباح وقضى على من تبقى منه.
بعد المعركة

في هذا الوقت كان قد قرر من المسلمين ألفان، ومنهم من قد وافق فارغ إلى المدينة، واستهلك من المسلمين في هذه الموقعة أربعة آلاف شهيد، وكان قد اشتهر فيها ثلاثية آلاف قُتل منهم أربعة آلاف ما بين شهيد في القتال وغريق في النهر، وهم هؤلاء الألف الأربعة غالب أهل ثقافة، والكثير منهم شهد بدرًا وأُخذًا، وكان الأمر شديدًا على المسلمين، ولولا فضل الله تعالى، ثم تولية المثنى بن حارثة الأمر ما كان لِننا أن نخوض هذه المعركة المحكمة التي أعدها الفرس للإسلام، وكان للمثنى كفاءة حربية منقطعة النظر، وهذه هي قيمتنا القيادة الصادقة، فقد كان أبو عبيد بن مسعود تمثل الشجاعة والإيام والإقدام، وقد كان أول من استنفر فخرج للجهاد في وجود الكثير من الصحابة، نفر قبلهم وأمر على الجيش، ودخل الحروب في متنى الشجاعة ولم يأخذوا إلى الله لومة لاهم، وتقدمّلَ المجاهدة الفيل وهو يعلم أنه سيُمكن في صومية بالإمارة من بعده، ولم يتوانى عن القتال، ومع هذا فإنماة الجيش ليست شجاعة وإنما فقط، وإنها لا بد من المهارة العالية والكفاءة الحربية، حتى قال بعض الفقهاء: «إذا وَجَدَ قائدًا أحدًا من الإيام بمكانًا، ولكنه لا يدرك قيمة القيادة والإمارة، والآخر يصل إلى درجة الفضول لكنه مسلم، ويستطيع قيادة الحروب بمجرد، فلا يتيس أن يهاجم هذا الفاسق قيادة الجيش في الحروب؟ لأنه يستطيع أن ينجو بجيش المسلمين كله، والآخر ربما يُرَدّي بالجيش إلى الهلكة مع إياه وشجاعته».

كانت موقعة الجسر في 13 من شعبان 13 هـ، وكان أبو عبيد قد وصل إلى العراق في 3 من شعبان، وكانت أولى حروبها النارية في 8 من شعبان، ثم الساقط في 12 من شعبان، ثم باكستانا في 17 من شعبان، ثم هذه الموقعة في 23 من شعبان، فخلال عشرين يومًا من وصول أبي عبيد بجيشه انصر المسلمين في ثلاث معارك، وهمّموا في معركة واحدة قضت على نصف الجيش، ومن بقيّ فرًا، ولم يبق مع المثنى غير ألفين من المقاتلين، وأرسل المثنى بالخصر إلى المدينة مع عبد الله بن زيد، وعندما يصل إلى المدينة يجد عمر بن الخطاب على المنبر يّمّع إليه بالأمر نظرًا لصعوبته على المسلمين، فيكي عمر على المنبر، وكان لا بد أن يعلم المسلمون حتى يستنفر الناس للخروج مرة أخرى لمساعدة بناء الجيش الموجودة في العراق، وبعد أن يكي يقول: «الله ﷺ أبا عبيد! لو لم يستقل وسعب لكُنا له ثقة، ولكن قدّر الله يذبحه!»
أيام لا تننس في عهد الخلفاء الراشدين

وما شاء فعل. ويأتي بعد ذلك إلى المدينة الفاروق وهاربون من المعركة يكون أشد البكاء.

يقولون: كيف هرب؟! كيف نفر!؟

وكان هذا الأمر يمثل للمسلمين الحزى والعار، ولم يتعوَّدوا قبل ذلك على الفرار من أعدائهم، لكن عمر بن الخطاب  يطمئنهم ويقول لهم: إنني لكم فئة، ولا يُدعُ هذا الأمر فرارًا. وظل عمر بن الخطاب يطمئنهم ويجهزهم، وكان معهم معاذ القارئ وكان أحد من فرُّوا، وكان يُؤمَّ المسلمون في التراويح، فكان كلاً من آيات الفرار من الرهف يبني وهو يُضِل، فيطمئن عمر، ويقول له: إنك لست من أهل هذه الآية.

أليس الصفرى؟ عودة الروح

بعد أن انسحب المثنى بقواته من الجسر، فعل شيئاً غريبًا، فقد وصل إلى منطقة الخفير، وتتابعهم بعض قوات الفرس في اليوم الثاني للجسر في 24 من شعبان، وكانت هذه القوات على يقين بعدم وجود أي قوات إسلامية في المنطقة، فأخذ المثنى مجموعة من الجيش وقُرِّر الهجوم على الجيش الفارسي لسحب فرحة النصر منهم، لقد كانت مجرد غارة دون الدخول في قتال عنيف معهم، وتقدم المثنى صوب أليس، وكانت مكان الموقعة التي انتشر فيها المسلمون قبل ذلك بقيادة خالد بن الوليد وقُصِّبت فيها أعدادًا ضخمة من الفرس، فقدم نحوها ووجد حامية صغيرة من الفرس تسير على نهر الفرات، وقُزَر بفرقتها وحاصروا هذه الفرقة الصغيرة، وقتل من فيها، وكان من بينهم (جابان) وهو الذي قرَّ من أليس هربًا، وفرَّ مرة أخرى من موقعة النهارق، وقُبِّل في هذه الحادثة التي سميت أليس الصغرى مردنها، وقد كان رسوًا لبيهم جاذبيًا إلى أي عبيد بن مسعود في موقعة الجسر، وعلى صغر حجم هذه الموقعة إلا أنها أحدثت هزة عنيفة في الجيش الفارسي، فلم يكن الفرس يتوقعون على الإطلاق أنهما ما زالت لدى المسلمين قوة ممكنهم من الدخول في أي قتال أو معارك بعد الجسر، كما أحدثت هذه الموقعة الصغرى رفعًا لمنوانيات الجيش الإسلامي.

***
## معركة البويب

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>البويب، العراق – 125 هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>انصار المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>المعركة الرائدة (مسلمون)</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الإمبراطورية الساسانية الفارسية</th>
<th>المختارون</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>زرادشتون</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>القادة</th>
<th>المتنى بن حارثة الشباني</th>
</tr>
</thead>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الفئة</th>
<th>القيادة</th>
<th>القوى والجند</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>ألف مقاتل</td>
<td>150 ألف من الفرسان والموشاة + سلاح</td>
<td>12 ألف مشاة</td>
</tr>
<tr>
<td>آلاف شهيد</td>
<td>أكثر من 100 ألف قتل</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

ملخص:

معركة البويب من المعارك الكلاسيكية في تاريخ المسلمين وتباطع بينهم والصليبيين؛ لأنها أدت للمسلمين أن يفتحوا بلاد الفرس، وقعت في (12 رمضان 12 هـ) وذلك في خلافة عمر بن الخطاب.

الوضع السياسي والعسكري قبل المعركة:

كان الفرس قوة عظيمة محززة بأخذ وسائل التشويش في ذلك الوقت وقُد خاضت قبل ذلك عدة حروب مع المسلمين، آخرها معركة الجسر، التي استطاعت أن تُسهم بها في إنجاحها؛ مما رفع من روحها المعنوية وأعاد لها الثقة، وقد كان رستم قائد جيوش الفرس يعلم أن ذلك النصر الميداني لن يُقدم الكثير على الصعيد السياسي، فلذا أزال المسلمون يرغبون في التوسع في الأراضي الفارسية ويشترون دينهم; لذا قرر تجهز قوة عسكرية قادرة على سحق قوات المسلمين، وطلب من قادته مبالغ ضخمة من أجل ذلك.

في المقابل أحدث نكتة الجسر حالة من الاتهام النفسي والمعنوي لدى قوة المسلمين في العراق؛ فتفرقت وجعلت الخليفة عمر بن الخطاب يُعرض عن الحدوث عن الفتوح في الجهة.
الأيام لا تنسي في عهد الخلفاء الراشدين

الفارسية ويوقف إرسال الإمدادات، ثم حصلت بعض المناوشات بين المشهور بالشيواني والقوة البدنية معه من فلول الجسر وبين قادة من الفرس، أشعلت الرغبة لدى المسلمين لرفع راية الجهاد من جديد.

التغلب

وافق الخليفة على ضمَّم من يرغب من المرتدين التاليين إلى الجيش الإسلامي، وأنتجت القوات الإسلامية لتنضوي تحت لواء المثنى بن حارثة وكان من نفراء جريج البحري الصحابي الجليل ومعه قبيلته.

حشد رستم مائة ألف فارس ومعهم خمسون ألفًا من المشاة وفيلة، وهناك من يقول: إن تعدادهم سبعون ألفًا. غير أنهم أمهم يتفوقون عدة وعشرًا على خصيمهم.

عين رستم القائد مهرا بن باذان قائداً عامًا للجيش وقد كان يعرف العربية ووالده مسلم قاتل ضد المرتدين، ثم زحف الجيش الفارسي الجرار من المدافين إلى الحيرة لملاقاة جيش المسلمين.

كان المثنى بن حارثة قد قللته جزائه السائبة واحتاكاه بخبرات فذة من المسلمين، وقد كانت -أيضًا- محاربه للفرس واشتباكاته معهم قد كشفت له خرائط التفكير الفارسية، وأضاءت له نقاط الضعف والقوة؛ لذا قرَّر المثنى أن يغير مكان عسكره إلى البوب، وعسكر بجَنَّة غربي الفرات، وقد كانت ميلاتة المثنى للمجند وخطبة الجهادية قد فجرت لدى المسلمين رغبة النصر لأجل دينهم والتضحية بكل نفس.

المعركة

لحظ الفرس والمسلمين وحجزهم النهر، هنا استفاد المثنى من زلة الجسر وطلب من عدوه الاعتراف، حين عبر الفرس وانحرض عسكريهم من النهر وبين جيش نظمه المثنى بذكاء إلى عدة ألوية يتقدمهم المثنى فاتحاً صدره للشهادة.

زحف الجيش الفارسي وقد التهبت حدثته بالصياح والهتف وآخذ يضغط على ميمنة المسلمين محاولاً كشفها، وثبت المسلمون أمام الكثرة المتدفقة بقوة ومعها سلاح الفيلة، واشتدَّت القتال وطال، وبقيت فرقة طوارئ عُيِّنها المثنى تراقب سير القتال وتؤمن مؤخرة الجيش.
أيام لا تنسي. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

وكان الملك يطلب المسلمين يصل ويجول في ساحة القتال، يُجرَّر جيشه على الصبر، ويبحث عن الثغرات ليسدًاها، وكان يبحث المسلمين بقوله: لا تفضحوا المسلمين اليوم، انصرفوا الله ينصركم. لقد كان يعلم بأن طويل هذا القتال يُرفع كفة الكثرة على الشجاعة، لذا فقد انطلق الملك وصحته بجبلة وأميرهم جرير ونفر من شجعان المسلمين; ليخترق المعركة فيستهدف رأس العدو مهران، ونجح جرير بن عبد الله (وفيل: المذار بن حسان بن ضرار الوصبي) في قطع علق زعيم المجوس، ففكك جبهته وغُلِّقت، ورفعت أعلام المغزاة على صفقات الوجه الفارسي، وضغط المسلمون على قلب خصمه فانقضت ميمنتهم عن مسيرتهم، والتفت المنى ليقطع حسر العبور وبصطاد رؤوس الهاربين الذين كانوا من قبل يتوقعون لسنفلك دمه ودم رفاقه.

ما بعد المعركة

بعد انسحاب القوات الفارسية، وتركزها أمر الملك بحلاقة فلول الفارس والسيطرة على المزید من الأراضي الفارسية، التي كانت أبرمت مع المسلمين. عقدين ثم نقضتها، بلغ عدد الفارس حوالي مائة ألف أي ثلثي الجيش تقريبا، أما المسلمون فاستشهد منهم 4 آلاف شهيد.
معركة القادسية

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>135 هـ/653 م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>القادسية - العراق</td>
</tr>
<tr>
<td>التفاصيل</td>
<td>انتصار المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>المهاجمون</td>
<td>الإمبراطورية الساسانية الفارسية (زرادشتون)</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>الخلافة الراشدة (مسلمون)</td>
</tr>
<tr>
<td>القوة والحوش</td>
<td>6 آلاف فليأل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>10 آلاف قتيل</td>
</tr>
<tr>
<td>126 ألف مقاتل و70 قتيلاً</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>سعد بن أبي وقاص</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رستم فرخزاد</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>


أسباب المعركة

في عام 4 هـ جمع يزيد بن طاقة طاقاته ضد المسلمين، فبلغ ذلك المثنى بن حارثة فكتب إلى عمر بن الخطاب، فأعلن الفتح العام للمسلمين؛ لكي يُدركوا المسلمين في العراق، واجتمع الناس بالمدينة المنورة، فخرج عمر ومعهم إلى مكان يبعد عن المدينة ثلاثة أميال على طريق العراق، والناس لا يدرون ما يريد أن يصنع عمر، واستشار عامر الصحابية في قيادته للجيش بنفسه، فقرر أن يبعث على رأس الجيش رجلاً من أصحاب رسول يُقيم هاميم وولا يخرج، واستشارهم في من يقود الجيش، فأشار إليه بسعد بن أبي وقاص.

السير إلى القادسية

استدعى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص، وكان على صداقت هوازن، فولاء الجيش وأمره بالسير ومعه أربعة آلاف، ثم أمره بالتفتي يناب وألفي نجدي، وكان مع المثنى.
أتيما لا تنسي... صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

ثانية آلاف، وما المثنى قبل وصول سعد، وتنبيعت الإمدادات حتى صار مع سعد ستة
وثلاثون ألفًا.

كان منهم تسعة وتسعم بدرى، وثلاثمائة وبضعة عشر من كان له صحة فيها بين بيعة
الرضوان إلى ما فور ذلك، وثلاثمائة من شهد الفتح، وسبعية من أبناء الصحابة، فنظم
الجيش وجعل على الميمنة عبد الله بن المعن وعلي السيف شقيق بن السمط الكندي،
وجعل خليفته إذا استشهد خالد بن عروفة، وجعل عاصم بن عمرو التعميمي وسواد بن
مالك على الطالع، وسلمان بن ربيعة الباولي على المجردة، وعلى الرجالة جمال بن مالك
الأمدي، وعلى الركنان عبد الله بن ذي السهمي، وجعل داعيهم سليمان الفارسي، والكاتب
زيد بن أبيه، وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباولي.

أما الفرس فقد أجبر يزدجرد رستم على قيادة الجيش الفارسي بنفسه، وسار رستم وفی
مقدمته القائد أجلالينوس، وجعل في ميمنته القائد الأموي، وعلى المسرة القائد مهران بن
بهرام، ثم سار رستم حتى وصل الحيرة ثم التوج، حتى وصل القادسية ومعه سبعون فيلاً.

الرسائل

وقبل المعركة كانت الرسائل بين سعد وأمير المؤمنين الخليفة الراشد الفاروق عمر بن
الخطاب ومنها:

يا سعد بن وهيب! لا يغزّئك من الله أن قبل: خال رسول الله وصاحبه، فإن الله ليس
بينه وبين أحد نسب إلاآ بطاعته.. والناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء.. الله رحم
هم عباده.. يتفاضلون بالعافية، ويذرون من عند الله فالدعاية. فانظر الأمر الذي رأيت
رسول الله ص. منذ بعث إلى أن فارقنا عليه، فازمه، فإنه الأمر. ثم يقول له: «أكتب إلى
جميع أحوالكم.. وكيف تنزلون..؟ وأين يكون عدوكم منكم..؟ وأجعلني بكتب إلى كأني
أنظر إليكم!!!».

ويكتب سعد إلى أمير المؤمنين فيصف له كل شيء، حتى إنه ليكاد يجدّد له موقف كل
جندي ومكانه، وقد أوصى عمر سعداً بدعوهم إلى الإسلام، ونفذ سعد ووصية عمر، فرسل
إلى رستم قائد الفرس نفرًا من صحابه يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام.
بعد سعد جماعة من السادات منهم: النعيم بن مقرن، وفرات بن حبان، وحنظلة بن الربيع، وعطار بن حاسب، والشاغر بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وعمر بن معد كرب، فدخلوا عليه، ود رزين مجلسه بالباقورة المنهية والزرابي الحريبية وأظهر اليهود واللالي الكبيرة، والزينة العظيمة، وغير ذلك من الأشياء الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل رعي بثياب صغيرة وسبف وترس ورقبة قصيرة، ولم يزل راكباً حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها بعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: «ضع سلاحك». فقال: «إني لم أكن، وإننا جنود لحين دعومنا، فإن تركموني هكذا وإلا رجعت». فقال رستم: «اتذنوه». فأقبل تبواكو على رحمه فوق النار من فتر جماعتها. فقالوا له: «ما جاء بكم؟» فقال: «الله إبنا لنا نخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سهبتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينته إلى خلقه لندعوه إليه، فخُفِنَّ قَبْلِ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتله».

عبر الفرس النهر في الصباح ونظموا جيشهم، عندئذ وقف سعد في جبهته خطأً، مستهلًا خطابه بالآية الكرية: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرَّحْبِ مِنْ بَعْضِ الْذَّكَرِينَ الْأَرْضَ يُرِيدُهُ عَبْدَيْنِ الصَّالِحِينَ» (الأنبياء: 105)، وحثهم على السمع والطاعة لنائبه خالد بن عوفطة، لأن سعداً أصابته دماثاً في خذته وإليه، فكان ينام على وجهه ونبيذه وصدرو وسادة، حتى ما كان يستطيع أن يجلس، وبعد فراغه من خطبته، صلى بالجيش صلاة الظهر، ثم استقبل جنده وكبر سعد التكبرة الأولى واستفادوا، وكبر الثانية فليسوا عدتهم، وكبر الثالثة فنشط الفرسان، وكبر الرابعة فزحف الجميع، وبدأ القتال والتلاحم.

القتال

وما رأت خيل المسلمين الفيلة نفرت، وركز الفرس ببعضة عشر فيلاً على قبيلة بجيلة، فكادت تهلك، فأرسل سعد إلى بني أسد أن دفعوا عن بجيلة، فأقبلوا بله حسبًا وردوا عليهم هجوم الفيلة، ولكن الفيلة عادت للفتك بقبيلة أسد، فنادى سعد عاصم بن عمرو التيمي ليصنع شيئًا بالفيلة، فأخذ رجلاً من قومه فقطعوا حبال التوادي التي توضع على الفيلة فارتعن عواوينها، فما بقيهم فيل إلا أعيرو وقتل أصحابه، ونص عن قبيلة أسد، وأقتل الفريقان حتى الغروب، وأصبع من أسد تلك العشية خسائرًا كانوا رداً للناس، وهذا هو اليوم الأول من المعركة، وسمى أرماً وهو الرابع عشر من المحرم.
في اليوم الثاني أصبح القوم فؤدُ سعد بالقتلى والجرحى من نُبلهم، وسلم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، وفي أثناء ذلك طلعت نواحي الخيل قادمة من الشام، وكان في مقدمتها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو العجمي، وقسم القعقاع جيشه إلى أثوار وهم ألف فارس، وانطلق أول عشرين ومعهم القعقاع فلما وصلوا تبعهم العشرة الثانية وهكذا حتى تكامل وصولهم في المساء، فأأتي بهذا الرعب في قلوب الفرس فقد ظنوا أن مائة ألف قد وصلوا من الشام فهدِّبهم، ونزل القعقاع بهم جاذوره الأول وصوله فقتله، ولم يزل أهل فارس في هذا اليوم يأخذون يعجبهم، فقد أكثر المسلمون فهم القتلى ولم يقتل الفرس بالقيلة في هذا اليوم، لأن توابيتهم قد تكرست بالأمس، فاغتنموا هذا اليوم بإصلاحها، وأرسل بعض المسلمين إلينهم في جملة مبرقع، وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيل الفرس يمشهون بها بالقيلة، ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم أغوات كما فعلت فارس يوم أرماش، فجعلت خيل الفرس تفر منها، وقامت الفرس حتى انصف النهار، فلما اعتقل النهار تراحموا من جديد.

حتى انصف الليل، فكانت ليلة أرماش تدعي الهداة وليلة أُغوات تدعي السود.

أصبح القوم ليوم الثالث وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان، ومن جريح وموت من الفرس عشرة آلاف، فقتل المسلمون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء، وأما فتى الفرس في الصيفين لم يُبقِ عليه.

وبات القعقاع لا ينام فجعل يسرب أصحابه إلى الخ란 الذي قاربهم فيه بالأمس، وقال: "إذا طلعت الشمس فأتقوا ماهما من قتلى فرس وكله في الصباح فزاد ذلك في هبوط معنويات الفرس.

وابتدأ القتال في صباح اليوم الثالث وسمي يوم عموم، والفرس قد أصلحوا التوابيت فأقبلت القيلة يجمها الرجال فقتلت الخيل، ورأى سعد القبيلة عادت لفعلها يوم أرماش، فقال لعاصم بن عور و القعقاع: "أكفيائي القيل الأبيض"، وقال له لخاله والربيل: "أكفيائي القيل الأحمر"، فأخرج الأولوان رميهما قلقة نحو النهر، فوضع رميهما في عينه، ففعل رأسه وطرح ساتيه ودلع مشجره، فقضه القعقاع فوق جنبه، وحمل الأخيران على النهر، فجعله جريماً، وولي وألقى نفسه في النهر واتبعته القيلة، وعادوا حتى وصلت المدائن، ثم راحف الجيشان فاجتمعا، وسميت هذه الليلة ليلة الأهر، ولهذه الليلة حمل القعقاع.
أيام لا تنسي: صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

وأخوه عاصم والجيش على الفرس بعد صلاة العشاء، فكان القتال حتى الصباح، وانقطعت الأخبار عن سعد ورستم، فلم يتم الناس تلك الليلة وكان القتال محوّر المعركة.

النصر

لما جاءت الظهيرة كان أول من زال عن مكانه الفيزان والهرمان، فانفرج القلب وأرسل الله رزقًا هوت بسرير رستم وعلاة الغبار، ووصل القعقاع إلى السرير فلم يجد رستم الذي هرب واستظل تحت بغل فوته حمله، فضرب هلال بن عقبة الحمل الذي تحته رستم وهو لا يعرف بوجوده، فهرب رستم إلى النهر فرمى نفسه، ورأى هلال فتبعته وارتمى عليه فأخره من النهر ثم قتلته، ثم صعد طرف السرير وقال: "قلت رستم ورب الكعبة، إلهي إله".

فانهرت حينئذ معنويات الفرس فانهزموا وعبروا النهر، فتبعهم المسلمون يرمونهم برماحهم، فسقط من الفرس في النهر ألف.

وقتل من المسلمين ليلة الهجرة يوم الفاتحة ألفان وخمسة، ومن الفرس في الليلة نفسها عشرة آلاف، وخلق زهرة بن الحوية التميمي أجالينوس فقتله.

واستطاع جيش سعد هزيمة الفرس وواصل الجيش تقدمه إلى المدائن.

***
فتح دمشق

بعد توالي عمر بن الخطاب خلافة الدولة الإسلامية أعاد تنظيم الجيوش، فولى أبو عبيدة بن الجراح القيادة العامة لجيوش الشام بدلاً من خالد بن الوليد، فقاد الاثنين معاً معركة البرمولك التي انتهت بانتصار المسلمين في رجب 15 هـ/أغسطس 635.

وغادر هرقل بيت المقدس آله علب بانتصار المسلمين في البرمولك، واتبَعه إلى حمص؛ ليجعلها مقرًا لأعالي الحربة، بينما اتجه المهزومون إلى فحل، فوجه إلى أبو عبيدة بن الجراح قوة صغيرة، وأتبعه هو بجيشه إلى دمشق بناءً على مشورة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذي قال فيها لأبي عبيدة: «إبِنوا بدمشق فانهوا لها»(1)؛ فإنها حصن الشام وبات مملكتهم، واشغلوا عنهم أهل فحل يخبرون بإزارتهم وأهل فلسطين وأهل حمص.

الحصار

وما وصلت جيوش المسلمين إلى دمشق وزع أبو عبيدة قواته على أرباب المدينة؛ لإحكام الحصار عليها، فجعل شريح بن حسنة على باب توما، وعمر بن العاص على باب الفراديس، وزيد بن أبي سفيان على باب كيسان، وخلاء بن الوليد على الباب الشرقي، وكان هو على باب الجبلية، وشجع المسلمين الحصار على أهل دمشق سبعين يومًا، ولم يتลง منه حصولهم وما عليها من دفعها وغيرها من آلات الدفاع، فسمع المسلمون المدينة من أن يصل إليهم، وقد أتى أبو عبيدة أن هرقل قد بعث بدد من حمص لمحاصرة قواته بين حمص ودمشق، فأرسل جيشًا من المسلمين ليُعَسَّك في الطريق إلى دمشق.

الانتصار على محد هرقل

وصدقت فراصة أبو عبيدة؛ فقد أرسل هرقل عدداً كبيراً من القوات لنجدة الروم المحاصرين في دمشق، ففوجئت هذه القوات بجيش المسلمين الذي كان في انتظارها، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين، واستمر القتال الشديد بين الفريقين حتى انتُكشف الروم، ولحقت

(1) تهذ القوم لمعلّموهم: إذا هضوا له وصدعوا وشرعوا في قتاله. ابن منظور: لسان العرب، مادة (نهج) 3/292.
يهم هزيمة منكرة، فارتدوا منهم إلى حمص.
وكان لانتصار المسلمين في هذه المعركة أكبر الأثر في نفوسهم؛ حيث قويت عزمهم
على القتال وتحمل الظروف القاسية التي مر بها جيش المسلمين مع قدوم الشتاء ببرودته
الشديدة، التي لا يطاقها أبناء الصحراها الحارة.

دمشق أيام الفتح...

 دمشق حصار دمشق
وطال انتظار الرومان المحاصرين للمدينة، وأرسلوا إلى هرقليم يستعينوا، فأرسلوا إلى هرقليم يستعينوا، وبعثوا إليه هرقليم يستعينوا، فبعث إلى هرقليم يستعينوا، وطلبوا منهم ووجبتاهما على الثواب والمقاومة، فقوى ذلك من عزمهم، وبعث الأهل في قلوبهم وشجعهم على الثواب وصد يجات المسلمين.

هجوم توماس على المسلمين

مع مرور الوقت عاد اليأس يسیطر على قلوب الروم، وبدا الفقد على مصير المدينة. ونتاب قادته؛ فاجتمع عدَد من هؤلاء القادة وذهبوا إلى توماس القائد العام لجيش الروم في دمشق - زوج ابنته الإمبراطور هرقليم - وأخبروه بمخاوفهم، وعرضوا على الصلح مع خالد، إلا أنه رفض هذه الفكرة، مؤكِّداً لهم قدرته على الدفاع عن المدينة، وأنه سيطرد المسلمين قريباً من حول دمشق.

وقَرَر توماس أن يشن هجوماً قوياً على المسلمين، فجمع قوة كبيرة تجمعت عند باب توما، ثم أصدر أوامره إلى السماحة وطبعوا على قلوب المسلمين، واشتبه عدد كبير من فرسان المسلمين، فاضطر المسلمون إلى التراجع بعيداً عن مرمى سهام الروم، وسرعان ما نشب قتال عنيف بين قوات شربيل وقوات توماس، وبالرغم من تفوق قوات الروم فقد ثبت المسلمون حتى اضطر الروم إلى التراجع داخل الخصين بعد أن أصابوا قادتهم ببعضهم في عينه.

توماس يعود من جديد

ولكن توماس لم يتأس؛ حيث باغت المسلمين بهجوم ليلي آخر، ولكن في هذه المرة كان هجوماً واسعاً من عدة أبواب في آن واحد، ودخلت الأتراك الشرقي بأكبر عدد من القوات ومع خالد من نجدة شربيل.

وقبل منتصف الليل سمع المسلمون نبرة النواكش، وكانت تلك الإشارة التي أعطاها توماس لفتح الأبواب، وفجأة اندمعت قوات الروم نحو المسلمين، وتصدّى لهم المسلمون في شجاعة واستيال، وسقط عدد كبير من الروم، واستمر القتال إلى الساعات الأولى من
الصباح الجديد، واجتاحت بطولات قادة المسلمين وفرسانهم، الذين راحوا يقاتلون بلا هدوء، حتى أدرك الروم أنه لا فائدة من الاستمرار في القتال؛ فسرع توماس بأمرهم بالانسحاب، بعد أن كان يلقى حتقه على يد شرحبيل، وإدفع جنود الروم إلى داخل أسوار خصوصهم، ولم يحاول المسلمون اللحاق بهم، مكتفين يا كيدوهم فهم من هزيمة مزرية.

خالد لا ينام ولا يُنام

عاد المسلمين يضرون حصارهم من جديد على المدينة، وكان خالد بن الوليد مقيّمًا علىbab الشرقي، دائم اليقظة والاستعداد يترقب أي فرصة سانحة للانقضاض على العدو، فهو لا ينام ولا يُنام، ولا يُفِق عليه شيء؛ فقد جعل عيونه ورجائه يرصدالم كم يدور وراء تلك الأسوار بدقة شديدة، حتى لكأنه يعيش بينهم، وتوافرت لديه معلومات تشير إلى استغلال الحامية في حملة بطريرك المدينة الذي وُلِدَ له ولدًا، فدعا الجميع إلى الاحتفال بتلك المناسبة، فأفرطوا في الشراب، وتخطى كثير منهم عن مواقعهم، وكان خالد قد استعدَّ استعدادًا لذللك، وصنع السلام والحبائل، فليا هذا الليل وأرخته سدوكه على العذاق، عبر خالد ووجالة ذئابه عائنين على الدرب، ثم آلفوا بالحبائل في شرقات السور، وارتقوا إلى أعلاه، وأسرعوا نحو باب فعاليه سجودهم حتى تمكنوا من فتحه، ثم رفعوا أصواتهم بالتكبير، فلما سمع المسلمون تلك الإشارة اندفعوا داخل المدينة وهم يُكررون حتى ارتفعت أجواء المدينة بأصوات التكبير الهادئ، الذي شُكِّ سكن الليل، فأتى القوم فزعين ليجدوا الجنود المسلمين قد انطروا في أنحاء المدينة.

وأسرع الروم يفتحون أبواب المدينة ويساحلون أبا عبيدة، فأعطاه الأمان دون أن يعلم بها فعله خالد، وطلب منه الكف عن القتال؛ لأنه صالح الناس وأثنىهم، ولم يكن من خالد إلا الطاعة لقائدته، وأجرى الصلح على الجانب الذي فتحه عُنْوَة من المدينة.

ولم تمض ليلة (16 رجب 159 هـ / 5 سبتمبر 1335 م) حتى كانت دمشق قد استسلمت للمسلمين، وصارت دُرَّة جديدة ترِيين قنادلا الإمبراطورية الإسلامية الفتية، وتضاف إلى عقد دولته الواعدة.
معركة البرموك

التاريخ
الهـ 126/318م

المكان
في شال الأردن قرب نهر البرموك

النتيجة
الخليفة الراشدة (مسلمون)
المتحاربون
خالد بن الوليد، أبو عبيدة بن الجراح، بزيد بن أبي سفيان، شرحبيل ابن حسنة، عمرو بن العاص، قيس بن حبيرة

القادة
مجري، ماهان، جبلة بن الأيمن، قاطير، قسطنطين ابن القصير هرقل، ودرچان وتيس وابن شقيق القصير

القوى والحشد
حوالي 260 ألف مقاتل
حوالي 230 ألف مقاتل
حوالي 4 آلاف شهيد
حوالي 700000 شويل

الخسائر

وقعت معركة البرموك في (5 رجب 126/16 أغسطس 318م) بين العرب المسلمين والإمبراطورية البيزنطية، يعتبرها بعض المؤرخين من أهم المعارك في تاريخ العالم لأنها كانت بداية أول موجة انتصارات لل المسلمين خارج جزيرة العرب، وأدت لتقسيم الإسلام السريع في بلاد الشام.

تحالف جيش الإمبراطورية البيزنطية
كان جيش البيزنطيين يتألف من خمسة جيوش؛ حيث قاد ماهان (أو فاهان) ملك أرمينيا جيشه الأرمني، وقاد الأمير قاطير السلافي جيشه من الشعوب السلافية، وكان ملك النمسا جبلة بن الأيمن الغزاني على رأس جيش المسلمين العرب؛ وقد كانوا كلهم من راكبي الخيول والجمال، وكانت الجيوش الأوروبية كاملة تحت قيادة مجري ودرچان، حيث تولى درچان قيادة الجيوش مجموعة، كما شارك تيدوروس - شقيق القصير هرقل - في المعركة، وهو "نذارق" بالمرجع العربية، وكذلك "داريق أو سقلاب" - وكان خصيًا هرقل - قاد الآلاف من القتالين الروم.
كان جند جريجوري على ميمنة جيوش الروم وقد ربطوا أرجلهم بالسلاسل؛ تعبيراً عن تصميمهم على الصمود تحت كل الظروف، ورمزًا للشجاعة، كأن السلاسل يمكن أن تُستخدم ضد خيول المسلمين في حال حدوث خرق في صفوف جيش جريجوري، وهذا ما جعل حركة الجند بطيئة على كل الأحوال.

أرض المعركة وجبش المسلمين

هذا هو موقع معركة اليرموك بين المسلمين والروم عام 636 ميلاد.

أعاد خالد تنظيم الجيش بعد توليه لقيادة الجيش، فجعل ربع جيش المسلمين من الخيالة، وكانوا حوالي 10 آلاف فارس، وقسم الجيش إلى 36 كتيبة من المشاة؛ وُزعت على أربعة ألوية مشاة عبارة عن اثنان في القلب بقيادة أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حصين، وجناحان الميسرة بقيادة يزيد بن أبي سفيان والميمنة بقيادة عمرو بن العاص، وتشكل كل لواء منهم من تسعة سرايا، كانت منظمة على أساس التجمع القبلي أو العشائري؛ بحيث يقاتل كل واحد إلى جانب أخيه المسلم من عشيرته أو قبيلته، ومن أمراء الكراديس آنذاك: القعقاع بن عمرو؛
 أيام لا تنسي في عهد الخلفاء الراشدين

مذوع بن عدي، عباس بن غنم، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، سهيل بن عمرو، عكرمة بن أبي جهل، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، حبيب بن مسلمة، صفوان بن أمية، سعید بن خالد بن العاص، خالد بن سعيد بن العاص، عبد الله بن قيس، معاوية بن خديج، الزبير بن العوام.

وجعل لكل لواء مجموعة من الاستطلاع؛ بحيث يتم مراقبة أرض المعركة كاملاً، وكان خط الجبهة يمتد على 11 ميلاً؛ بحيث يتجه المسلمون غرباً في مواجهة الروم، وإلى الجنوب يمين الجيش الروم يمر نهر اليموك، وشمالاً على بعد أميال باتجاه الجنوب الغربي هناك طرف وادي الرقاد.

وكلف كل من قيس بن حيررة وأمير بن طفيل وميسرة بن مرزوقة بقيادة فرق الخيالة، التي تلعب دور الوحدات الاحتياطية للتدخل في حال أي تراجع يمكن للالوية الإسلامية. وكان ضرار بن الأزرور يتبع عن خالد بن الوليد في قيادة الوحدة المتميزة في حال استغلال خلل في الأعيان القتالية في المعركة.

المعركة في سطور

دمت المعركة ستة أيام؛ كان المسلمون فيها يمدُون هجمات الروم في كل يوم؛ حيث كان خالد بن الوليد يستخدم "سيرة الخيالة المتحركة السريعة"، التي يقودها بنفسه، ليتحرك بسرعة خاطفة من مكان إلى آخر، حيث يكون جيش المسلمين في تراجع تحت ضغط الروم، ويتعود كل من الجانبين في نهاية النهار إلى صفوفه الأولى قبل القتال أو إلى معسكراته.

وجرى الأمر كذلك خلال الأربعة أيام الأولى، كانت فيها خسائر الروم بالأعداد أكبر من خسائر جيش المسلمين، وفي اليوم الخامس لم يحدث شيء كثير بعد رفض خالد "هيئة ثلاثة أيام" التي عرضها الروم بقوله المشهور لرسول الروم: "نحن مستعجلون لإنهاء عملنا هذا.

وفي اليوم السادس تحوّلت إستراتيجية خالد من الدفاع إلى الهجوم، وتمكن بعبقريته الفائدة من شن الهجوم المجازف على الروم واستخدام الأسلوب العسكري الغزير من نوعه آنذاك، وهو الاستفادة الصحيحة من إمكانات "سيرة الفرسان سريعة التنقل"؛ ليحول الهزيمة الموشكة للمسلمين إلى نصر مؤزر لهم.
أيام لا تنسي - صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

وقالت نساء المسلمين من خلف الجيوش المتواجدات في معسكرات المسلمين الخلفية في هذه المعركة، وقتلن عددها كبيرًا من الروم، وكان يضربونهم من المسلمين بالحزارة ويزجرهن، وهم يصرخن قائلات: "أين تذهبون وتدعونا للملوك؟" وعندئذ يرجع المهزمون، وقد تكرر ذلك في كل يوم من أيام المعركة؛ حتى قيل: إن بعض المقاتلين عندما كانوا يمرون بالفرار إلى الخلف كانوا يقولون: "مواجهة الروم ولا مواجهة نسائنا".

من أحداث اليوم الأول

بدأ اليوم الأول من معركة البرموك بمعارزات كانت آنذاك أساليب متينة بين مقاتلين أبطال من الجانبين، فهموا من يخرج من بين الصفوف طوعًا، ومنهم من يدعى من قبل القائد لمناولة الخصوم، وقد دامت تلك المبارزات في اليوم الأول للمعركة حتى منتصف النهار، وكان النصر فيها لصالح المسلمين، حيث قتل عبد الرحمن بن أبي بكر خمسة من قواد الروم البيزنطيين، مما دعا القائد العام للجيش البيزنطي "ماهاي" لبدء القتال، حرصًا على معتويات جيشه، وبدأ بترشيق النبال العنيف الذي تسبب بإصابات كبيرة في صفوف المسلمين ليتلجم الطرفان بعدها.

ويذكر أن أحد كبار أمراء الروم - وكان يدعى جريزة بن بوذيها - كان قد خرج يطلب خالد بن الوليد، فخرج له خالد متأهبًا للقتال، وبدأ يسير بحركة دائرية مواجهًا الأمير الرومي متأهباً للمبارزة، ولكن جريزة بدأ بالكلام، وقال: إنه يريد أن يسأله بعض الأسئلة لليجيه بصراحة، فاللود لا يكتب. قال، فقال، فسأله بعض الأسئلة مثل: "ماذا سأيد النبي سيّف الله المسلم على المشركين؟" وفيها إذا كان الله قد أرسل سيّف قلده الرسول خالد؟" فأجابه خالد على ذلك وعلى أستلة عديدة، مثلما إذا أسلم الماء الروم ما موقعه بين المسلمين، وأجاب خالد: "إن المسلمين سواسية، لا فرق بين المسلم قدسي والمسلم جديدًا، وهم جميعًا إخوة. فما كان من جريزة هذا إلا أن اعتنى الإسلام وصحبه خالد إلى خيملته ليصلي معه ركعتان، وحارب مع المسلمين، وقتل في تلك المعركة شهداً.

من أحداث اليوم الثاني

الهجوم البيزنطي

قرر ماهان سن الهجوم المباغت عند الفجر، عندما يكون جيش المسلمين غير مستعدًا.
أيام لا تنس في عهد الخلفاء الراشدين

ولكن خالدًا كان قد وضع نقاطًا دفاعية قوية متقدمة خلال الليل سرًا؛ مما أفقد عنصر المناجاة التي كان يخطط لها البيزنطيون، ودارت المعركة وتراجعت كل من جانبي الجيش المسلم، الميمنة والميسرة.

المرحلة الأولى من الهجوم المعاكس

حيث تدخل خالد بفرقته سرعة التنقل مرة في الميمنة؛ ليوقف تقدم الروم، ويعدها في الميسرة.

المرحلة الثانية من الهجوم المعاكس

حيث قسم خالد وحدها المتنقلة السريعة ليرسل قسمًا منها بقيادة ضرير بن الأزرور إلى قلب جيش الروم من الجهة اليمنى له؛ حيث تمكن ضرير في هذا الهجوم من قتل القائد البيزنطي دريجان، رغم أن ألفين من الفرسان الروم البيزنطيين كانوا بحراسته. وترك مقتل دريجان وفشل خطة ماهان الامام على نفسية المقاتلين الروم، بينما كان لنجاح خالد بصد الهجوم الأثر الأقوى لتعزيز معنويات الجنود المسلمين.

من أحداث اليوم الثالث

الهجوم البيزنطي

بعد أحداث اليوم السابق ومقتل دريجان أحد كبار قادة الروم، تركز في هذا اليوم هجوم الروم على نقطة محددة لفصل الجيش الإسلامي، وهي النقطة بين اليمنة التي كانت تحت قيادة عمرو بن العاص يقابلها قائد السلاف، وقلب الجيش الإسلامي من الجانب الأيمن تحت قيادة شرحبيل يقابلها ماهان، وبدأ الهجوم على لواء عمرو بن العاص الذي استطاع في البداية الصعود قبل أن يلعب التفوق العديدي للروم دوره؛ ليتراجع جند عمرو بن العاص إلى الوراء باتجاه عسكرهم، كما بدأ جند شرحبيل في اللواء المجاور بالترعج.

الهجوم المعاكس

تدخلت سرايا الخيالة المسلمون لصد الهجوم بالاتفاق على يسار الروم، أي من الطرف الشمالي لكل لواء، وبعدها تدخل خالد مجددًا بمجموعته سرعة التنقل ليهاجم جند ماهان المتقدمين ضد لواء شرحبيل، وتم صد الهجوم، وتراجع الروم إلى أماكنهم الأصلية كما كانت
أيام لا تنسي.. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

قبل بداية المعركة، وجاء المساء ليتنحي هذا اليوم.

من أحداث اليوم الرابع

تم صد هجوم مماثل على الجهة نفسها بـ 13 ماهان، فقد تراجع شريحل أمام جيش الأرمن المدعوم بشكل قوي من الخيلة العرب المسيحين بقيادة جبلاء، كما تراجع عمرو بن العاص أمام جيش قناطر السلافي، وتعرض شريحل للضغوط الشديدة، وبدأت علامات الإنهاك على جنده.

الهجوم البيزنطي في اليوم الرابع

وقبل أن يتد. ن خالد بفرقه سريعة التنقل لشكركت بـ 14 زحف الرومي، أمر أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بدء الهجوم على الجبلاء؛ لإسقاطه في القطاعين المقابلين له، القسم الأول من القلب والميمنة الرومية، وعدم تنفيذهم من القيام بـ 15 هجوم شامل.

فتمكن خالد بن الوليد من القيام بـ 16 محاولات ذكية، أدت إلى تراجع الأرمن، ودام ذلك طوال بعد الظهر، وبعد فقدان الدعم الأرضي تراجع كلاً نينجر والسلافي بقيادة قانطر، ليعود الجميع إلى أماكنهم.

على الجانب الآخر استمر قتال الروم مع جيش أبا عبيدة بن الجراح ويزيد، وتعرض الجند المسلمون إلى رمي عنيف بالنبال؛ أدّى إلى فقدان الكثير ليصرهم نتيجة إصابتهم في عيونهم؛ منهم: أبو سفيان، والمريرة بن شعبة، وهاشم بن عبادة بن أبي وقاص، والأشعث بن قيس، وعمرو بن معدية كرب، وقيس بن مكشوف، والأشر النجسي، وسمي ذلك اليوم بـ 17 يوم خسارة العيون، وتراجع الجيشان المسلمين، جيش أبا عبيدة وجيشه يزيد إلى الخلف.

هجوم المسلمين المعكس

لاحت علامات الهزيمة، ولكن عكرمة بن أبي جهل نادي الماجهدين للقسم على النصر أو الشهادة، فلبى نداءه 400 من المقاتلين المجاهدين، وقاتلوه محاولين وقف الروم، وأوقفوا زحف الروم بعد مقتلهم جمعاً، ولكنهم قتلوه عددًا أكبر بكثير من 400 مقاتل بيزنطي، وأصيب عكرمة وآخرون عمرو إصابة عمياء في هذه الوقعة، وعرف عكرمة بنجاح المسلمين بصد الهجوم وحمد الله قبل أن يموت متأثرًا بجراحه، ليحل الظلام وينتهي ذلك اليوم.
من أحداث اليوم الخامس

كما ذكرنا سابقا فقد رفض خالد عرضا لـ "ماهان" بوقف القتال بضعة أيام، وعرف
خالد بن الوليد أن عزمية الروم على القتال لم تعد كالسابق، وكان المسلمون حتى الآن قد
انتخذا إستراتيجية دفاعية في الأعيال القتالية، فقرر الآن خالد التحول إلى الهجوم، وأجرى
تغييرات على تشكيلاته، حيث جمع كافة فرق الخيالة إلى سرية قتالية موحدة، وجعل وحدته
السريعة في قلبيها، وخطط خالد باستخدام هذه السرية الجديدة لمواجهة الفرسان الروم بغرض
عزلهم عن المشاة الروم؛ بحيث يصبح المشاة الذين يشكلون نواة الجيش البيزنطي دون أي
حماية من الفرسان تقيهم من الهجمات الجامية والخليفة، وفي الوقت نفسه خطط لشن هجوم
على الميسرة البيزنطية لردعها باتجاه الغرب.

من أحداث اليوم السادس

بينما بدأت مسيرة جيش المسلمين بقيادة يزيد بن أبي سفيان، والقسم الأيسر من القلب
قيادة أبي عبيد بن الجراح بالقتال على جهتهما هاجم خالد سرية الخيالة الموحدة اليمنية
البيزنطية، وفي الوقت نفسه شطر قسمًا من مجموعة الخيالة لمهاجمة الطرف الأيسر من الميسرة
البيزنطية.

المرحلة الأولى من الهجوم

بينما قام عروبة بن العاص، قائد اليمنية، في الوقت نفسه بشن الهجوم على الميسرة الرومية
البيزنطية ذات الأثرية السلافية التي كانت بقيادة قناطير.

وقد صمدت الميسرة البيزنطية بقيادة قناطير أمام الهجومين من الأمام ومن اليسار،
ولكن بفقدان الدعم من فرق الخيالة البيزنطية، الذين انشقوا بصد هوجم الفرسان
المسلمين، تراجعت قوات قناطير باتجاه القسم الأيسر من قلب الجيش الرومي، حيث يقاتل
الأيمن بقيادة ماهان.

بعد رؤية هذا التحول استغل عروبة بن العاص قائد اليمنية الإسلامية تلك اللحظات
ЛИشن هجومًا على الجانب الأيسر من قلب الجيش الروم من جهته اليسرى، فوقع القسم
الأيسر من قلب الجيش البيزنطي باختلاف في التوزن بسبب ضغط أعداد الجنود السلطاف
المتراجعين.
المرحلة الثانية من الهجوم
وفي الوقت نفسه شهد شرحبيل ابن حسنة قائد القسم الأول من قلب الجيش الإسلامي من هجوم على القلب البيزنطي من الأمام.

المرحلة الثالثة من الهجوم
الأون تقهقر الجناح الأيسر للجيش البيزنطي وراح المسلمون يستغلون ذلك ويتبعون تقدمهم، هنا، أوعز خالد للفرسان بترك القتال الرئيسي الدام والعودة إلى الوحدة الرئيسي لعزل الخيالة البيزنطية عن مُشاتهم، وإبعادهم عن الجيش البيزنطي بشكل كامل باتجاه الشمال.

المرحلة الرابعة من الهجوم
عندما رأى ماهان ذلك، دعا كافة الخيالة الروم للتجمع خلف قلب الجيش البيزنطي؛ لتنظيم هجوم معاكس ضد الخيالة المسلمين، ولكن ماهان لم يكن سريعًا بشكل الكافى، فقد تقدم خالد سريعًا لمواجهة الخيالة أثناء تجمعهم، وذلك من الجهتين الأمامية والجانبية، بينما كانوا في مناورات التحضير للهجوم المعاكس، وكان الفرسان المسلمون المستمرون بشكل خفيف مهربين أكثر، بل متفوقين من حيث سرعة التحرك والمناورة؛ حيث كانوا يستطيعون الهجوم والدراج بسرعة والعودة للهجوم مرة أخرى، وصار الخيل البيزنطيون إلى الهرب باتجاه الشمال في حالة من الفوضى والعشوائية تاركين المشاة لمسيرة، وكان بينهم كذلك قوات جلبة الراكة؛ حيث تثبت باتجاه دمشق.

المرحلة الخامسة من الهجوم
بعد تشتت فرق الخيالة البيزنطية، تحول خالد إلى نواة جيش الروم البيزنطي؛ الأرمن بقيادة ماهان، لمهاجمتهم من الخلف، وكان الأرمن من المقاتلين الأشداء الذين كانوا على وشك النصر على المسلمين قبل يومين عندما قاموا باختراق جيش المسلم، ولكن تحت هجمات من السبايقات ثلاثة في آن واحد؛ فوق الخيالة بقيادة خالد من جهة الخلف، وجندع عمر من اليسار، وجندع شرحبيل من الأمام، ودون دعم من الفرسان الروم، إضافة إلى الاحتلال الذي أحدثه في صفوفهم جندع السلاف بقيادة قناطر المتراجع، لم يكن للأرمن أي فرصة بالصمود فهزموا.
مرحلة الحصار

بعد هزيمة الأرميون هُزمت كافة الجيوش البيزنطية؛ فتشتت بعضهم بشكل عشوائي مربعون، وترجح آخران بانتظام باتجاه الغرب نحو وادي الرقاد.

ولكن عندما وصلت قوات البيزنطيين إلى المعرق الضيق على النهر واجهت مجموعة من فرسان المسلمين بقيادة ضرير بن الأزور، كانت بانتظارهم، وكجزء من خطة خالد كان قد أرسل في الليلة السابقة سرية من الخيالة تُقدر بـ1000 رجل؛ لسد المعبر الضيق الذي يبلغ عرضه 500 متراً فقط، وفي الحقيقة فقد كان هذا الطريق هو الذي كان يرغب خالد بن الوليد للروم أن يسلكونه في تراجعهم في حال نجاح خطته.

المرحلة النهائية وحسم المعركة

تقدم جنود المشاة المسلمون من الشرق، وفرسان خالد بن الوليد من جهة الشمال;

لتصبح إلى الوحدة الخيالة للمسلمين، التي تراقب المعرق الضيق من جهة الغربية، وإلى الجنوب كان هناك الجرح العميق التابع لنهر اليرموك، والذي تراجعت إليه القوات البيزنطية وبدأ انحسارها.

وبدأت المرحلة النهائية من المعركة عندما اندثر القسم الأكبر من القوات البيزنطية باتجاه الجرح تحت تأثير القتال من جهة الأمام، بينما كانوا يترجعون باتجاه المركز نتيجة الهجوم من الجانب، حيث نجم عن ذلك اختلال التوازن في الجيش.

عند ذلك فقد الجيش البيزنطي المتحالف كل المعلومات والارتباطات، ووصل إلى النقطة التي يتبجيها كل القادة العسكريين، وهي عندما تُصبح وحداتهم عبارة عن حزام أو ركام مُسلّب، فقد انحصر الجيش البيزنطي بشكل لم يعد يستطيع فيه الجنود استخدام سلاحهم بشكل طبيعي؛ لذلك فقد استجابوا بسرعة محاولين إبحاد طريق للهرب عبر الجرح وبدون نجاح، فبعضهم هوى في الجرح، بينما سقط الآخرون قتلى أو أسروا؛ لتهيئه بذلك معركة اليرموك.

المضادة

لم يتواجد خالد بن الوليد مساء اليوم السادس بعد إحراز النصر وانتهاء المعركة في
معسكر المسلمين، بل شوهد مساء اليوم التالي في المعسكر؛ فقد تابع خالد بن الوليد وفريقه، فقلاً ماهان الوجه إلى دمشق واستيقظ معظمهم ليُقتل ماهان على يد أحد المقاتلين المسلمين، فقد قطع رأسه وسرخ: "وَلَهَدْ قَدْ قَتَلَتْ مَاهَان". وكانت العادة السائدة آنذاك أن المعركة تنتهي ببروب الجيش المتقهر، لذلك فكان آخر ما توقعه ماهان وجنوده المهزمون هو متابعة خالد لهم.

بعد المعركة

كانت معركة البرموك من أعظم المعارك الإسلامية، وأبعدا أثرها في حركة الفتح الإسلامي، فقد تلقى جيش الروم - وهو أقوى جيوش العالم يومئذ - هزيمة قاسية، وفقد زهرة جنده، وقد أدرك هرقل - الذي كان في حمص - حجم الكارثة التي حلّت به وبدولته، فغادر سوريا نهائيا وقلبه ينفر حزنًا، وقد ترتب على هذا النصر العظيم أن استقر المسلمون في بلاد الشام، واستكملوا فتح مدنه جميعًا، ثم واصلوا مسيرة الفتح إلى الشمالي الإفريقي.

* * *
معركة نهاوند

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>۲۰/۵/۱۴۱۶ م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الموقع</td>
<td>قرب بلدة نهاوند في إيران</td>
</tr>
<tr>
<td>النتائج</td>
<td>انتصار المسلمين</td>
</tr>
</tbody>
</table>

المحاربون
- الإمبراطورية الساسانية الفارسية (زرادشتئن)
- الفيزان
- ۵۰۰ ألف مقاتل
- غير معروفة

القادة
- الخلافة الراشدة (مسلمون)
- النعيان بن مقرن
- ۳۰۰ ألف مقاتل

القوى والحشود
- ۱۰۰ ألف قتيل

الخسائر

معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في الفتح الإسلامي لفارس، وقعت في خلافة عمر بن الخطاب سنة (۲۰/۵/۱۴۱۶ م)، وقيل: سنة (۱۹/۵/۱۴۱۵ م). قرب بلدة نهاوند في فارس، وقد انتصر فيها المسلمون انتصارًا كبيرًا بقيادة النعيان بن مقرن على الفرس الساسانيين، إلا أن النعيان قتل في المعركة، وبانتصار المسلمين انتهى حكم الدولة الساسانية في إيران بعد أن دام حكمها ۴۱۶ عامًا.

قبل المعركة

لم أنسى المسلمون في القادسية على الفرس كاتب بزجرد أهل الباب والسند وحلوان;

 ليجتمعوا في وجهها ضرفة حاسمة للمسلمين، فكانتوا يجتمعوا في نهاوند.

وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر يقول: "بِلَغ الفرس خسرين ومائتا ألف مقاتل، فإن جاءوا قبل أن نادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلاً نحن لنا ذلك".

وأرسل عمر إلى سعد محمد بن مسلمة ليخبره أن يستعد الناس لمقاومة الفرس، فغادر سعد الكوفة إلى المدينة ليخبر عمر بعظمة موقف شفاهة، فجمع عمر المسلمين في المدينة,
أيام لا تتسم. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

وخطب فيهم وشرح لهم خطورة الوضع، واستشارتهم، وأشاروا عليه أن يقيم هو بالمدينة، وأن يكتب إلى أهل الكوفة فليخرج ثلاثهم لمساعدة الجيش الإسلامي وأهل البصرة بمن
عندهم. ثم قال عمر: «أشروا عليٍّ برجل أوليه ذلك الغد!» فقالوا: «أنت أفضل رأيًا
وأحسن مقدرة». فقال: «أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكون أول الأسئة إذا ألقاه (أي أول
من يتقلى الرماح بصدرو، كتابة عن شجاعته) غداً». فقال: «من يا أمير المؤمنين؟». فقال:
«النعان بن مقرن المزني». فقالوا: «هو لها».

ودخل عمر المسجد ورأى النعان يُصلي، فلما قضى صلاته بادره عمر قائلًا: «أقد
انتدبتكم لعمل». فقال: «إن يكن جبابة للضرايب فلا وان يكن جهاذاً في سبيل الله فنعيم».

وانتقل النعان عام 20 للهجرة يقود الجيش، وبرفقاته بعض الصحابة الكرام.

وطرح الفرس حسك الحديد (مثل الشوك يكون من الحديد) حول مدينة يثرب، فبعث
النعان عيبًا فساروا لا يعلمون بحسك، فزجر بعضهم مرسوه فدخلته في يده حسكة، فلم
يبرح الفرس مكانه، فنزل صاحبه ونظر في يده فإذا في حاربه حسكة، فعاد وأخبر النعان
بأخير، فاستشار جيهه، فقال: «ما ترون؟» فقالوا: «انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك
هارب منهم، فيخرجوا في طلبك». فانتقل النعان من منزله ذلك، وكتب الأعاجم الحسك
فخرجوا في طلبه، فرجع النعان ومنعه عليهم، وقد عقب الكاتب وانظم جيه وعده
ثلاثون ألفًا، وجعل على مقدمة الجيش نعين بن مقرن، وعلى المجينتين: حديثة بن اليان
وسويد بن مقرن، وعلى المجردة الفضع بن عمر، وعلى الساقة معاشع بن مسعود، وانظم
الفرس قواتهم تحت إمرة الفيزران، وعلى المجينتين الزرداي وهم جاذوري الذي ترك مكانه لدى
الحاجب، وكان تعداد الفرس مائة وخمسين ألفًا.

المغيرة رسول الجيش

اجتمع المسلمون حول ناوند واجتمع الفرس فيها وأميرهم الفيزران، وأرسل أحد قواد
الفرس واسمبه بندر إلى جيش المسلمين: «أن أرسلوا إلينا رجلاً تكلموه». فذهب إليهم داية
المسلمين المغيرة بن شعبة بمنظر رهيب وشعر مسترر طويل، فلما وصل إليهم استشار
بندر أصحابه: «أي هيئة تأذن له؟ هل يشايعنا وملكنا و phúcناً؟ حتى نرههم يقع و معنا
أم بالتمشيق؟ حتى يذهبوا بنا ولا يطيعوا في ملكنا؟» فأشاروا عليه: «بل بأفضل ما يكون من
أيام لا تننس في عهد الخلفاء الراشدين

الشارة والعدة. فتهيَّن له بأخير الأثاث والثياب.

دخل المغيرة، فقرَّبوا إلى جسمه ووجهه الخراب والنشاز يلتف عن البصر، وجند بنداَر حوله؛ كي يزيدوا المنظر رهبة، وصاروا يدفعونه ويزجرونها، أما بنداَر فعلى سيره من الذهب، وعلى رأسه ناج تفيس، فقال المغيرة: «الرسول لا يفعل بهم هذا». فقالوا: «إذا أنت كَلِب».

فقال المغيرة: «لأنا أشرف في قومي من هذا في قومه (وأشار إلى بنداَر).»

فانهره الجند، وقَالوا: «أجلس». فجلس، فتكلم بنداَر وترجع للمغيرة، ونما قاله: «إنكم معاشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جواع، وأشقم الناس شقاء، وأقدر الناس قذرًا، وأبعدهم دارًا، وما منعتي أن أمر هؤلاء الأسوارة حوني أن ينتظموكم بالنساب إلا أنني أنشًاалиاً جلفكم، وإنكم أرَجاس، وإن تذهبوا تركناكم، وإن تأتي نركم مصارعكم».

فحمد المغيرة اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: «وَاللَّهُ ما أخطأت من صفقتنا شيءًا ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس دارًا، وأشد الناس جواعًا، وأشقم الناس شقاء، وأبعد الناس من كل خير،
عَمِّي لا تَتَسِر، صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

حتى بعث الله ﷺ ﺃلِّي، إنّي رسوله ﷺ، فوحدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فوالله! ما زلت نتعرّف من ربنا مند جلّاء رسله الفتح والنصر، حتى أنتواكم، وإنّ الله لا نرجع إلى ذلك الشفاء أبدًا حتى نغليكم على ما في أنديكم، أو نقتل بأرضكم، وإن أرى عليكم نزعة وهمية ما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيّبوها.

قال المغيرة: «قلت في نفسي: لو جمعتُ ﷺ فوّهت وثبتت فقعتت مع هذا العلوج بندار على سريره، فلعله ينتحر. قال: فوجدت غفلة، فوفعت إذاً معه على سريره!» فصرخ بندار: «خذوه!». فأخذوه الجند، وصاروا يطلبون بهما، فقال المغيرة: «هكذا تتعلّون بالرسول! فإنّ لا نفعل هكذا، ولا نفعال برسلكم هذا».

شعر بندار أن المغيرة بدأ يجتمع من معنويات جنده؛ لأنّه بدأ يظهر عرزته التي هدّته بها الإسلام، وظهرت معركة أخلاقيات الفرس، فأراد أن يقتحم هذه المناظرة فقال: «إن شتم قطعتم إنيا، وإن شتم قطعتم إلىكم».

فعاد المغيرة واستمرت قائد الجيش النهيان، فقال النهيان: «أعبروا».

المعركة

بدأ النهيان القتال يوم الأربعاء، ودام على شكل منوشات حادة إلى يوم الخميس، والحرب سجال بين الفريقين، وكان الفرس خلاهًا في خناقة.

وشرع المسلمون أن يطول الأمر فاستمرت النهيان أصحابه، فتكلم قوم فرّوا آراءهم، ثم تكلّم طisible، فقال: «أرى أن بعث خليلاً ميّدًا، دُهّفوا بهم، ثم يرموه كُبّرُوا القتال، ويجسوسهم (أي يغضبوه)، فإذا أحبسواهم واختلطوا بهم وآرادوا الخروج أزروا (أي انضموا)، إذن استطاعنا (أي خدودها)». وأثرّ الجميع هذا الرأي، فأمر النهيان القتاع أن يُنسب القتال فأُنشِب، فخرج الفرس من خناقةهم، فلم يَخْرَجوا نكش القتاع بجنبه، ثم نكش ثم نكش، وخرج الفرس جميعًا فلم يبق أحدًا إلا حرس الأبواب، حتى انضم القتاع إلى الناس، والنهيان والمسلمون على تعبيرهم في يوم جمعة في ظهر النهار، وأقبل الفرس على الناس برموزهم، حتى أطعّوا فيه الجراحات، والمسلمون يطلبون من النهيان إذن بالقتال، و🥁 الثقافي يطلب منهم الصبر.
فليه جاء الزوال وهبَّت الريح أمر بالقتال، كل ذلك إحياءً لِسَنَة رسول الله ﷺ، الذي كان يختار هذا الوقت للقتال، وعندئذ ركب فرسه، وبدأ يُجَرَّ المسلمون على القتال، ثم قال:
»فإن قُتلَتُ فَالأمَير بعدي حذيفة، وإن قُتل فلان...«. وعدَّ سبعة.

وكَرِب النعَوان الكبيرة الأولى ثم الثانية، ثم قال: «اللهُمَّ آذَرْ دينك وانصر عبادك، واجعل النعوان أول شهيد اليوم على إسلام دينك ونصر عبادك، اللهم إن أسلَك أن تقر عيني اليوم يفتح يكون فيه عز الإسلام، آمَنوا رحمكم الله». فيكِي الناس.

وكَرِب النعَوان الكبيرة الثالثة، وبدأ القتال، وأثناء تقديم القائد بدأ الفرس يتركُ الساحة وظلَّ بالقائد. فرسه من كثرَة الدماء في أرض المعركة، فُضَرِرَ بين ستاك الخيل، وجاه سهم في جبهة، فرأى أخوه نعَسَجَه بثوب، وأخذ الراءُة قبل أن تقع هُما حذيفة بن اليان فأخذهما، وقال المغيرة: «اكتموا مصائب أميركم، حتى ننتظر ما يصنع الله فيه وفهمه; لبَلا بِالناس».


النصر

وأما أظلم الليل انهازَم الفرس وهربوا فوقوا في واد دون قصد، فكان واحدهم يقع فيقع معه سبعة، ذات في هذه المعركة مائة ألف أو يزيد، قُتل في الوادي فقط ثلاثون ألفًا، وقتل ذو الحاَب، وهرب الفريزان، وعلم بِهِ القعقَاع فتبينه هو ونُجِم بن مقرن، فأدركه في واد ضيق فيه قافلة كبيرة من برغال وعمر حملة عسلاً ذاهبة إلى كسرى، فلم يجد طريقًا فنزل عن دابته، وصعد في الجبل ليخنف، فتبينه القعقَاع راجلًا فقتله.

ويحزن المسلمون على موت أميرهم، وبناوا بعد المعركة أميرهم الجديد حذيفة، ودخلوا

نباند عام (١٢٠٠ هـ - ١٢٤١ م) بعد أن تنجوا.
الفصل الثالث
أيام لا تنسي
في العهد الأموي
www.moswarat.com
فنج الحيل والسنن

محاولات فتح السنن

بعد عدَّة محاولات قام بها الخلفاء الراشدون لغزو السنن (باكستان حاليًا) غزا المهلب نجر الهند في أيام معاوية بن أبي سفيان، وصول إلى بيتا والأهور (الأهور هي لاهاور)، وقد حادت نتيجة قليلة رغم أنه تمكن من دخول بيتا.

وفي أيام معاوية أيضًا - سار عبد الله بن سوار العبد في غزوة البقان، وغتنم خيلاً أهدي منها معاوية، ثم رجع إلى البقان، فاستغاث أهلها بالترك، ولقوا عبد الله بن سوار في معركة قتل فيها، وكان عبد الله هذا من رجال عبد الله بن عامر.

وفي أيام معاوية كذلك أرسل زيد بن أبيه قائدًا يُسمى سنان بن سلامة الهندي، ففتح مكران ومصرها وأسكنها العرب وهذا أول جزء من غربي البنجاب يدخل في دولة الإسلام.

والت سنن تسمى الغنر، وكان الغنر يشمل المساحة التي تلي سنن وبلستان وطخارستان ووخار شرقًا.

ويزيد بن أبيه هو الذي جعل ولاية الغنر قائمة بنفسها، وولي عليها وأيًا، وكان أوّل من ولأه عليها، نارش بن عمرو الجديدي من الأزد، ففتح البقان وظهر، ثم استطورد فغا الميد إلى شرق البقان فقتل، فولى زيد بن أبيه مكانه سنان بن سلامة الهندي فظل وليًا عليها سنة.

وغنا عياد بن زيد ثغر الهند من سنن، فأتم سروره ثم سار نحو جنوبه وسرور متروك من أرض سنن إلى الهند، فنزل كثيرًا ثم قطع المسافة إلى قندهار وفتحها، وبذلك اندلعت حدود الإسلام الشرقية حتى قندهار، ثم تولى ثغر الهند منذر بن الجارود العبد، وكيى أبا الأشعث، فغزا البقان ثم البقان، وفتح قصر، فدخل الإسلام قصره، والبقان وأسلم أهلها.

وويلي الخاج معبد بن أسلم بن زرعة الكلابي مكران وتغر الهند، فقتل في جرحه مع ثلاثين عربين أرادوا الاستيلاء على الغنر؛ وهو محمد ومحاولة أبناء الحرب العلائي.
أيام لا تنسي... صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

ثم ولى الحجاج مجاعة بن سعير التيمي الثغر، ففتح جزءاً من ناحية قندابل، ومات بعد سنة، وقد أمّ فتحه محمد بن القاسم.

ثم استعمل الحجاج بعد ذلك على الثغر محمد بن هارون بن ذراع النمري، وكان ملك السند إذ ذاك هو داهر، وقد وقعت في أيام محمد بن هارون مناشبات بين المسلمين ولجال داهر، فتُقتل فيها محمد بن هارون.

أسباب الفتح

في خلافة الوالي بن عبد الملك بن مروان أرسل ملك جزيرة الياقوت (سيلان) سفينة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراقيين، فتوجه بالتحف والهدايا من الدير والياقوت والجوهرة الثمينة والعبيد، مع نسوة وُلدُت في بلاده مسلمات ومات آباؤهن، كانوا تحترمون، فأراد النقرب بين إلى قطب العالم آنذاك وموره الخليفة الأموي؛ حيث أرسل إلى دار الخلافة بمدائن بالإضافة إلى ما منتحم وطرائف لا مثل لها، كما كان هدف النساء المسلمات زيارة الكعبة المشرفة، وهم رياح عائبة فقدت بالسفينة إلى سواحل الدبيل وهي بلدة على ساحل باء السند تبعد 60 كم جنوب شرق كراتشي حاليًا، حيث كان يقطنها مجموعة من الفراشة فخامرها السفينة، وقتلوا بعض ركابها وبحارها، وأخذوا الباقين من النساء والرجال والأطفال آخرين، كما سلبو جميع التحف والأموال، فصاحت امرأة من بين الأسرى: «يا حجاج يا حجاج أغنتي أغني!» وفر بعض الناس والتجار من الذين كانوا على متن السفينة، وواجه بعضهم إلى الحجاج وذكرها له ما حدث، مع استغاثة تلك المرأة، به فقّال: «ليبي ليبي!».

فكتب الحجاج إلى داهر بن صصة ملك السند بإرجاع النساء والتحف إلى دار الخلافة، فرد عليه داهر: «إن هذه الطائفة مجموعة من اللصوص والخارجين عن سلطنتنا، وهم أشرار أقوياء، لا يستطيع أحد ملاحقتهم والغيب عليهم».

محاولات الفتح في عهد الحجاج

كتب الحجاج رسالة إلى الخليفة يطلب فيها الإذن بغزو السند وتهديدها، ولكن الوالي لم ياذن له، فعذر الحجاج طلب حتى وافق الخليفة، فأرسل الحجاج عبد الله بن نهيان السلمي لفتح الدبيل فاستشهد، ثم أرسل بديل بن طهفة البحلي بثلاثة آلاف فاستشهد، فحزن
الحجاج حتى قال له منذه: "يا مؤذن! اذكر اسم بديل كلاً أقت الأذان، لأنذكروه وآخذ بئاره".

واستأذن الحجاج الخليفة في إرسال جيش كبير ومنظم لغزو السودان فوافق، فعين الحجاج محمد بن القاسم الثقفي الذي كان عمره آنذاك سبعة عشر عامًا، وكان واليًا على فارس، وطلب من الخليفة ستة آلاف مقاتل من أشراف الشام وأبنائهم، فجاء العدد الذي طلبه.

محمد بن القاسم قائدًا للفتح

وصى الحجاج محمد بن القاسم قائلاً: "اختر عن طريق (شیراز)، إضتو المنزل واحدًا تلم الآخر، حتى يأخذ منك الغضب وأخذًا شديدًا". وجه الحجاج الجيش بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والقطن المحلول، وسير محمد بن القاسم، وأمره أن يقيم بمدينة شیراز من أرض فارس كي يلتحق به جند الشام والعراق، فتحرك، فلما وصل عسكر بظاهرها، وأمر الحجاج بجمع ما هو موجود من المنجنيقات والسهام والرماح وضعها في السفن الحربية، وعين عليها قائدين من خبرة القواد، وكتب إلى محمد بن القاسم أن ينظر وصول السفن إلى الدبيل، وبعد استكشاف الاستعدادات في شیراز، ووصول ستة آلاف فارس وثلاثة آلاف يعبر لحمل الأثقال، وانتقل محمد بن القاسم ومعه اثنا عشر ألف مقاتل إلى الشرق، حتى وصل مكران، فأقام بها أيامًا، ثم توجه منها إلى فنزور، ثم إلى أرماتيل، وهناك وصلت السفن.

حصار الدبيل

نزل ابن القاسم بعد ذلك إلى أسوار الدبيل، وحفر الخنازير، ورفع الرايات والأعلام، ونصب المنجنيقات، ونصب منجنيقًا يُعرف بالعروس، كان يعمل لتشغيله خسارة رجل، وكان في وسط الدبيل معمل كبير للأسنان تحت سطح قبة عالية، ترفف عليها راية خضراء، وكان ارتفاع المعبد أربعين ذراعًا، وبسعة القبة أربعين ذراعًا، وارتفاع الرالية مثلها، وكان للراية أربعة ألسن تتراوح في الهواء، ودعا ابن القاسم أمير جند منجنيق العروس، وقال له: "إذا أمكنك أن تكسر رأس معبد الأصنام هذا وعمود الراية التي ترفف فوقه أعطيتك عشرة آلاف درهم".
المجنيق يهدم معبد الدبيل
وفي اليوم المحدد للقتال بدأ أمير المجنيق الرامي، وطارت راية المعبد وبعض قاعدته، ثم رمى الحجر الثاني فأصاب قبة المعبد فانهارت تماماً، وفي الحجر الثالث أصبح أنقاضاً مع الأرض سواء، ثم قرعت الطبول في الدبيل، وبدأ هجوم الجيش هجماً واحداً، وثلث المجنيق سور الدبيل، فوصل المجاهدون إلى أعلى السور وأبراجه، ثم فتح أهل الدبيل أبواب مدينتهم طبقاً الآمن، فدخلها ابن القاسم واستباحها ثلاثة أيام، وتوجه إلى السجن الذي ضم الأسرى المسلمين، فحررهم ووضع بدلاً منهم مجموعة من قرابة الدبيل، ثم حوّل ابن القاسم الدبيل إلى مدينة إسلامية، وأزال كل آثار البودية بها، وبنى بها المساجد، وأسكنها 4 آلاف مسلم.

الديبيل (93 هـ - 711 م)
بقيادة: محمد بن القاسم الثقفي

استكمال الفتح
ثم توجه ابن القاسم إلى فتح نيرون (حيدر آباد حالياً)، عبر مياه السند في ستة أيام، وحينها وصلها أرسل حاكمها رسولين محملين بالغذاء والأعلام، وفتح لابن القاسم باب المدينة، وأخذ يبيع ويشترى البضائع مع جيش المسلمين، ودخل ابن القاسم المدينة، وهدم
معبد الأوثان، وبني مكانه مسجدًا، ثم سار إلى حصن سيوستان، وأراد أهلها الأمان، ولكن حاكم المدينة رفض بشدة واستمر في الحرب، ونصب ابن القاسم المجندين وبدأ الحصار، وحينئذ اتفرج حاكم المدينة من الهزيمة، وقاص ثر ذمًا بالحصار قريلاً، ثم فتحت المدينة أبوابها.

فتح السند

سار ابن القاسم نحو حصن سيوس وفتحته، ثم عاد إلى نيرون، واتخذ قراره بعبرة نهر مهرا، للقاء داهر ملك السند، وأرسل رسولين له دعوته للطاعة فرفض، وعندئذ تقرر ابن القاسم أفضل معاربة النهر، وهيا السفن لذلك، وخلال هذه المراسلات والاستعدادات التي استمرت خمسين يومًا نفت أُراز المسلمين، وقد أغلق الحيل والدوب، ووقف عدد من الحيل بعد إصابتها بالجذام، واشتكى الجيش من قلة الغذاء، فاضطر الجند إلى أكل خيم الخيل المريضة، فكتب ابن القاسم رسالة للحجاج بالأوضاع، فأرسله للحجاج ألي حسان ملكًا للمجاهدين، ليست عارية مسترجة.

ثم توجَّل ابن القاسم لبري أفضل وأضيف مكان للعبور على نهر مهرا، ثم أمر بإحضار السفن وربط بعضها البعض؛ ليصبح منها جسرًا للعبور، وتقدمت جماعة من جند داهر وقائته؛ لينزعوا ابن القاسم من بربط أجزاء النهر، ولما وصلت طلائع السفن على مقربة من الساحل الشرقي بدأ المقاتلون المسلمون يرمون السهام والرماح بكثافة؛ مما دَّى إلى تراجع قوات داهر، مما سهل عبور الجيش المسلم، وفر جند داهر، وسار ابن القاسم إلى منطقة جيور، ونزل بجيشه على مقربة من هر ددهاوا، واتجه المجتمع من بداية الصباح وحتى الستة، ثم تراجع كل إلى موضعه، وكان عدد الفيلة ستينًا، وقيل: مائة. وكان داهر على أكبرها، وقد عملت في المسلمين الأفاعيل.

وُلِّدَ الحال هكذا عَشْيًا، وفي اليوم السادس غير الجيشان تنظيم صفوفها، وفي اليوم السابع شجع ابن القاسم رجاله وحرصهم على القتال، وبدأت سهام المسلمين المشتعلة بالنار تتساقط على هورج داهر، ورمى أحد الرماة بسهمه فاصاب قلب الهواج، وانهال فيه النار، فعاد الجيش داهر بقبله إلى الوراء وقد اشتعل بالنيران، وسقط معه في الماء، وعندها وصل الفرسان المسلمون إليه وقد تشرذم الجيش من حوله وحلت به الهزيمة، وحاول داهر الخروج من الماء فحسب إليه أحد الرماة المسلمين المهرة سيماً فأصابه، ولكن صاحب على نفسه، ولكن من
الظهور من الماء، فقتّم منه عمرو بن خالد الكلاهي فعله بسيب وضرب به رأس داهر، فشققه نصفين حتى الرقبة، وتبع المسلمون فلول جيش داهر المقتول حتى حصن راوف ففتحوه، ثم فتح ابن القاسم مدينة دهليلبة، ثم توجه إلى برهمتاف ففتحها، وأعطى أهلها الأمان الذي طلبواه، وفرج الجزية على من لم يسلم، ثم عين الراهمة في المناصب التي تناسبهم، وخصّص لهم المال، وأجسلهم في المحال في الأماكن التي كانت محصصة لأمراء الهند وملوكها، وأعطى لعوام الناس الأمان في ممارسة طقوسهم الدينية، ثم واصل محمد بن القاسم جهاده؛ ففتح العديد من المدن بعضها صلحاً وبعضها عدوً، وكان أهمها مدينة ملتان، وهي أعظم مدن الهند الأعلى وأقوى حصونه فامتعت عليهم شهوراً نفتت خلالها مؤمن، حتى أثارهم رجل مستأمن ذهب على مدخل الماء الذي يشرب منه السكان، فقطعوه عليه، وقاتل الهنود المسلمين قتالًا شديداً، استمرّب سبعة أيام افتتح المسلمون الأسوار من بعدها وفتحوا الملتان، وكان في كل مدينة يفتحها يبني المساجد والمدارس، حتى وصلت فتوحاته إلى حدود كشمير، واستطاع أن يُجْلِبَ السند لحُكم الخلافة الإسلامية في مدة لم تتجاوز ثلاث سنين فقط.

الفناء

أصاب محمد بن القاسم مالاً كثيراً وعظمت فتوحاته، فراح الحاجج حساب نفقاته على هذه الحملة فكانت ٦٠٠ مليون درهم، فحمل إليه محمد بن القاسم ضعف هذا المبلغ ١٢٠ مليون درهم، فقال الحاجج: «شفيما غيظنا، وأدركنا ثأرنا، وازدادنا سنين ألف ألف درهم ورأس داهر».

ولقد أنجز محمد بن القاسم الثفّفي هذا الفتح كله بين سنتي (٩٤-٩٨ه) فأتي عظمة في هذا الفناء؟ وأي عظمة في هؤلاء الجنود الفائنين؟ وأي سرّ في هذا الدين العظيم؟

وبعد موت الحاجج فتح محمد بن القاسم أرض البيلان وأسلم أهلها، وسلمه أهل سرست، وهي في بلاد الهند، وهم جماعة من أهل السند كانوا مهرة في الملاحة، وكانوا يتصصرون في البحر، فدخلوا في طاعة المسلمين.

وتقدم محمد بن القاسم في بلاد السند فوصل إلى إقليم الكيرج، وكان ملكه يُسمى دوهر، فهزمه محمد بن القاسم وقتله، ودخلت بلاد الكيرج في طاعة المسلمين.

***
معركة وادي لكة

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>7 هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>وادي برباط</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انصار المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>المتصارعون</td>
<td>دولة الفرق الغربيين (مسيحيون)</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>طارق بن زiad</td>
</tr>
<tr>
<td>القوة والحشد</td>
<td>100 ألف فارس</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>3 آلاف شهد</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة وادي لكة أو معركة وادي برباط أو معركة شذونة، هي معركة وقعت بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد وجيش الملك الفتوح الغربي رودرigo، الذي يُعرف في التاريخ الإسلامي باسم لدرينق، انصر المسلمون انصارًا ساحقًا أدى إلى سقوط دولة الفرق الغربيين، وبالتالي سقوط معظم أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية تحت سلطة الخلفاء الأمويين.

قبل المعركة

في شهر شعبان (12 هـ) تعرَّك جيش المسلمين المكون من سبعة آلاف مهاجر فقط، وعلى رأسه القائد طارق بن زياد، تعرَّك هذا الجيش وعُبر مضيق جبل طارق، والذي يُسمى بهذا الاسم (مضيق جبل طارق) لأن طريق بن زياد حين عبر المضيق، نزل عند هذا الجبل، وقد ظل إلى الآن حتى في اللغة الإسبانية يسمى جبل طارق ومضيق جبل طارق، ومن جبل طارق انتقل طارق بن زياد إلى منطقة واسعة تسمى الجزيرة الخضراء، وهناك قابل الجيش الجنوبي للأندلس، وهو حامية جيش النصارى في هذه المنطقة؛ فلم تكن قوة كبيرة، وعفادة الفلاجيج المسلمين فقد عرض طارق بن زياد عليهم: "الدخول في الإسلام وكونكم لما لنا وعليكم ما علينا وترككم وأملاكم، أو دفع الجزية وترك لكم -أيضاً- ما في أيديكم، أو القتال، ولكن تؤخركم إلا ثلاث". لكن تلك الحامية أخذتها الغزاة وآتت القتال، فكانت
الحرب وكانت سجالاً بين الفريقين، حتى انتصر عليهم طارق بن زياد، فأرسل زعيم تلك الحامية رسالة عاجلة إلى لدريق وكان في طليطلة عاصمة الأندلس، يقول له فيها: "أدركن يا لدريق; فإنك قد نزل علينا قوم لا تردوا أمن من أجل الأرض أم من أهل السيا؟".

حتى فهمت أناس غربيون، فقد كان من المعروف عندهم أن الفتح أو المحتل لن يعود إنها تقتصر مهنته على السلم والنهب لخيرات البلد، والذبح والقتل في كثير من الأحيان. أما أن يجدوا أناساً يعرضون عليهم الدخول في دينهم ويركونهم كل شيء، أو أن يدفعوا لهم الجزية وأيضاً يتركون لهم كل شيء، فهذا مما لم يهدوه من قبل في تاريخهم وفي حياتهم، وفضلًا عن هذا فقد كانوا في قتالهم من المهرة الأكثرا، وفي لببنهم من الرهبان المصلين، فلم يدرى قائد الحامية في رسالته إلى لدريق أمه من أهل الأرض، أم هم من أهل السيا؟! وصدق وهو كذوب؛ فهم من جنده ومن حربيه: "أوألك جزب الله آلا إن جزب الله هم المُلْبِنُون" (المجلة: 22).

التحرك للمعركة

حين وصلت رسالة قائد الحامية إلى لدريق جنَّ جنونه، وقرر وصفل جميع جيشه قوامه مائة ألف من الفرسان، وجاء بهم من الشمال إلى الجنوب يقصد جيش المسلمين، كان طارق بن زياد في بعثة ألفاً فقط من المسلمين، جلبهم من المنشأة وعدد محدود جدًا من الخيول، فلما أبصر أمر لدريق وجد صعوبة كبيرة في هذا القياس، بعث بعثة ألفاً أمام مائة ألف، فأرسل إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد، فبعث إليه طريف بن مالك على رأس خمسة آلاف آخر من المنشأ أيضاً، وصل طريف بن مالك إلى طارق بن زياد، وأصبح عدد جيش المسلمين أثنا عشر ألف مقاتل، وبدأ طريق بن زياد يستعد للمعركة، فكان أول ما صنعت بحث عن أرض تصلح للقتال، حتى هدأ البحث إلى منطقة تسمى في التاريخ وادي البربات، وسمى في بعض المصادر وادي لفة أو لفة بالكسر، وتسميها بعض المصادر -أيضا- وادي لُكَّ.

ولقد كان لا اختيار طريق بن زياد هذا المكان أبعداً استراتيجياً وعسكرية عظيمة؛ فقد كان من خلفه وعن يمينه جبل شاهق، ويه جمل أنه مر به، وبنوه، فلا يستطيع أحد أن يلتف حوله، وكان في مسيرته -أيضا- بحيرة عظيمة فهي ناحية آمنة تماماً، ثم وضع على المدخل الجنوبي هذا الوادي (أي في ظهوره) فرقة قوية بقيادة طريف بن مالك؛ حتى لا يباغث أحد
ظهر المسلمين؛ ومن ثمّ يستطيع أن يستدرج قوات النصارى من الناحية الأمامية إلى هذه المنطقة، ولا يستطيع أحد أن يلفت من حوله، ومن بعيد جاء إلى ذريع في أبيه ذينة، يلبس الناج الذهبي والثياب المشاها بالذهب، وقد جلس على سرير محلى بالذهب يجري بغلان، فلم يستطيع أن يتحلى عن نديبه حتى وهو في حظائر الحرود والقاتال، وقدم على رأس مائة ألف من الفرسان، وجاء معه بجيوش مهملة على بغلان، لتقييد المسلمين بها وأخذهم بعيدًا بعد انتهاء المعركة، وهكذا في صف وغرور، نظر أنه حسم المعركة لصالحه، فبسط نفسه وبقي أنه نحن عشر آلاف يجاجبون إلى الشفة والرحمى، وهم أمام مائة ألف من أصحاب الأرض مصدر الإمداد.

المعركة

في يوم (28 رمضان 92 هـ / 18 يوليو 777م) ثمّ القيادة في وادي برياط، وتور دورة معركة هي من أشهر المعارك في تاريخ المسلمين، وإن الناظر العادي إلى طرفة المعركة ليبدع في قلب الشفاء حقًا على المسلمين، الذين لا يعتد عددهم الألفين عشر ألفًا، وهم يواجهون مائة ألف كاملة، فبسط العقل كيف يقاتلون فضلاً، عن أن يغلبوه؟

ورغم المفارقة الواضحة جدًا بين الفريقين إلا أن الناظر المحمل ليرى أن الشفاء كل الشفاء على جيش المائة ألف، فالطرفة كان يحضرون في جميعهم (للمجوع) [19] وشتمان بين الخصامين! شتان بين فريق يخرج طائفة هباثًا، راغبًا في الجهاد، وبين فريق خرج غفرًا مضطربًا، محترمًا على القاتال! شتان بين فريق يخرج مستعدًا للاستيهداد، مسترخياً الحياة من أجل عقيدته، متعالية على كل روابط الأرض ومنافع الدنيا، أسمى أمانيه الموت في سبيل الله، وبين فريق لا يعرف من هذه العزى شيثًا، أسمى أمانيه العودة إلى الأهل والمال والولد! شتان بين فريق يقف فيه الجميع صفاً واحدًا كصوف الصلاة، الغني بجوار الفقير، والكبري بجوار الصغير، والحاكم بجوار المحكوم، وبين فريق يملك فيه الناس بعضهم بعضًا، ويستعد بعضهم بعضًا، فأنا فريق يقوده رجل بحري طارق بن زياد يجمع بين القوى والحكمة، وبين الرحلة والقوة، وبين العزة والتوابع، وذلك فريق يقوده مسلم مغرور، يعزي مرتقًا متكعًا بينه شعبه يعيش في ظل وشقاء وقد أغلب ظهره بالسياط، هذا جيش ترعرع عليه أربعة آخام الغنائم بعد الانتصار، وذلك جيش لا ينال شيئاً، وإذا يذهب كله إلى الحاكم المسلم.
المرور وكأنها حرب وحده، هذا فريق ينصره الله ويؤديه ربه خالق الكون وملك الملك، وذلك فريق يحارب الله يه، ويضمن على قانونه وعلى شرعه، وإيجاز هذا فريق الآخرة وذلك فريق الدنيا، فعلى من تكون الشفقة إذن؟ على من تكون الشفقة وقد قال الله: «إنا نحن آباء للناس» (المجادلة: 22)؟! على من تكون الشفقة وقد قال الله: «وَلَن يَجْعَلُ اللَّهُ لِلَّكِفَارِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَيِّئًا» (النساء: 141)؟! فالمرارة إذن بانت وكأنها خسومة سابقة.

وادي لكة وشهر رمضان

هكذا وفي شهر رمضان بدأت معركة وادي لكة غير المتكافئة ظاهريًا، المحسومة بالمنطق الرباني، بدأت في شهر الصيام والقرآن، الشهر الذي ارتبط اسمه بالمعارك والانتصارات، ولكن وحالف تأويل هذه الشهر الآن إلى موعد مع الزمن لإنتاج أحدث المسلسلات والأفلام وغيرها، تحول إلى يوم بالله وسره بالليل للفرار من القتاة، ولكن لمتابعة أو ملاحقة المعروضات الجديدة على الفضائيات وغير الفضائيات تحول إلى شهر
المروغة من العمل، وقد كان المسلمون يتظرون للقيام بأشق الأعيال وأكّدها، تحول إلى شهر الفيض وافتعال المضايقات، وهو شهر الصبر والجهاد وتهذيب النفس، ففي هذا الشهر الكريم وقبل العيد يوم أو يومين -وهي كما كانت أعياد المسلمين- وعلى مدى ثمانية أيام متصلة دارت رحى الحرب، وبدأ القتال القاضي الشرس بين المسلمين والنصارى، أمواج من النصارى تنهر على المسلمين، والمسلمون صابرون صادرون: «وجال صدّقوا ما غاهدوا الله عليهّم من قلقنّ نحبة وهمّهم من يتّظّرون وما يبّنّون تبديلًا» [الأخراب: 22].

وعلى هذا الحال ظل الوضع طيلة ثمانية أيام متصلة انتهت بنصر مؤزّر للمسلمين بعد أن علم الله صبرهم وصدق إيمانهم، وقتل لذرق وريق رواية أنه فر إلى الشيال، لكنّ اختفى ذكره إلى الأبد.

نتائج النصر

قد تختصر عن هذه المعركة عدة نتائج كا أنّها:

1- طوت الأندلس صفحة من صفحات الظلم والجهل والاستبداد، وبدأت صفحة جديدة من صفحات الرقي والتحضر من تاريخ الفتح الإسلامي.

2- غنم المسلمون خيانة عظيمة كأنهمّن الخيل، فأصبحوا خيالًا بعد أن كانوا رجازًا.

3- بدأ المسلمون المعركة وعددهم اثنا عشر ألفًا، وانتهت المعركة وعددهم تسعة آلاف، فكانت الخسارة ثلاثة آلاف شهيد، رقوا بدمائهم الغالية أرض الأندلس، فأوصلوا هذا الدين إلى الناس، فجزاههم الله عن الإسلام خيراً.

***
معركة بلاط إشبة

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>114هـ / 732م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>تربت مدينتي تولوز في فرنسا</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>هزيمة المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>الخلافة الأموية (مسلمون)</td>
<td>الفرنجة (سيسيون)</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>عيسى بن محمد بن زبير</td>
</tr>
<tr>
<td>السباق</td>
<td>من 200 إلى 400 ألف قتيل</td>
</tr>
<tr>
<td>الكور والحمود</td>
<td>أقل من عشرة آلاف شهيد</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>50 ألف قتيل</td>
</tr>
</tbody>
</table>

التحايلون

معركة بلاط الشهداء أو معركة بواتنج بين قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الفاتي وقوات الفرنجة بقيادة شارل مارتل، هز المسلمون في هذه المعركة وقتل قادتهم، وأوقفت هذه الهزيمة الرسم الإسلامي قلب أوروبا.

ما قبل المعركة

عُين عبد الرحمن الفاتي عام (114هـ / 732م) والياً على الأندلس، وقام بإخاذ الثورات القائمة في الأندلس بين العرب والبربر، وعمل على تحسين وضع البلاد الأمني والثقافي.

غير أن هذا الاضطراب والنزاع الذي حل بالأندلس نشأ من التوترات من الفرنج والقوط استعدادًا لمهاجمة المواقع الإسلامية في الشام، ولم يكن لبعض الفاتي أن يستعد وهو رجل مجنح عظيم الإقبال، لا تزال ذكريات هزيمة تولوزة تؤرق نفسه، ويتناول الفرصة السانحة لمحو آثارها، أما وقد جاءت فلابد أن يبنيها ويستعد لها أحصى استعداد، فأعلن عزمه على الفتح، وتدفق إلى المجاهدين من كل جهة، حتى بلغوا حوالي خمسة آلاف رجل.

خط سير الحملة

جمع عبد الرحمن جنده في "بلينون" شام الأندلس، وعبر بوم في أوائل سنة (114هـ / 732م) جبال ألبتر ودخل فرنسا (بلاد الغال) واتجه إلى الجنوب إلى مدينة
أمثال لا تنتهي في العهد الأموي

آرال: الواقعة على نهر النرون، لامتناها عن دفع الجزيرة وخروجها عن طاعته، ففتحها بعد معركة هائلة، ثم توجه جنوبًا إلى دوقية أقطانيا (أكويتين)، وحقق عليها نصرًا حاسمًا على ضفاف نهر الدوردوني، ومرقوا جيشها شرقًا مشرقًا، وأسطر الدوق (أدو)، أن يتحف بقواته نحو الشهاب تاركًا عاصمتة برادل (بوردو) ليدخلها المسلمون فاتحين، وأصبحت ولاية أكويتين في قبضة المسلمين ثامنًا، ومضى الغافقي نحو نهر اللوار، وتوجه إلى مدينة (تور) ثانية مدائن الدوقية، وفيها قتيبة (سان مارتنان)، وكانت ذات شهرة فائقة آنذاك؛ فاقتتح المسلمون المدينة واستولوا عليها.

ولم يجد الدوق (أدو) بدًا من الاستناد بالدولة الميرونجية، وكانت أمورها في يد شارل مارتل، فلبى الدعاء وأسرع بنجده، وكان من قبل لا يعي بتحركات المسلمين في جنوب فرنسا، نظرًا لخلافة الذي كان بينه وبين أدو دوق أقطانيا.

استعداد الفرنجة

وجد شارل مارتل في طلب نجده فرصة لضبط نفوذه على أقطانيا التي كانت بيد غريمه، ووقف الفتح الإسلامي بعد أن بات يهدده، فتحرك على الفور ولم يدخر جهداً في الاستعداد، فبعث يستخدم الجنود من كل مكان فوافته جنود ألبان أقوية جبارون شبه عراة، بالإضافة إلى جنده وتناروا أقوىاء لهم خبرة بالحروب والنزاع، وبعد أن أتم شارل مارتل استعداداته تحرك جيشه الجرار الذي يزيد في عدده على جيش المسلمين بئ الأرذ هزًا، وتزدد سهول فرنسا صدى أصوات الجنود وجلبهم حتى وصل إلى مروج نهر اللوار الجنوبية.

المعركة

كان الجيش الإسلامي قد اتجه بعد زحفه إلى السهل الممتلئ بمنادي بواتيه وثور بعد أن استولى على المدينة، وفي ذلك الوقت كان جيش شارل مارتل قد اتجه إلى اللوار دون أن يتبه المسلمون بقدم طلائعه، وحين أراد الغافقي أن يتحف نهر اللوار لملاقاة خصمه على ضفته اليمنى قبل أن يكمل استعداداته فاجأ شارل مارتل بقواته الجرار التي تفوق جيش المسلمين في الكثرة، فاضطر عبد الرحمن إلى الرجوع والارتداد إلى السهل الواقع بين بواتيه وثور، وعبر شارل مارتل بقواته نهر اللوار، وعسكر بجيشه على أميل قليلة من جيش الغافقي.

وفي ذلك السهل دارت المعركة بين الفريقين، ولا يُعرف على وجه الدقة موقع الميدان.
الذي دارت فيه أحداث المعركة، وإن رجعت بعض الروايات أنها وقعت على مقربة من طريق روماني يصل بين بواتية وشاتلر، وفي مكان بعيد نحو عشرين كيلو مترًا من شالي شرق بواتية يسمى بالبلاط، وهي كلمة تعني في الأندلس القصر أو الحصن الذي حوله حدائق؛ ولذا سميت المعركة في المصادر العربية بلاط الشهداء لكونها ما استشهد فيها من المسلمين، وتمسى في المصادر الأوروبية معركة "ثور- بواتية".

وشب القتال بين الفريقين في أواخر (شعبان 114 هـ / أكتوبر 732م)، واستمر تسعة أيام حتى أوائل شهر رمضان، دون أن يحقق أحدهما نصرًا حاسمًا.

وفي اليوم العاشر نشبت معركة هائلة، وأبدى كلا الفريقين منتهى الشجاعة والجلد والثبات، حتى بدأ الإعياء على الفرنجة ولاحت تباشير النصر للمسلمين، ولقد عرف المسلمون أن لدى الجيش الإسلامي غزائم كثيرة حصل عليها من معارك أثناء تقدمه من الأندلس حتى بواتية، وقد
أتخذت هذه الغنائم ظهور المسلمين، وكان من عادة العرب أن يلقوها غنائمهم معهم، فيضوعنها وراء جيشهم مع حامية تحميها، وقد فهم النصارى هذا، ونجحوا في ضرب المسلمين عن طريق التركيز على هذا الجانب، لقد شغفوه من الخلاف من جانب الحامية المكلفة بحراسة الغنائم، ولم يفطن المسلمون للتخطيط النصري، واستغلاهم بعض فرقهم خفاية الغنائم، وبالتالي احتل نظام الجيش الإسلامي، ففرقة تستدير لحاجة الغنائم، وآخرى تقاتل النصارى من الأمام، واضطربت صفوف المسلمين، واتسعت الغرفة التي تُعذب منها الفنَّرَة.

وحاول الغافقي أن يُعيد النظام ويُمسك برمم الأمور ويرد الحصار إلى نفوس جندو، لكن الموت لم يسعقه بعد أن أصابه سهم غادر أوجده بحب تسقط شهدًا في الميدان، فزادت صفوف المسلمين اضطرابًا، وعمم الذعر في الجيش، ولولا بقية من ثبات راشق ومبادئ جيش، ورغبته في النصر لحدثت كارثة كبرى للمسلمين أمام جيش يفوقهم عددًا، وصبر المسلمون حتى أقبل الليل فانهزموا فرصة ظلام الليل وانسحبوا إلى سبتيان، تاركين ألفاهم ومعظم أسلاسهم غنيمة للمعدو.

ولما لاح الصباح نسي الغافقي لمواصلة القتال فلم يجدوا أحدًا من المسلمين، ولم يجدوا سوى السكان الذي يُطلق على المكان، فقذفوا على حذر نحو الخيام لعل في الأمر خدعة فوجدوها خاوية إلا من أجريها العاجزين عن الحركة، إذ ضحوههم على الفور، واكتفى شارل مارتل بنسحاب المسلمين، ولم يُحرّق على مطاردتهم، وعاد بجيشه إلى الشام من حيث أتي.

أسباب الهزيمة:
تضافرت عوامل كثيرة في هذه النتيجة المخزية؛ منها:

1- أن المسلمين قطعوا آلآمائم منذ خروجهم من الأندلس، وأثكنتهم الحروب المتصلة في فرنسا، وأرهقهم السير والحركة، وطوا هذا السير لم يصلهم مدد يُجبَل حيوية الجيش، ويستنثبهم على مهمله، فمسافة بعيدة بينهم وبين مركز الخلافة في دمشق، فكانوا في سيرهم في نواحي فرنسا أقرب إلى قصص الأساطير منها إلى حوادث التاريخ، ولم نكن قبطة عاصمة الأندلس يمكنها معاونة الجيش؛ لأن كثيرًا من العرب الفاذرين تفرقوا في نواحيها.

2- جُرح المسلمون على حياة الغنائم، يقول الله تعالى في كتبه الكريم: "إِنَّ اللَّهَ الْحَقُّ فَلَا تُعَزِّرُواُهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يُعَزِّرُوكُمْ بِالَّذِي عَرَوْتُوْمَ بِالْغُرُورِ" (ناز: 5). فالملاحظ أن
المسلمين قد اغتروا بهذا الدنيا، التي فتحت عليهم فتنها وفسقه، وقد جاء عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر بن عوف الأنصاري، أن رسول الله ﷺ قال: "فولو الله ما ظفر أحدك على نوركم، ولكن أحدك على نوركم أن يُسبح نوركم الدنيا كما بسبح على من كان قولكم، فتناسوا وكأنتم ناسوساً، وتبكرون وكأنتم أهل الكرب".

فستنا الله تعالى في خلقه أنه إن فتح الدنيا على المسلمين وتناسوا وكأنهم ناسوساً من كان قبلهم من الأمم السابقة، فإنها ستملكهم - أيضاً - كما أهلكت هذه الأمم السابقة، قال تعالى:

"قلن تبئين لله وترجين لغفوة، إن الله عفو وغفير" (فاطر: 43).

نتائج المعركة

كثر الكلام حول هذه المعركة، وأحاطها المؤرخون الأوروبيون باهتمام مبالغ، وجعلوها معركة فاصلة، ولا يخفى سر اهتمامهم بها؛ فمعظمهم بعدَّها إنجاداً لأوروبا، يقول إدوارد جيبن في كتاب "اضحالات الإمبراطورية الرومانية" عن هذه المعركة: "إنها أقنعت أيامنا البريطانيين وجيئانا الفرنسيين من نير القرون المدنية، وحفظت جلال روما، وشدت بأطر النصرانية".

ويقول السير إدوارد كريزي: "إن النصر العام الذي ناله شارل مارتل على العرب سنة 732 هـ وضع حدًا جديداً لتنويع العرب في غرب أوروبا، وأنهى النصرانية من الإسلام".

وبرى فريق آخر من المؤرخين المعتدلين في هذا الاتجاه نكتة كبيرة حلت بأوروبا، وحرينها من الدينية والحضارة، يقول جوستاف لويس في كتابه المعروف حضارة العرب، الذي ترجع عادل زعترة إلى العربية في دقة وبلاغة: "لو أن العرب استولوا على فرساً؛ إذ لصارت باريس مثل قرطبة في إسبانيا، مركزًا للحضارة والمعلم؛ حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ؛ بل ويُفترض الشعر أحيانًا، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا لا يعرفون كتابة أشيائهم.

وبعد معركة بلاط الشهداء لم تسنح للمسلمين فرصة أخرى لينفذوا إلى قلب أوروبا؛ فقد أصيبوا بفرقة الكلمة، واشتد المنازعات، في الوقت الذي توجد فيه قوى النصارى، وبدأت ما يُسمى عندهم بحركة الاسترداد والاستيلاء على ما في يد المسلمين في الأندلس من مدن وقواعد.

(1) البخاري: كتاب الرفقة، باب ما يجدر من زهرة الدنيا والتناس فيها (121)، ومسلم: كتاب الزهد والرفقة، (92).
الفصل الرابع
أيام لا تنسى
في العهد العباسي
تعتبر معركة طراس التي حدثت في عام (136 هـ/ يوليو 751م) أولى وأولى معركة بين العرب المسلمين والصينيين، حيث انتصروا فيها الجيوش الإسلامية على الجيوش الصينية مما أدى إلى تثبت أقدام الخلافة العباسية في آسيا الوسطى.

بداية الصراع
كان للصين على مر التاريخ نفوذ كبير في منطقة آسيا الوسطى، والتي تضم اليوم جمهوريات (أوزبكستان، تركمنستان، طاجكستان، قرقیزستان)، وكانت هذه المناطق جَهَرًا حيويًا للصين منذ أقدم العصور، كما كانت لها أهميتها؛ لأنها تقع على طريق الحرير (وهو الطريق القديم يربط الصين ومملكة آسيا الوسطى بدول أوروبا والشرق الأوسط)، وقد سكنت تلك المناطق قبائل تركية كانت شبه مستقلة لكن كانت تدين بالولاء لإمبراطور الصين، وكانت تدفع له الجزية.

لكن منذ القرن السابع الميلادي ظهرت تطورات جديدة على الساحة العالمية، فقد ظهر الإسلام، وصاحب ذلك بداية الفتوحات الإسلامية، التي لم تتم بها الصين في أول الأمر لعدة أسباب؛ منها بُعد الفتوحات الإسلامية عن الصين، ورغبته حكام الصين في التخلص
من ملوك فارس الساسانيين المنافس الأكبر لهم في آسيا الوسطى، بل إن حكام الصين تجاهلوا استغلال ملك فارس بهم.

لكن بداية العصر الحقيقي بدأت عندما أكل المسلمون فتح إيران، وما تل ذلك من تطلع المسلمين إلى فتح آسيا الوسطى لتأمين الظروف الإسلامية التي حققتها المسلمون، ففتحت جيوش الدولة الأموية كابول وهرات وغزنة، وكلها تقع الآن في أفغانستان، وكان لولا المسلمين على إقليم خراسان أثر بالغ الأهمية في التشجيع على القدرات; فقد كانت لمجهودات المهلب بن أبي صفرة، وإلى خراسان أكبر الأثر في فتح ما يعرف الآن بأفغانستان.

وذلك الدور الكبير الذي قام به الحجاج بن يوسف عندما حشد الجيوش وقال قوله المشهورة: «أيضاً، بنى إلى الصين فهو عمل عليها». ووجد الحجاج في قينية بن مسلم الباهلي غاية، فقد كان قادرًا بارعًا، وله الحجاج خراسان سنة (585 هـ) وعهد إليه بمواصلة الفتح وحركة الجهاد: فأطلق بلاء حساسًا، ونجح في فتح العديد من النواحي والمالك والمنطقة الخصبة.

مثل: بلخ، وبيكند، وبيخارى، وشومان، وكش، والطاقان، وخوارزم، وكاشان، وفرغانه، والشام، وكاشغر الواحة على حدود الصين المتاخمة لإقليم ما وراء النهر، وانتشار الإسلام في هذه المناطق، وأصبح كثير من مدنها مراكز مهمة للحضارة الإسلامية؛ مثل: بيخارى وسمند.

لم تستطع الصين وقف موجات الانتفاضات الإسلامية في آسيا الوسطى عسكريًا، وافتقدت بدعم زعيم القبائل وتحريضهم على التلال ضد المسلمين دون أن تحقق نجاحًا يذكر. ففي هذا الوقت لم يكن بمقدور الصين مواجهة المسلمين عسكريًا؛ نظرًا للمشكلات والثورات التي عاشتها الصين في تلك الفترة، إضافة إلى سمعة الجيش المسلم الذي لا يُفتر، فقد هزم الغزنوسيين وأسقفلو دويلتهم، كما قلموا أظافر الدولة الرومانية واستولوا على أكثر أملاكها، حتى بلاد الغال البعيدة (أي: فرنسا) لم تسقط من غزوات المسلمين.

قبل المعركة

على الرغم من استيلاء المسلمين على معظم مناطق آسيا الوسطى، إلا أن الصين احتفظت ببعض المناطق المهمة الواقعة، والتي تتمثل في قزوين.

لكن الصين كانت تتمتع دائرة في استعادة نفوذها المفقود، فاستغللوا الأزمة التي تعيشها الدولة الأموية وانشاغها بمقاومة الثورات والمعارضين، وقامت الصين بإرسال هيئة عسكرية
أيام لا تنسي في العهد العباسي

بقيادة القائد جاو زيناثري، استطاعت تلك الحملة استرداد بعض المدن المهمة من المسلمين؛ مثل: كش، والطالقان، وتوكاك، (وهي تقع الآن في جمهورية أوزبكستان)، بل وصل الأمر إلى تهديد مدينة كابول إحدى كبرى مدن المسلمون في آسيا الوسطى، وذلك في سنة 130 (648 هـ/750م).

الجبهة الإسلامية

أدى وصول العباسيين إلى سدة الخلافة إلى استقرار الدولة الإسلامية; وبالتالي التفكير في تأمين حدودها، فأرسل الخليفة أبو جعفر المنصور إلى أبو مسلم وإله على خراسان بالتحضير بحملة؛ لاستعادة هيبة المسلمين في تركستان، بآسيا الوسطى، فقام أبو مسلم بتجهيز جيش زحف به إلى مدينة «مرمو»، وهناك وصله قوات دعم من إقليم طخارستان (ويقع هذا الإقليم في أفغانستان الآن)، وسار أبو مسلم بهذا الجيش إلى سمرقند، وانضم به قواته إلى قوات زيد بن صالح الوالي السابق للكرخة، وتولى زيادة قيادة الجيش.

في الوقت نفسه حشد الصينيون 30 ألف مقاتل طبقا للمصادر الصينية، و100 ألف مقاتل طبقا للمصادر العربية، وكان جاو زيناثري على رأس الجيش الصيني.

أحداث المعركة

وفي (133 هـ/ يوليو 751م) اشتبكت الجيوش الصينية مع الجيوش الإسلامية بالقرب من مدينة طلاس أو طرار، والتي تقع على نهر الطالس بجمهورية فرغانيزيا الآن، وحاصر فرسان المسلمين الجيش الصيني بالكامل، وأطلقوا عليه الخناق، مما أدى إلى سقوط الآلاف من القتلى الصينيين، وهرب جاو زيناثري من المعركة بعد أن خسر زهرة جنده، أما عن زيد بن صالح فقد أرسل الأسرى وكانوا 200 ألف إلى بغداد وتم بيعهم في سوق الرقيق.

نتائج المعركة

كانت معركة طلاس أول وآخر صدام عسكري حادث بين العرب المسلمين والصينيين، كا أنها أهنت نفوذ الصين في آسيا الوسطى بعد أن سقطت فرغانيزيا في أيدي المسلمين، حيث تمت صياغ منطقة آسيا الوسطى بصحراء إسلامية بعد أن أسس أكثر قبائلها، وغدت مناطق إشعاع إسلامي وحضاري، وأنجبت عنايا مسلمين عظام، كالإمام الباخري، والزماني، وأبي حنيفة، وغيرهم، كا إنها أدت إلى وصول الورق الصيني إلى دول الشرق الإسلامي بعد أن أمر المسلمون عدداً كبيراً من صناع الورق الصينيين، وتم تجليفهم إلى بغداد.
فتح عمورية

يعتبر فتح عمورية عام (223هـ/838م) من أعظم فتوح الخلافة العباسية في آسيا الوسطى، فعمورية تقع بعيدًا في جوف آسيا الصغرى؛ إذ اعتبرها الطربي: «من أعظم ما يُقصده من بلاد الروم».

أسباب الفتح

فتحت بابك الخُرْمِي

كانت وصية الخليفة الأموي لأخيه المعتصم وهو على فراغ المرض، أن يقضي على فتنة بابك الخُرْمِي، وقد كان زعيم فرقة ضالة، تؤمن بالحلول وتناسخ الأرواح، وتدعو إلى الإباحية الجنسية، وبدأت تلك الفتنة تترقب برأيها في أذربيجان، ثم انتهى نطاقها لتشمل همدان وأصبهان، وبلاد الأكراد وجرجان، وحاول الأمويون أن يقضي عليها فأرسل الحملات العسكرية لقمع تلك الفتنة، لكنه توفي دون أن يحقق نجاحًا، تاركًا للمعتصم مهمة القضاء عليها.

الإمبراطورية البيزنطية تستغل الموقف

ما إن تولى المعتصم الخلافة حتى وجه اهتمامه للقضاء على فتنة بابك الخُرْمِي، مما كلفه الأمر، وخاصة بعد أن غشلت الخلافة سنوات طويلة، وأهتمت ميزانية الدولة، وأهلكت الرجال والأبطال، واستغلت الدولة البيزنطية انشغال الخليفة المعتصم بالقضاء على تلك الفتنة الهوجاء وراحت تعنتي على حدود الدولة البابارية، وجهزت لذلك جيشًا ضخميًا قاده إمبراطور الدولة البيزنطية، حسب هاجم شهاب الدين، والجزيرة.

وكان بابك الخُرْمِي حين ضاق عليه الحصار، واشتد الخناق عليه، وأيقن أن مفر من الاستسلام، كان قد تصل بإمبراطور الروم يعرضه على غزو الدولة البابارية؛ ليخفف الحصار عليه، وزين له أمر الهجوم بأن معظم جيوش الدولة البابارية مشغولة بالقضاء عليه، ولم يبق في العاصمة قوة تدافع عنها، ووعده بامتلاك المسيحية هو وأتباعه.
عَرَّ ف ذلك الأمر من رغبة الإمبراطور ثيوفيل في الهجوم على الدولة العباسيّة، فأخذ على منطقة آثار الفراتات. لذُيَّم اتصالاً مع الخُرُوميّة في أرمينيا وأذربيجان، واستولى في طريقه على زبيدة مسياح رسول الخُرُوميّة، كما هاجم سمياسياً وملطية وأحرقها، وتمّ الجيش الرومي بِمّ وقع في يده من المسلمين، وسُمّل أعينهم، وقطع أذاهم وأعوامهم، وسبى أكثر من ألف امرأة مسلمة، وصرخت امرأة مسلمة صرختها الشهيرة: «واعتصامي». ورجع الجيش البيزنطي إلى القسطنطينية فرحاً بها حقّ، واستطاع من أهلها استقبالاً رائعاً.

موقف المعتصم والاستعداد للحرب
وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أساع الخليفة المعتصم، وكان قد أُوشك على قمع فتنة بابك الخُرُومي، وحكي الهاربون الفظائع التي ارتبكتهما الروم مع المسلمين، فاستعمر الخليفة ما حدث، وأمر بعامة الغزوة فاعتم بِهَا، ونادى لساعته بالغزوة والاستعداد للحرب، حيث اعتبر المعتصم هذه الغارة البيزنطية تحديًا شخصيًا له قبل أن تكون تحديًا للخلافة العباسيّة، فقبل
التحدي، وعزم على أن يتأثر لزبطرة، فبعث بجندته إلى أهل زبطرة بقيادة «عجيفر بن عنبسة» استطاعت أن ترد إليها الهاربين من أهلها تطهيرهم؛ وفي هذه الأثناء تمكن «الأعشى» أربع قادة المعتصم من القضاء على الفتنة، وألقى القبض على بابك الخرمي في 10 من شوال 227 هـ (16 من سبتمبر 843م).

وكان المعتصم قد سأل: "أي بلاد الروم أمنع وأحسن؟" فقال: "عمورية!" لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام وهي عين النصرانية. فسارع بتبعة الحملة وتجهيز الجيش بكل ما يحتاجه، حتى قيل: "إنّه لم يتجه قبله مثله". وخرج إلى عمورية في (حادي الأولى 227 هـ / أبريل 843م)، ولم تكن من عادة الحملات الكبرى الخروج في ذلك الوقت، غير أن الخليفة كان متمهّلاً لقاء، ورفض قبول توقيت المتّجهين الذين تنبأوا بفشل الحملة إذا خرجت في هذا التوقيت.

التحرك للفتح

غادر الخليفة بجيشه سامراء، وجعل أثرة أول هدف للحملة، ففي أنسان الديك قائد المقدمة، وإيالة قائدًا للميمنة، وعجيفر بن دينار على المسرح، وعجيفر بن عنبسة على القلب، وشارك الأعشى في حملة على رأس فرقة عسكرية، وكتب على ألوية الجيش وتروسه عمورية، وقرر دخول الأراضي البيزنطية من ثلاثة محاور، فتوجه جيش الشرق بقيادة
الأفغاني نحو مدينة سروج؛ ليدخل الأراضي البيزنطية في يوم محدد عن طريق درب الحدث، أما جيش الغرب بقيادة أشناس فكان عليه أن يتقدم عبر جبال طوروس إلى مدينة الصفصاف الواقعة قرب قلعة لولوة على أن يلتقي بجيش الشرق في سهل أنقرة، وقاد الخليفة القسم الثالث من الجيش، وزحف مباشرة نحو أنقرة، ورسّم الخليفة خطط التكتيكية على أن يجمع الأقسام الثلاثة عند سهل أنقرة لمهاجمة المدينة.

تحركات البيزنطيين

غادر القسطنطينية في هذه الأثناء الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، بعدما علم بما وضعه الخليفة من خطط عن أنقرة وعمورية، وتوقف في دوريهيلوم على بعد ثلاثة أيام من عمورية، وأمر بتلخيص هذه الأخيرة، وبعث الإمدادات إليها، أما الخطة القتالية التي وضعها؛ فكانت تقضى بمهاجمة القوات الإسلامية أثناء زحفها نحو الشمال باتجاه أنقرة، ومن أجل ذلك عسكر على نهر هاليس، واستعد لعبوره ليفاجئ المسلمين ظنًا منه بأن هذه القوات سوف تتجه درب كيليكيا في طريقها إلى أنقرة ولم يكن يعلم شيئًا عن الجيش الأفغاني.

ثم حدث أن أصدر الخليفة أوامر بالتوقف وثبت يستمتع أخبار الجيش البيزنطي، وبعد برسالة إلى أشناس - وكان وقتلت قد بلغ مرج الأسسق القريبة من لولوة - يبلغه بتطورات الموقف العسكري، وبأمر بالتوقف حتى توافد المؤخرة لأنها تجعل المراعي الحبيبة.

وأدرك أشوفيل علم بتقدم جيش الشرق بقيادة الأفغاني ففعّل خططه، واعترف أن يقسم جيشه إلى قسمين حيث نُسَمَّى هو القسم الأول لمواجهة الأفغاني، في حين ترك القسم الثاني من الجيش للتصدي لجيش الخليفة حتى يمنعه من التقدم؛ محاولة بذلك منع التقاء الجيشين الإسلاميين.

فتح أنقرة

وكلما وقف المعتصم على خطأ ثيوفيل، أراد أن يُنذر الأفغاني بمسير الإمبراطور إليه، لكن الأفغاني كان قد توغل في آسيا الصغيرة، فلم يبلغه أي كتاب، أما أشناس فقد تابع زحفه باتجاه أنقرة، وسار الخليفة وراءه، وكان بينهما مسيرة يوم واحد دون أن يعلم شيئا عن مصير الأفغاني.

وفي الوقت الذي كان فيه جيش الخليفة يقترب من أنقرة، كان الأفغاني يجتاز سuous إلى
توقيت، فتحتم عليه عند ذلك أن يشترك في معركة مع الإمبراطور، وابتدى المعركة في ساعات الصباح الأولى من يوم الخامس والعشرين من شهر (شعبان 1343هـ/ يوليو 1838م)، وعلى الرغم من أن البيزنطيين أخرزوا نصراً أولياً، إلا أن فرسان المسلمين حولوا الموقف من الهزيمة إلى النصر، ووقع الاضطراب في صفوف البيزنطيين عندما شاع خبر أن الإمبراطور قد نصر في أثينا، نهى البيزنطيون وهربوا، وترك الإمبراطور ساحة المعركة بعد قليل من البناء، وسار حتى بلغ مدينة خليوكوني شمالي أمازيكا، حيث جمع فلول جيشه الهارب، وعاد إلى معركة على نهر هاليس، وأرسل أحد معاونيه إلى أنقرة للدفاع عنه، لكنه وصل بعد فوات الأوان؛ ذلك أنه حدث أن اجتمعت الجيوش الإسلامية المترفقة في سهل أنقرة، وأنزلوا بالمدينة الخراب والدمار.

الإمبراطور يطلب برضاء

لم يَشغِّ فؤاده بعد هزيمته وتلاشى أثرة ورجع إلى المعتصم يطلب الصلح معتذرًا عن مذابح زبارة، ومعهداً بإعادة بنائها، وإعادة السكان إليها، وإطلاق سراح من عديده من الأسرى المسلمين، إلا أن الخليفة رفض عرض الصلح، ولم يأذن للرسول بالعودة حتى أنجز فتح عمورية، وتابع الخليفة زحفه باتجاه عمورية، أما فؤاد فقد توجه نحو دوروبيلد، متنظرًا ما سوف يحدث بعمورية من المصير المحتوم.

حصار عمورية

دخلت جيوش المعتصم أنقرة، التي كانت قد أخليت بعد هزيمة الإمبراطور، وتوجهت إلى عمورية وضربت عليها حصارًا شديدًا في (6 رمضان 1343هـ/ 1 أغسطس 1838م)، وأحاطت الأبراج الحربية بأسوار المدينة، وفي هذا الوقت ابتدأت المناوشات بين طرف الحجازة ورمى السهام، فقتل كثيرون، وكان يمكن أن يعمر هذا الحصار مدة طويلة، ولا أن أسيءً عربيًّا قد أمر الروم ذو الخليفة المعتصم على جانب ضيوف في السور، فأمر المعتصم بتكيف الهجوم عليه حتى ينخر، وأشارت مع قوى الدفاعين عنه بعد أن ينام في المقاومة واضطر قائد الحامية (ياطس) إلى التسليم، فدخل المعتصم وجدت مدينة عمورية في (17 رمضان 1343هـ/ 12 أغسطس 1838م)، فأمر المسلمون كثيرًا من أهلها، وغنمهم غنائم وفيرة، وهدم المعتصم أسوارها، وأمر بالمغامرة بحجة زيارة وتحصينها.
نتائج الفتح

كشفت حملة المعتصم عن ضعف الإمبراطورية البيزنطية؛ مما شجع الخليفة على مواصلة موجهة بات الطريق إليها مفتوحة، إلا أنه اضطر للعودة إلى العراق.

لأنه اكتشف مؤامرة دبرها بعض الجند.

وترتب على نتائج المعتصم في آسيا الصغرى، وما جرى من تقدم مسلمي إفريقية في جزيرة صقلية ومنهم المسلمون في جزيرة كريت بالإمبراطورية من هزائم، كل ذلك أقنع ثيوفيل بأن الإمبراطورية عاجزة عن مواجهة قوة المسلمين المتزايدة، فعاد إلى الصلح، وأخيرًا تقرر الهدنة بين الطرفين في عام (227هـ / 842م).

***
فتنه سومنات بالهند

أسباب الفتح

استمر السلطان محمود بن سبكتكين في حملاته وفتوحاته بلاد الهند، وكان كلما فتح بلدًا أو هدم حينًا أو حزم معبدًا، قال الهنود: "إن هذه الأصناص والبلدان قد سخط عليها الله سومنات، ولو أنه راض عنها لأهلك من قصدها بسوء". ولم يظهر السلطان محمود الأمر اهتمامه حتى كثرت القالة، وأصبحت بقيتًا عند الهند، فسأل عن سومنات هذا، فقيل له: "إنه أعظم أصناص وأقل الهنود، ويعتقد الهند فيه أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على عقيدة التناسخ، فبعدها فين شاء، وأن المد والجزر الذي عندها إنه هو عبادة البحر له".

وصف سومنات

يقع سومنات على بعد خمسة فرسخ من مصب نهر الجانج بإقليم الكوريات في غرب الهند، ولهذا الصنم وقفت عشرا ألف قرية، وعندله ألف كاهن لطقوس العبادة، وثلاثمائة رجل يحملن رؤوس نحل زواره، وثلاثمائة رجل يمسح مرآة يغون ويرقصون على باب الصنم، وأما الصنم سومنات نفسه فهو مبني على ست وخمسين سارية من الصناد المشق بالرصاص، وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع، وليس له هيئة أو شكل، بل هو ثلاث دوائر وذراعان.

التحرك للفتح

عندما اطلع سلطان الإسلام السلطان محمود على حقيقة الأمر، عزم على غزوه وتحطيم الصنم وفتح معده؛ فنظر منه أن الهند إذا فقدوه، ورأوا كاذبًا ادعائهم الباطل دخلوا في الإسلام، فالسلطان محمود لا يغنى من جهاده سوى خدمة ونشر الإسلام، فاستخار الله، وخرج بجيشه ومن انضم إليه من المتطوعين والمحتاجين، وذلك في 6 شعبان 416 هـ (6 أكتوبر سنة 1025 م)، واختير صحراء وقفر مهلكة لا ماء فيها ولا مبردة، واصطدم بالعديد من الجيوش الهنودية وهو في طريقه إلى سومنات، مع العلم أنه أعلم الجميع بوجهته وهدفه، ليرى الهند إنه كان سومنات سيديف عن نفسه أو غيره شيئًا.
بلغ السلطان محمود بجيوشه مدينة دبلواره على بعد مرتين من سومنات، وقد تثبت أهالتها لقتال المسلمين؛ ظنًا منهم أن إلههم سومنات يمنعهم ويدفع عنهم، فاستولى عليه المسلمون، وحظروا مدافعها، وقتلوا جيشهما بأكمله، وصاروا حتى وصلوا إلى سومنات يوم الخميس (15 ذي القعدة 416 هـ/ 7 يناير 1026م)، فرأوا حصنًا حسبًا على ساحل النهر، وأهله على الأسوار يتفردون على المسلمين، وتلقين أن يعذبهم سيقطع دابرهم ويبلنكهم.

اقتحام أسوار سومنات

وفي يوم الجمعة (16 ذي القعدة 416 هـ/ 8 يناير 1026م) وعند وقت الزوال كا هى عادة المسلمين الفارغين، زحف السلطان محمود ومن معه من أبطال الإسلام، وقابلوا الهندود بمهتهن الضراوة؛ بحيث إن الهندود صعقوا من هول الصدمة القاتلية، بعدما ظنوا أن إلههم الباطل سيمنعهم ويحلك عدوهم، ونصب المسلمون السلام على أسوار المدينة وصعدوا عليها، وأعلنوا كلمة التوحيد والتكبير، وانحدروا كالسيل الجارف داخل المدينة، وحيث أن...
اشتد القتال جدًا، وتقدمت جامعة من الهندو إلى معبدهم سومنات، وعرفوا وجههم، وسألوا النصر، واعتقوه ويكوا، ثم خرجوا للقتال فقتلا جماعًا، وهكذا فريق تلو الآخر يدخل ثم يُقتل، وسباحه من أصل هؤلاء حتى صاروا أضل من البهائي السوام، قاتل الهندو على باب معبد الصنم سومنات أشد ما يكون القتال، حتى راح منهم خمسون ألف قتيل، ولما شعروا أنهم سيقذوون بالكأنية ركب اليهود منهم مراكب في البحر وحاولوا الهرب، فأدركهم المسلمون في نجا منهم أحد، وكان يومًا على الكفار عشيرًا، وأمر السلطان محمود بهدم الصنم سومنات، وأخذ أحجاره، وجعلها عتبة جامع غزنة الكبير شكرًا لله ﷺ.

أعظم مشاهد المعركة

إلى كل الطائعين والمشككين في ساحة وعدالة الدين الإسلامي، وحقيقة الجهاد في سبيل الله، وأن هذا الجهاد لِيُرِيدُ به المسلمين أبدًا الدنيا وزينتها، بل كان خالصًا لوجه الله، ولنشر دين الإسلام، وإزاحة قوى الكفر، وانطلاقًا من طريق الدعوة الإسلامية.

في أثناء القتال الشرس حول الصنم سومنات رأى بعض عقلاهم الهندو مدى إصرار المسلمين على هدم سومنات، وشرستهم في القتال، حتى ولز قتلوا جميعًا عن بكرة أبيهم، فطلبوا الاعتداء مع السلطان محمود، وعرضوا عليه أموالًا هائلة، وكنوزًا عظيمة في سبيل ترك سومنات والرحل عنه؛ ظلًا منهم أن المسلمين ما جاءن إلي لأجل الأموال والكنوز فجمع السلطان محمود قادته، واستشارتهم في ذلك، فأشاروا عليه بقبول الأموال للمجهود الضخم والأموال الطائلة التي أُنفق على تلك الحملة الجهادية، فبات السلطان محمود طوال ليله يفكر ويستخبر الله ﷺ، وما أصبح قرر هدم الصنم سومنات، وعدم قبول الأموال، وقال كلمته الشهيرة: »والله تُرَكْتُ في الأمر الذي ذكر، فرأيت إذا نوديت يوم القيامة: أين عموم الذي كسر الصنم؟ أحبتُ إلى أن تقال: الذي ترك الصنم لأجل مال يئله من الدنيا.»

وهكذا نرى هذا الطراز العظيم من القادة الرومان، الذين لم تشغلهم الدنيا عن الآخرة، ولا أموال الدنيا وكنوزها عن نشر رسالة الإسلام وخدمة الدعوة إليه، والذين ضربوا لنا أروع الأمثلة في بيان نصاعة وصفاء العقيدة الإسلامية، وأظهرو حقيقة الجهاد في سبيل الله، وعوائنه النبيلة.
معركة ملاذكرد

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>١٠٧١/٢٦٦٣ هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>ملاذكرد – تركيا</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انتصار المسلمين وأسر الإمبراطور البيزنطي</td>
</tr>
</tbody>
</table>

الإمبراطورية البيزنطية

<table>
<thead>
<tr>
<th>المتحاربين</th>
<th>القادة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الدولة السلجوقية (الخلافة العباسية)</td>
<td>ألبر أرسلان</td>
</tr>
<tr>
<td>رومانوس ديوغينس</td>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٠٠ ألف مقاتل</td>
<td>١٥ ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>كثيرة جدًا</td>
<td>غير معروفة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

الخسائر

وقعت معركة ملاذكرد بين السلاجمة بقيادة السلطان ألبر أرسلان وبين البيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجينس في (ذي القعدة ١٠٧١/٢٦٦٣ هـ، ٢٦ أغسطس ١٠٧١ م)، انتصر فيها السلطان، وأسر الإمبراطور البيزنطي بيد السلاجمة، وكانت هذه هي بداية إنهاء الدولة البيزنطية وانخراها، ولم يُجْلِص بالإمبراطور البيزنطي نفسه إلا بفدية كبيرة قدرها مليون ونصف مليون من الديانات، وعقد الروم صلحًا مع السلاجمة مدة سبعون عامًا، واطرفوا سيطرة السلاجمة على المناطق التي فتحوها من بلاد الروم.

ألب أرسلان

تولى ألب أرسلان حكم دولة السلاجمة سنة (١٠٦٣/٤٥٥ هـ) خلفًا لعمه طغرل بك، الذي أسس الدولة، ومدّ سلطتها تحت بصره، حتى غدت أكبر قوة في العالم الإسلامي، وقضى ألب أرسلان السنوات الأولى من حكمه في المحافظة على ممتلكات دولته وتوسيع رقعتها، وتأمين حدودها من غارات الروم.

ثم تطلّع ألب أرسلان إلى ضم المناطق المسيحية المجاورة لدولته؛ فاتجه صوب الغرب لفتح بلاد الأرمن وجورجيا، والأجزاء المجاورة لها من بلاد الروم، وكان أهل هذه البلاد يكثرون من الإغارة على إقليم أذربيجان، حتى صاروا مصدر إزعاج وقلق لسكانه، وهو ما
دفع السلطان السلجوقي إلى ضرورة كيج حمّأ جهلاء الغزاة.

أزعجت هذه التوسّعات السلجوقيّة إمبراطور الروم رومانوس ديوغينس، وأدرك أن التوسع السلجوقي لا يقف عند هذا الحدّ، وأن خطره سيشهد بلاده، فعزم على خرّيج أنظار السلاجقة عن بلاده بالغارة على بلاد الشام الشامية، فهاجم مدينة "منبج"، ونبطها وقتل أهلها، غير أن ذلك لم يكن كافٍ للدفاع عن بلاده، فأعاد جيشًا كبيرًا لضرب السلاجقة، وتحجيم قوته وإضعافهم.

معركة ملاذكرد
363 هـ - 1071 م

غرور القوة

جهز الإمبراطور البيزنطي رومانوس جيشًا ضخمًا؛ يكون من مائتي ألف مقاتل من الروم والفرنج والروس والبلغارين واليونانيين والفرنسيين وغيرهم، وحركهم من القسطنطينية عاصمة دولته، متميّزًا تتسع حامض يقضي على خطر السلاجقة، فقد أرسله قواته الغفيرة وعتاده الكثيف بأن النصر آتي لا ريب فيه، وألغى إلى ملاذكرد، حيث يعسكر الجيش السلجوقي.
أدرك أن ألب أرسلان حرج موقفه؛ فهو أمام جيش يبلغ الضخامة كثيرة العقاد، في حين أن قواته لا تتجاوز خمسة عشر ألفًا، فبادر بالهجوم على مقدمة جيش الروم، ونجح في تحقيق نصر خاطف وكان غرض ألب أرسلان من هذا الهجوم أن يكون التفاوض مع الإمبراطور الروم عادلاً؛ لأنه كان يدرك صعوبة أن يدخل معركة ضد جيش الروم، فقواته الصغيرة لا قبيل لها بمواجهة غير مضمنة العواقب، فأرسل إلى الإمبراطور مبعوثًا من قبليه ليعرض عليه السلام.

وقد جمع號ات الإمبراطور استقباله الجميل، ورفض غرض السلطان، وأجابه بوجه في غطرسة وخبراء متطابقًا من الفوز والفوائد، ولم ينظر على ساحل جلال مبعوث السلطان، وطالبان أن يبلغه بأن السلحف لن يتم إلا في مدينة الري عاصمة السلاجقة.

الاستعداد للفتنة

أيقن السلطان أنه لا مفر من القتال؛ بعد أن فشل السلاح والجهاد، في دفع شيخ الحرب.

فعمد إلى جذوره يفعل في نفسهم روح الجهاد وحب الاستشهاد، وفضل الصبر والثبات.

وقف فقيه السلطان وابنه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري يقول للسلطان مقرريم عن عزمه: «إنك تقاتل من دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم يوم الجمعة، في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقررون بالإجابة».

وحيج إذ اتهم السلاجقة في آخر ذي القعدة 1071-171هـ صلّى تابهم الإمام أبو نصر البخاري، وبيلى السلطان فيك الناس ليكاه، ودعا ودعوا معه، وليس البياض.

ساعة اللقاء في ملاذكر

أحسن السلطان ألب أرسلان خطوة المعركة، وأوقف الحضارة والحماية في نفس جنوده، حتى إذا بدأت المعركة أقسموا كل أسود الضواري تفك بها يقالها، وهاجموا أعداءهم في جرأة وشجاعة، وأمعنوا فيهم قتالاً وتهريبهم، وما هي إلا ساعة من نهار حتى تحققت النصر، وانتهوا.

وقال الإمبراطور البيزنطي أسوأ في أيدي السلاجقة، وسيق إلى مسكون السلطان ألب أرسلان، الذي قال له: «ما عزمت أن تفعل بي إن أسرتي». فقال: «أفعل القبح». فقال له
السلطان: «فلا تظن أنني أفعل بك؟» قال: «إما أن تتقلين، وإما أن تشهر بي في بلاد الشام، والآخر بي عبادة، وهي العفو وقبول الأمور، واصطناعي نائب عنك». فقال السلطان: «ما عزمت على غير هذا».

 إطلاق سراح الإمبراطور

أطلق السلطان ألب أرسلان سراح الإمبراطور البيزنطي بعد أن تعهد بدفع فدية كبيرة تبلغ مليوناً ونصف مليون دينار، وأن يطلق كل أسرى مسلم في أرض الروم، وأن تعقد معاهدة صلح مدتها خمسون عامًا، يلتزم الروم خلالها بدفع الجزية السنوية، وأن يعترف الروم بسيطرة السلاجقة على المناطق التي فتحوها من بلادهم، وأن يتعهدوا بعدم الاعتداء على ممتلكات السلاجقة.

ثم أعاد السلطان غزمه وأسره الإمبراطور البيزنطي إلى بلاده، وخلع عليه خلعة جليلة، وخصص له سراً كبيرًا، وأعطاه قدرًا كبيرًا من المال لينقق منه في السفر، ثم أفرج عن عدد من ضباطه؛ ليقوموا بخدمته، وأمر عددًا من رجاله بصحبة حتى يصل إلى دياره سالًا.

ولم تكاد تصل أخبار الهزيمة إلى القسطنطينية، حتى أزال رعايا الإمبراطور اسمه من سجلات الملك، وقالوا: إنه سقط من عداد الملوك. وعُيِّن ميخائيل السابع إمبراطورًا؛ فألفى القبض على روماوس الرابع الإمبراطور السابق، وسمع عينه.

نتائج معركة ملاذكرد

كانت من نتائج هذه المعركة أن واصل الأتراك السلاجقة غزوهما مناطق أخرى بعد ملاذكرد، حتى توغلوا في قلب آسيا الصغرى، ففتحوا قونة وآت، ووصلوا إلى كوتاهية، وأمسوا فرعًا لدولة السلاجقة في هذه المنطقة عرف باسم سلاجقة الروم، ظل حكامه يتناوبون الحكم أكثر من قرنين من الزمان بعد انتصار السلاجقة في ملاذكرد، وأصبحت هذه المنطقة جزءًا من بلاد المسلمين إلى يومنا هذا.

وتُعد معركة ملاذكرد من أيام المسلمين الحالدة، مثلها مثل دير، والبرموك، والقادسية، وحيتين، وعين جلوات، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غَرَت وجه التاريخ، وأثرت في مسيرتها، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرد نقطة فصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعود كما كانت من قبل شوكة
في حلقات المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح.

كما أن هذه المعركة مهدت للحروب الصليبية بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك أن الغرب الأوروبي لم يعد يعتمد عليها في حراسة الباب الشرقي لأوروبا ضد هجمات المسلمين، وبدأ يفكر في الغزو بنفسه، وأثار ذلك عن الحملة الصليبية الأولى.

* * *
الفصل الخامس
أيام لا تنسى
في العهد الأندلسي
رغم
جبر الاستقلال الإقليمي
أسكن بين الإثنيان
www.moswarat.com
معركة الزلاقة

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1086 هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>سهل الزلاقة</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انتصار المسلمين</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>المتحاربين</th>
<th>دولة المرابطين</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>يوسف بن نافذين</td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والحشد</td>
<td>أكثر من 60 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>مقتل أغلب الجيش، ونجاة أقل من 500 فارس</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>عدة آلاف من الشهداء</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة الزلاقة أو معركة سهل الزلاقة وقعت في 12 رجب 479 هـ (3 أكتوبر 1086 م)، بين جيوش دولة المرابطين متحدة مع جيش المعاصر بن عباس، والتي انتصروها ساحقاً على قوات الملك القشتالي ألفونسو السادس.

وقعت المعركة في سهل في الجزء الجنوبي لبلاد الأندلس يقال له: الزلاقة. يقال: إن السهل سُمِّي بذلك نسبة لكثرات انزلاق المتحاربين على أرض المعركة بسبب كمية الدماء التي أريكت في ذلك اليوم. وثالثاً أرض المعركة، وسمى لدى المؤرخين الغربيين بالاسم العربي نفسه.

كان للمعركة تأثير كبير في تاريخ الأندلس الإسلامي؛ إذ أوقفت زحف الصليبيين المطرد في أراضي ملوك الطوائف الإسلامية وقد أخرج سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس لمدة تزيد عن قرنين ونصف.

ما قبل المعركة

سقطت الدولة الأموية في الأندلس، وتفككت إلى ما عُرف باسم فترة ملوك الطوائف، والتي شهدت العديد من النزاعات والحروب بين العديد من ملوكها، هذا الذي أدى إلى إضعاف موقف المسلمين في الأندلس، وهو ما أدى إلى الضعف العسكري، وأعطى الفرصة
للنصارى المتريصين في الشيال أن يتوسعوا على حسابهم.
وفي مقابل التجزئة والفرقة الأندلسية في عصر الطوائف، كان النصارى يقيمون اتحادًا بين ملوك ليون وiesta على يد فرديناند الأول الذي بدأ حرب الاسترداد، التي تعني إرجاع الأندلس إلى النصرانية بدلاً من الإسلام.
واستمر هذا الحرب من بعده ابن ألفونسو السادس; حيث بلغت ذروتها مع استيلاء ألفونسو على مدينة طليطلة سنة (784هـ/1380م)، أهم المدن الأندلسية، وأكبر قواعد المسلمين هناك، وكان سقوطها نذيرًا بأنساً للعواقب لبقيه الأندلس؛ ذلك أن ألفونسو قال صراحة: «إنه لن يبدأ له بال حتى يسترد بقية الأندلس ويُضع قرطبة لسلطانه؛ ينتقل عاصمته ملكه إلى طليطلة».
وكان أسوأ ما في هذه الكارثة المروعة أن ملوك الطوائف المسلمين لم يهتموا لنجدة طليطلة أو مساعدتها، بل على العكس وقفوا موقفًا مخزيًا؛ حتى إن بعضهم عرض على ألفونسو تقديم العون والمساعدة، ورأى البعض الآخر أنه لكي يستمر في حكم مملكته أمرًا يجب أن يوثق أواصر الصداقة والمردة مع ألفونسو، ويجعله ويدمجه إلى الجزية السنوية، بل شاركت بعض قوات أمراء الطوائف في غزوة طليطلة، وقدَّم أحد هؤلاء الأمراء ابنه لتكون زوجة أو حظبة لِْألفونسو!!
ورأى ألفونسو حالة الضعف والجحيم التي يعاني منها أمراء الطوائف، والتي تعود في الأساس إلى ترفهم وخروج نفوذهم، وكرهم للحرب والجهاد؛ حتى إن كان ذلك هو السبيل الوحيد للكرامة والحفاظ على البقية الباقية من الدين والمرأة؛ لذا رأى ألفونسو السادس ضرورة إضعاف ملوك الطوائف قبل القضاء عليهم نهائيًا؛ وكانت خططه في ذلك تقوم أولاً على تقشفهم بفرض الجزية عليهم جميعًا، ثم تحريب أراضيهم وردعهم ومحاصيلهم بالغارات المتتابعة، وأخيرًا اقتصاط حصونهم وأراضيهم كما سئحت الفرصة.
ونجحت خطة ألفونسو في ذلك كل النجاح، وبدا ضعف ملوك الطوائف أمامه واضحاً ملحوظًا؛ فاستهان بهم واحترقهم، وقال عنهم: «كيف أترك قومًا من يجلس كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم، وكل واحد منهم لا يسل للدفاع عن نفسه شيئًا، ولا يرفع عن رعيته ضربًا ولا حيًا»! وعاملهم معاملة الأثرياء.
أصبح ألفونسو بعد استيلائه على طليطلة محاورًا لملكة إشبيلية وصاحبه المعتمد بن عباد، وعندما أدرك المعتمد فادحة خطته في مصالحة ألفونسو وعهدته، واستعداده على أمراء الطوائف الآخرين، واجت لطوال المصير المرجو الذي سيندبر إليه إذا لم تتدارد يد العبادة الإبّانية. فأنجد أميرها الباسل يوسف بن ناشفين لاستجابة به، وطلب منه النصرة ضد هؤلاء النصارى الذين تجمعوا من شاهي إسبانيا، فضلًا عن المتطوعين الصليبيين الذين قدموا من فرنسا وألمانيا وإيطاليا.

النزاع بين ألفونسو السادس والمعتمد

بدأ النزاع بين الملكين سنة (٤٧٥/١٠٨٢ م) عندما وقع ألفونسو سفارته المعتادة إلى المعتمد، يطلب فيها الجزية السنوية، وكان على رأس السفارة يدوى ابن شاليب؛ حيث رفض تسلم الجزية بحجة أنها من عيار ناقص، وهاذا بأنه إذا لم يقدّم له المال من عيار حسن، فإنّه سيطرع مداة إشبيلية.

ولأ علم المعتمد، وسند من اليهودي أمر بصلبه، وزج بأصحابه من الفشتاليين في السجن، وعندما استشار الفقهاء استحسنوا ذلك الأمر، فاقال أن يراجع المعتمد عن قراره بالصمود في وجه النصارى؛ أما ألفونسو فقد استرشاد فضييًا، وبحث سرائه وجذوره للاستقام، والسلب والنهب، وأغار هو بجبيه على حدود إشبيلية وحارضها ثلاثة أيام ثم تركها، والمعتمد يلتزم الدفاع طيلة هذه العاصفة الهوجاء من الغضب الصليبي.

الاستجابة بالرابطين

حذرك المعتمد رجاله، وفرّ من جيشه، وأحلح حصونه، واتخذ كل وسيلة للدفاع عن أرضه بعدما أبلغ أن ألفونسو يعتزم العمل على إيايه جمعًا، وأن المسلمين في إشبيلية يذروهم وموردهم المحدودة لن يستطيعوا الدفاع؛ لذا قرر المعتمد أن يستنصر بالرابطين في المغرب لفائدة هؤلاء النصارى، وكانت دولةرابطين دولة جهاد وحرب، غير أن هذا الرأي واجه معارضة من بعض الأمراء الذين رأوا في المفاوضات والصلح والهدنة والسلاطين سيلة للأمن والاستقرار، ورأوا في الرابطين عدوًا جديًا قد يسلب ملكهم، وقال الرشيد لأبيه المعتمد: "يا أبي أدخل علينا في أندلسنا من سلبنا ملكنا، ويدد شملنا". فرد عليه
المعتدَم: "أي بني؛ والله لا يسمع عني أبداً أي أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركها للنصاري، فتقوم اللغة على الإسلام، مثلما قامت على غيري، رَحْمَيُ الجبال عندي والله خير من رعي الحنازير."

وناشد ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين لنجدهم، بل إن المعتمد عبر إلى المغرب والتقى بابن تاشفين الذي وعده خيرًا، وأجابه إلى ما طلب واشترط لإجابة الدعوة والعبور إلى الأندلس أن يسلم إليه المعتمد ثغر الجزيرة الخضراء؛ ليكون قاعدة للمرابطين في الذهاب والإياب، فوافق المعتمد على ذلك.

العبور إلى الأندلس

حشد يوسف بن تاشفين جنده وعتاده، ثم بعث بقوة من فرسانه بقيادة داود ابن عائشة فعبرت البحر، واحتلت ثغر الجزيرة الخضراء، وفي (بريم الآخر 947 هـ / أغسطس 1056م)
بدأت جيوش المرابطين تعرّف من بيتا إلى الأندلس، وما كادت السفن تستوي ماء مضيق جبل طارق حتى اضطرب البحر، وتعالى الأمواج، فنهض ابن تاشفين ورفع يده إلى السماء وقال: «اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيرًا وصلاحًا للمسلمين فسهّل على جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعب على حتى لا أجزوه».

فهدّت ثائرة البحر، وسارت السفن في ريح طيبة حتى رست على الشاطئ، وحسب منها يوسف، وخرج للساحل.

قبل يوسف بن تاشفين بحفاوة بالغة هو وجوه، وأمر قائدته داود ابن عائشة بالتقدم أمامه إلى بطلبوس، كما أمر بأن توضع الفوين الأندلسية كلها تحت قيادة المعتمد، وأن يكون جند الأندلس معقلهم ومرابطين محلتهم، وكان يوسف في تحرّك شديد الحذر لأني لم يسبق له أن حارب جيشًا نصارىًا، كما أنه لم يكن واثقا من حلفائه الأندلسيين، لذا رأى أن تكون المعركة في ناحية بطيوع، وألا يتغول كثيرًا في أرض الأندلس.

الزلاقة والنصر المبين

ولما بلغ ألفonso نبا تقدّم المسلمين للاقاتله، فك الحصار الذي كان يضربه حول مدينة سرقوطة، واستدعى قائدته البرهانس من بلنسية، وبعث مستكبيًا بجميع التحصاري في شيل إسبانيا وما وراء جبال البرانس، فتفاقمت عليه فرسان الصليبيين من إيطاليا وفرنسا، واعترض أن يلقى المسلمون في أرضهم حتى لا تضرب بلاده، وكانت قواته تفوق المسلمين عددًا وعدة، وقد استقرت هذه الجيوش الصليبية على بعد ثلاثة أميال من المعسكر الإسلامي ولا يفصل بينهم إلا نهر صغير يسمى «جريرو»، وانضمت إلى الفوين الصليبية الرهبان والقنس يحملون أنجذبهم وصوانهم، محفزين بذلك جند التحصاري.

كانت قوات المسلمين تقتّد بحوالي ثمانية وأربعين ألف مقاتل، تنقسم في وحدتين كبيرتين من قوات الأندلس، وتحت المقدمة بقيادة المعتمد، أما القوات المرابطة فتحت المؤخرة، وتنقسم إلى قسمين؛ يضم الأول فرسان البربر بقيادة داود ابن عائشة، والقسم الثاني احتيالي، بقيادة يوسف بن تاشفين.

ولبث الجيشان كل منها في اتجاه الآخر ثلاثة أيام، وفشل محاولة ألفonso خدعة المسلمين في تحديد يوم المعركة، وانتهى الأمر بنشر المعركة مع أول ضوء من صبح يوم الجمعة (12 رجب 474هـ/ 23 أكتوبر 1081م) بهجوم خاطف شئّه الفرسان الصليبيون.
على مقدمة المسلمين المؤلفة من القوات الأندلسية، فاختلّ توازن المسلمين وارتدَّ فرسانهم نحو بطليوس، ولم يثبت إلا العمدتين ينبطيان في مجمع غزوة من الفرسان؛ حيث قاتلوا بشدة، وأخذت المعتمدين بالجراح، وكثر القتل في جناد الأندلسية، وكانت تمُّ لهم هزيمة، وفي الوقت نفسه هاجم ألفونسو مقدمة المرابطين ورُدّها عن مواقعها.

وأما هذه المحنَّة التي تعرضت لها القوات المسلمة دفع يوسف بقوَّات البربر التي يقودها أبرز قواده وهو سير بن أبي بكر النجسيوني؛ فغطرس سير المعركة، واستردَّ المسلمون ثباثهم، وأموختو النصارى قتلاً، وفي تلك الأثناء جاؤوا ابن تاسفين إلى خطة مبكرةٍ؛ إذ استطاع أن يشق صفوف النصارى، ويصل إلى مسعريهم، ويقضي على حامته، ويشعل فيه النار؛ فلما رأى ألفونسو هذه الفاجعة، رفع سرعة شديدة، واصطدم الفريقان في قتال شرس، ودوجب طبول المرابطين يصمُّم الآداب، وكثر القتل في الجانبين، خاصة في صفوف القشتاليين، ثم وجه ابن تاسفين ضربته الأخيرة إلى النصارى؛ إذ أمر حرسه الأسود – وقومهم أربعة آلاف مقاتل من ذوي الألوان الشديدة والرغبة في الجهاد – بالنزول إلى أرض المعركة، فأثخروا القتال في القشتاليين، واستطاع أحدهم أن يبلغ ألفونسو في فخذه طمعة نافذة، كادت تودي بحياته.

وأدرك ألفونسو أنه وقوته يواجهون الموت إذا استمروا في المعركة، فبادر بالهروب مع قلعة من فرسانه تحت جنح الظلام لم يتجاوزوا الأرض أبعدًا حيث كان معظمهم جريحي، فباتوا في الطريق، ولم ينج منهم إلا مائة فارس فقط.

ما بعد النصر

كان انتصار المسلمين في الزلاقة نصرًا عظيمًا ذاع أثاؤه في الأندلس والمغرب، واستبهر المسلمون به خيرًا عظيمًا، غيَر أن المسلمين لم يحاولوا استغلال نصرهم بمطاردة فلول النصارى المتبقية والرذف إلى أراضي قشتالة، بل لم يحاولوا السير إلى طليطلة لاسترداها، وهي التي كانت السبب الرئيس في الاستعانا بالمرابطين، وقيل: إن ابن تاسفين اعتذر عن مطاردة القشتاليين؛ لوصول أباءه إلى بوفاة أكبر أبنائه.

ونتج عن هذا المعركة الحاسمة توقيف ملك الطوارف عن دفع الجزية لألوفنسو السادس، وأتّقد هذا النصر جرب الأندلسية من الغارات المدمرة، وأتّقد القشتاليين عددًا كبيرًا من قواتهم، وأتّعش أمال الأندلسيين وحطم خوفهم من النصارى، ورفع الحصار عن
مرقسّطة التي كانت أن تسقط في يد ألفونسو، وحالت هذه المعركة دون سقوط الأندلس
كلها في يد النصارى، ومدّت في عمر الإسلام بالأندلس حوالي القرنين ونصف القرن. بعد النصر قام الأندلسون بمعاودة ما كانوا يفعلونه قبل المعركة، فقاتلوا فيها بينهم، وتنازعوا على السلطة، واستعانوا بالملوك النصارى في حروبهم ضد بعضهم، فقام ابن تاشفين باقتحام الأندلس؛ ليزيل الفتنة فيها ويضمها موحدة إلى دولته.

***
معركة الأرك

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1195م/هـ 591</td>
<td>بالقرب من قلعة الأرك - جنوب طليطلة</td>
<td>انصرار الموحدين المسلمين</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>المنتحبون</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>دولة الموحدين</td>
</tr>
<tr>
<td>الملك ألفونسو الثامن</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td>حوالي 245 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والحشود</td>
</tr>
<tr>
<td>حوالي 200 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
</tr>
<tr>
<td>حوالي بضعة آلاف</td>
</tr>
<tr>
<td>قليلة</td>
</tr>
<tr>
<td>64 ألف قتيل، وما بين 20 و30 ألف أسير</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة الأرك هي معركة وقعت في 9 شعبان 591هـ/ 18 يوليو 1195م، بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المصري وبين قوات ملك قشتالة ألفونسو الثامن، كان للمعركة دور كبير في توتيد حكم الموحدين في الأندلس، وتوسيع رقعة بلادهم فيها، وقد اضطهر ألفونسو بعدها لطلب الهداية من السلطان الموحدي أبو يوسف المصري.

يعتبرها المؤرخون مضاهاة لمعركة الزلاقة في وقع الهزيمة على مسيحي أيبيريا، وقعت المعركة قرب قلعة الأرك، والتي كانت نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في ذلك الوقت.

لذا ينسب المسلمون المعركة هذه القلعة كا ينسب المسيحيون اسم المعركة -أيضا- هذه القلعة (Alarcos)، ويطلقون عليها كارثة الأرك، ليظعم ما أصابهم فيها.

ما قبل المعركة

قام ملك البرتغال سانشو الأول بغزو مدينة شلب المطلة بمساعدة القوات الصليبية، وكان ذلك في عام (1191م/587هـ)، وعندما علم السلطان الموحدي يعقوب المصري بذلك جهز جيشه وعبر البحر لبلاد الأندلس، وحاصرها وأخذها، وأرسل في الوقت ذاته جيشًا من الموحدين والعرب فغزا أربع مدن مما يأتي الي المسيحين من البلاد التي كانوا قد
أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين عامًا؛ مما ألقى الرعب في قلوب ملوك أيبيريا، وخاصة ألفونسو الذي طلب من السلطان الهدنة والصلح، فهدَّده 5 سنين، وعاد إلى مراكش عاصمة بلاد المغرب.

لم تكن مدة الهدنة أرسل ألفونسو جيشًا كثيroma إلى بلاد المسلمين، فنهراء وعاثوا ضائداً في أراضيهم، وكانت هذه الحملة استفزازية وتخويفية، أتبعها ألفونسو بخطاب للسلطان يعقوم المنصور استهزاً به، وسره منه ودعاه إلى مواجهته وقاتله، فلما قرأ السلطان المنصور الخطاب كتب على ظهر رقعة منه: "ارجع إليهم فلتأتينهم بعدد لا قليل بهما ولنخرجهما منها أذلة وهم صاغرون، الجواب ما ترى لا ما تسمع". واشتهر حتى يويف، وأمر بالتأهيب للحرب في الأندلس، وأهل يداعة الخطاب في جنود الموحدين ليغيرهم، ثار الناس للجهاد، ودُوّنت صيحة الجهاد في جميع أنحاء المغرب ضد النصارى، وفُرّ قواته إلى الأندلس، وعبر إلى الجزيرة الخضراء في 201 رجب 591 هـ، ولم يسترح بها إلا قليلاً، ثم بادر بالسير إلى قشتالة، وانضمّ إليه الجيوش الأندلسية، فجمع له جيش ضخم بلغ عدده 200 ألف مقاتل، وأنطلق المنصور بجيشه إلى بلاد الأندلس، ومثك في إشبيلية مدة قصيرة، نظم فيها جيشه وتزود بالمؤن، ومد باستخدامه إلى طليعة عاصمة مملكة قشتالة، فيبلغ أن ألفونسو حشد قواته، فقد أعدّ ألفونسو الثامن جيشه بعد أن استعان بملتكي ليون ونافار، وبيجيوس آلمانيا وإنجلترا وهولندا. في قوة بلغ قوامها 262 ألف صلب، وقد أحضروا معهم بعض جماعات اليهود لشراء أسرى المسلمين بعد إنهاء المعركة لصالحهم ليبيعهم بعد ذلك يدورهم في أوروبا، وكان هذا الجيش في مكان بين قلعة رباح وقاعة الأرك، فغادر المنصور مساره إلى هناك، وعسكر في مكان يعد من وضع جيش ألفونسو مسرة بورين، ومثك يشيء زعماء وقادة جيشه في خطة المعركة وكان ذلك في 26 شعبان 591هـ/ 13 يونيو 1195 م.

كان أبو عبد الله بن صناديد أحد قادة الحرب الأندلسيين، ومن أعلم وأحرز زعياً الأندلس بمكنين الحرب، فأشار على السلطان المنصور باختيار قائد موحد للجيش، كما أشار عليه بنفسه إلى أجزاء على النحو التالي:

1- الأندلسيون، وقوهم أحد زعيمتهم؛ حتى لا تضعف عزيمتهم عندما يُولى عليهم أحد ليس منهم، ويبقى في ميمنة الجيش.
2- المعارب والبربر، ويوضعون في الميسرة.
3- الجَيش الموحدَي النظامي، ويوضع في القلب.
4- المتطوعون من عرب وبربر وأندلسيين، ويوضعون في مخزنة الجيش لضعف خبرتهم بالقتال.
5- السلطان المنصور وحسره وجيشه الخاص وبعض المتطوعين كقوات احتياطية; تسعى وراء التلال على مسافة قريبة من المعركة، ثم تنقض فجأة على العدو بهجوم مضادٍّ لمزَم الأمر.

استجاب السلطان لإشارة ابن صناديد وعَيّنه قائدًا للجيش الأندلسي، واختار أحد وزرائه، وهو أبو يحيى بن أبي حفص كقائد عام، وكان السلطان يمُر على أفراد جيشه ويُحمِّسهم. وبيت فيهم الشجاعة والثقة بنصر الله، وراح بعد ذلك أبو يوسف يعقوب المنصور يُوزَع الخطباء على أطراف الجيش يُحَمِّسونه على الجهاد، وعند اعتقال الحشد وانهاء الاستعداد للقتال أرسل الأمر الموحدي رسالة إلى كل المسلمين يقول فيها: إن الأمير يقول لكم: اغفروا له; فإن هذا موضوع غفران، وَتَغَفِّرُوا فيها بينكم، وطيبوا نفوسيكم، وأخلصوا الله نياتكم. فبكي الناس جميعهم، وأعظموا ما سمعوه من أمرهم المؤمن المخلص، وعلموا أنه موقف وداع، وفي موقف مهيب التقى المسلمون بعضهم مع بعض، وعانقوا بعضهم بعضًا، وقد وَزَدُوا الدنيا وأقبلوا على الآخرة.

المعركة

في تلك الموقف كان موقع التصاري في أعلى تل كبير، وكان على المسلمين أن يقاتلوا من أطفال ذلك التل، لكن ذلك لم يَرَدة المسلمين عن القتال.

وقد بدأ اللقاء، ونزل القشتاليون كالسِبَل الجَارِف المنفِّذ من أقصى الارتفاع، فهبطوا من مراكزهم أسرابًا تلتها أسراب، وأفواجاً تبعها أفواج، وكانت الصدمة كبيرة جدًا على المسلمين؛ فقد وقع منهم الكثير في عداد الشهداء، ثم نسبوا بعض الشيء ثم تراجعوا، وحين رأى المنصور ذلك نزل نفسه إلى جيشه، وتفجأ جماهيرة قام يمر على كل الفرق من ناحية إلى أخرى، من الصوف: "jadwla niyatin kum، وأحضروا قلوبكم". ثم عاد رحمه الله إلى مكانه من جديد.
استطاع المسلمين بعدا أن يردوا النصارى في هذا الهجوم، ثُم ما لبث النصارى أن قاموا بهجوم آخر، وكان كسابته، انكسار للمسلمين ثم ثبات من جديد ورد الهجوم للمرة الثانية، ثم كان الهجوم الثالث للنصارى وكان شرسا ومركزا على القبل من الموحدين، فقطع آلاف من المسلمين شهداء، واستشهد القادة العام للجيش أبو يحيى بن أبي حفص، وهنا ظن النصارى أن الدائرة قد دارت على المسلمين، وأن المعركة قد باتت لصالحهم، فنزل ملك قشتالة إلى الموقعة يحطم عشرة آلاف فارس، عنتد ذلك كانت قد تمركت حممة المسلمين من الأندلسيين وهمت على قلب الجيش القشتالي مستغلة ضعفه في تقدم الفرسان القشتاليين نحو الموحدين في القلب، وهجمت بشدة على النصارى، واستطاعت حصار العشرة الآلاف الذين يعثرون ألفونسو الثامن.

حدث لذلك اضطراب كبير داخل صفوف الجيش القشتالي، واستمرت الموقعة طولاً، وقد ارتفعت آسية الغبار الكثيف، وأصبح لا يُسمع إلا صوت الحديد وقرع الطبول.
وصيحات الكبير من جيش المؤمنين، وبدأت الدائرة تدور تدريجيًّا على النصارى، فنفروا حول ملكهم وقد تزعزعه قلوبهم.

وهنا وحين رأى ذلك أبو يوسف يعقوب النصارى الوحيدي أمر جيشه الكامن خلف التلال بالتحرك، وقد انطلق معهم في مقدمة جيشه عم دولة الموحدين الأبيض، وقد نشب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا غالب إلا الله. فارتفعت بذلك معنويات الجيش الإسلامي كثيرا، وقد أسلم النصارى رقابهم لسلاطين المسلمين فأعمالها فيهم قتالاً وتشريدًا، وانتصر المسلمون انتصاراً باهرًا في ذلك اليوم الموافق (9 شعبان 591 هـ)، وأصبح يوم الأرك من أيام الإسلام المشهودة، قالوا عنه: مثل الزلاقة. وقالوا عنه: بل فاق الزلاقة.

وقد هرب ألفنحو الثمانين في فرقة من جنوده إلى طليطلة، وطارت أخبار النصر في كل مكان. ودؤت أخبار ذلك الانتصار العظيم على مباشرين المسلمين في أطراف دولة الموحدين الساسعة، بل وصلت هذه الأخبار إلى الشرق الإسلامي، وكانت سعادة لا توصف، خاصة وأنها جاءت بعد ثمانية أعوام فقط من انتصار المسلمين في حفرين.

نتائج انتصار الأرك

تمضخت عن انتصار الأرك الكبير آثار ونتائج جمة وعظمية؛ أهمها ما يلي:

أولاً: الهزيمة الساحقة لقوات النصارى

كان من أهم آثار انتصار الأرك تبادل جيش النصارى بين القتل والأسر؛ فقد قتل منهم في اليوم الأول فقط وعلى أقل تقدير ثلاثون ألفاً، وقد جاء في نفح الطب للمقري أن عدد قتل النصارى وصل إلى ستة وأربعين ألفاً ومائة ألف فتيل من أصل خمس وعشرين ألفاً ومائتي ألف مقاتل، وكان عدد الأسرى بين عشرين وثلاثين ألف أسرى، وقد من عليهم النصارى بغير فداء؛ لظهراً لعظمة الإسلام ورأفتهم بهم، وعدم أكتراهم بقوة النصارى.

ثانيًا: النصر المادي

حصد المسلمون من الغنائم ما لا يحصى، وقد بلغت ثمانين ألفاً من الخيول، ومائتا ألف من البغال، وما لا يحصى من الخيام.

وقد وُزِّع النصارى هذه الأموال الضخمة وهذه الغنائم كما كان يفعل رسول الله ﷺ؟
أيام لا تنسي في العهد الأندلسي

فورَع على الجماع أربعة أخماسها، واستغل الخمس الباقى في بناء مسجد جامع كبير في إشبيلية، تخلُّصًا لذكرى الأرك، وقد أنشأ له مئذنة يبلغ طولها مائتي متة، وكانت من أعظم المآذن في الأندلس في ذلك الوقت.

ثالثًا: النصر المعنوي
كان من نتائج موقعة الأرك − أيضًا − ذلك النصر المعنوي الكبير، الذي ملا قلب المسلمين في مشارق الأرض ومعاربها؛ فقد ارتفعت نجم دولة الموحدين كثيرًا، وارتفعت معنويات الأندلسيين وحالت عليهم قوة النصارى، وارتفعت − أيضًا − معنويات المسلمين في كل بلاد العالم الإسلامي؛ حتى راحوا يعتمدون الرقاب ويخرجون الصدقات فكيهان هذا النصر.

وكان من فوائد ذلك − أيضًا − أن استمر حركة الفتوح الإسلامي، واستطاع المسلمون فتح بعض الحصون الأخرى، وضمّوا الشباشب الشرقي من جديد إلى أماك المسلمين كما كان في عهد المرابطين، وحاصروا طليطلة سنوات عديدة، إلا أنها كانت من أحسن المدن الأندلسية؛ فلم يستطيعوا فتحا.

رابعًا: صراعات شتى بين ممالك النصارى

تلقى موقعة الأرك − أيضًا − حدثت صراعات شتى بين ليون ونافار من ناحية، وبين قشتالة من ناحية أخرى. فقد أتى عليهم ألفونسو الثامن ملك قشتالة مسئولية الهزيمة، وكان من نتائج ذلك − أيضًا − أن وقعت لهم الهزيمة النفسية، وترتب عليه أن نالت السفارات من بلاد أوروبا تطلب العهد والمصالحة مع الملك الموحدي، التي كان من أشهرها سفارة إنجلترا، تلك التي جاءت المنصور الموحدي في أواخر أيامه.

خامسًا: معاهدة جديدة بين قشتالة والمسلمين

أيضاً كان من نتائج موقعة الأرك أن تمّت معاهدة جديدة بين قشتالة والمسلمين على الهضنة ووقف القتال مدة عشر سنوات، فقد أراد المنصور أن يُرمَّب فيها الأمور من جديد في بلاد الموحدين.

***
معركة العقاب

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
<th>اتصار المسلمين</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1212 م/ 629 هـ</td>
<td>وادي نافاس - قرب بلدة تولوسا بالأندلس</td>
<td>مملكة قشتالة - مملكة أراجون - مملكة البرتغال - مملكة نافارات</td>
<td>المحاربين</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة والملك سانتيو السابع ملك نافارات والملك ألفونسو الثاني ملك البرتغال والملك بيديرو الثاني ملك أراجون</td>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>200 ألف وفي روايات 60 ألف</td>
<td>القوى والحشود</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>غير معروفة، ولكنها أقل من خسائر المسلمين</td>
<td>الخسائر</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة العقاب هي معركة وقعت في 15 صفر 629هـ (16 يوليو 1212م)، وقد شكلت نقطة تحول في تاريخ الأندلس؛ حيث انتصرت قوات الملك ألفونسو الثامن على قوات الموحدين بقيادة السلطان الناصر.

وقعت المعركة في واد يسميه الإسبان نافاس قرب بلدة تولوسا وهذا سبب تسميتها بمعركة لاس نافاس دي تولوسا، ووقع كذلك قرب حصن أموي قديم يسمى العقاب؛ ولذلك تسمى في التاريخ العربي باسم معركة العقاب، أو معركة حصن العقاب.

ما قبل موقعة العقاب

كان هزيما الملك القشتالي ألفونسو الثامن في معركة الأرك التي وقعت عام (594هـ/1198م) الأثر الكبير في توطيد حكم المسلمين في الأندلس، وتوسع أراضيهم
فيها، فقد استرجع المسلمون كلاً من مدن تروخو وبلاسيسنيا، وكونيكا وقلعة رباح وبيتنافيتي، والمدينة من المدن والقلاع الأخرى، وقد تركت تلك المعركة أثراً في قلب ألفونسو الثامن، الذي كان يُعَيِّن نفسه بالانتقام، على الرغم من أنه أضطر إلى عقد هدنة مع الموحدين بعد معركة الأرك.

استغل الملك ألفونسو الهدنة في تحصين مملكته، وكذلك في تأليب بقية مسيحي أوروبا ضد المسلمين؛ فقد استطاع أن يجلب ود منافسيه السياسيين في إيبيريا من ملوك البرتغال ونافار أراكون، بعد ذلك نقض ألفونسو الهدنة عام (1206/5 هـ) بقيامه باقتحام حصن رباح في وسط الأندلس، وأغار على جيَّان وبيْساة وأجزاء من مُوريسية.

ولم يكن أمام سلطان الموحدين الناصر محمد بن يعقوب - الذي خلف والده المتصور - بدًى من التجهيز والإعداد للحرب، فاستنفُر المسلمين للغزو والجهاد، فجثة الجوش من سائر أقطار المغرب الإسلامي، فتجمع المجاهدون من بلاد المغرب العربي والأندلس في جيش بلغ خصائصه ألف مقاتل؛ أي أنه أكثر من ضعف جيوش التصاري مجمعة، وكانت أقل الروايات قد ذكرت أن عدد المسلمين قد بلغ ستين ألفاً ومائتي ألف، وكانت هي نفسها التي ذكرت أن عدد التصاري لم يتجاوز ستين ألفاً ومائة ألف، فقال جيش المسلمين في كل الأحيان يزيد على جيش التصاري أكثر من مرة ونصف أو مرتين. وعبر السلطان الناصر بهذا الجيش البحر إلى الأندلس في (19 من ذي القعدة 617 هـ/ 4 من مايو 1211 م)، ووصل إلى إشبيلية، وأقام بها لإعداد جيشه وتنظيم قوته، ثم تحرك في مطلع سنة (618 هـ/ 1211 م).

صوب مملكة شتايلة، وحاصر قلعة سُلْطَرَة، وكانت قلعة كبيرة وحصينة جدًا، وبها عدد قليل من التصالح، وانتهت في الجزء جنوب طليطلة، لكن حصنان القلعة أعجز المسلمین عن فتحها، وكان أن اجتمع قادة الأندلسيين وقادة الموحدين، وأشاروا على الناصر لدين الله بأن يترك حامية عليها، ثم يدعوها ويتوجه إلى جيش التصاري في الشمال، وذلك خوفًا من إتهام قومهم في لا طائل من وراهم، لكن الناصر لدين الله رفض هذا الأمر، واستمع لم ما رأى أنه لابد أن يُجْرِز هذا القلعة، فظل يحاربه طيلة ثمانية أشهر كاملة.

نتائج الاستبداد وعلاج الهزيمة

كان من جرء هذا العمل الذي قام به الناصر لدين الله أن حدث ما يلي:
أولاً: إضاعة ثانية أشهر كان من الممكن أن يستغله في الشيال، والانتصار على النصارى هناك قبل أن يتفجعوا في كامل عددهم.

ثانيًا: أكمل النصارى استعداداتهم خلال هذه الفترة الطويلة، واستطاعوا أن يستسلموا أعدادًا أخرى كثيرة من أوريا.

ثالثًا: هلك الآلاف من المسلمين في صقق جبال الأندلس في ذلك الوقت؛ حيث كان الناصر لدين الله قد دخل بلاد الأندلس في شهر مايو، وقد كان متماسكًا جدًا للقتال، إلا أنه ظل يحارب سلبًا حتى قدم الشثناء القارس، وبدأ المسلمون يهلكون من عدسة البرد وشدة النيء في هذا الحصار الطويل.

العسكر القشتالي

بعد حصار قلعة سلبًا استنفر الملك القشتالي ألفونسو الثامن أوريا كلها ضد المسلمين في الأندلس، وبعث الأساقفة إلى البابا أنونس الثالث برثومًا يُشأده إعلان الحرب الصلبية في أوريا، وحث أهلها وشعوبها على السير إلى إسبانيا لقتال المسلمين، وعقد مؤتمراً لتوحيد جهود الإمارات المسيحية في إسبانيا لقتال الموحدين، وأطلق صيحة المشهورة: «كلنا صليبيون»، فتوافد على طليطلة جمع الصليبيين المتنوعين من كافة أنحاء المدن الإسبانية، يقودهم القساوسة والأساقفة.

وقد أثارت جهاد ألفونسو الثامن في استنفار أوريا كلها ضد المسلمين؛ حيث ألقدهم البابا بتوقيع عقوبة الحرم الكنسي على كل ملك أو أمير يتأخر عن مساعدة ملك قشتالة، كما أعلن الحرب الصلبية، وتوافدت جحافل الصليبيين من كل أنحاء أوريا استجابة لدعوة البابا، واجتمع منهم نحو سبعين ألف مقاتل؛ حتى إن طليطلة لم تسع هذه الجموع الجرارة، فأقام معظمهم خارج المدينة.

تحركت هذه الجيوش الجرارة التي تجاوزت مائة ألف مقاتل تحت قيادة ألفونسو الثامن من مدينة طليطلة في (17 المحرم سنة 109 هـ/2 يونيو 1212 م)، فاختبرت حدود الأندلس، ووضعت حصارًا حول قلعة رباح، وكانت حامية صغيرة نحو سبعين فارسًا، دافعوا عن موقعهم بكل شجاعة وبسالة، واستنجد قائد الحامية أبو الحجاج يوسف بن قادس بالسلطان
الأيام لا تنسى في العهد الأندلسي

الناصر الموحد، لكن رسائله لم تكن تصل إلى الخليفة؛ فليا طال الحصار، ورأى أبو الحجاج يوسف بن قادس استحالة المقاومة مع فناء الأقواف وقفة السلام، ويس من انتظار وصول المدد، فصالح ألفونسو على تسليم الحصن له، على أن يخرج المسلمون آمنين على أنفسهم.

وحين عاد أبو الحجاج يوسف بن قادس إلى الناصر لدين الله، وعندما علم منه أنه قد ترك قناعة رياح وسأله باللوم والسلام إلى النصارى، أشار عليه الوزير السوء أبو سعيد بن جامع بقتله بتهمة التحاسس عن حماية القناعة، ولم يتردد الناصر لدين الله، وفي ميدان موقفة العقاب يمسك بالقائد المجاهد أبو الحجاج يوسف بن قادس ثم قتله.

وإن هذا وبالرغم أن خطأ كبير من الناصر لدين الله، وعملًا غير مبرر، ويساوى إلى جملة أخطائه السابقة؛ وذلك للأتي:

أولاً: أن أبا الحجاج يوسف بن قادس لم يخطى بانسحابه هذا، بل كان متجرًا لفتال، ومتهربًا إلى الجيش المتأنس للحرب، كما أنه لم يكبه ذلك، ولم يهمل لكونه قد كبدت قواته عن الاشتبث في الموقعة بسبب الحصار المفروض عليها.

ثانيًا: وعلى فرض أن أبا الحجاج يوسف بن قادس قد أخطأ، فلن يكون عقاب هذا الخطأ على الإطلاق هو القتل، خاصة لأنه لم يتعلم بل كان اجهازًا منه.

خطأ الناصر لدين الله ومتابعة الأخطاء

وتكرمة للأخطاء السابقة فقد وضع الناصر لدين الله خطأ شاذًا في ترتيب جبهته وتقويمه، حيث لم يثير فيها على نهج السائقيين، ولم يقرأ التاريخ قبل المتصور الموحدى يوسف بن ناشفيين. فقد قسم جبهته إلى فرقة أمامية وفرقة خلفية، لكنه جعل الفرقة الأمامية من العباد، وعددهم ستم ألفًا ومائة ألف متطوع، وضعهم في مقدمة الجيش، ومن خلفهما الجيش النظامي الموحد.

وإن كان هؤلاء المتطوعون الذين في المقدمة متحمسين للقتال بصورة كبيرة، فليسهمهم الخطر والذاتية والقاطنة كأهالًا بالنسبة للكف القوة المنتجة من أجداد مقاتلي الصليبيين، والتي هي في مقدمة جيشهم، فقد قسمهم الجيش الصليبي القادم من الشمال إلى ثلاثة جيوش كبيرة: فالجيش الأول هو الجيش الأوروبي، والجيش الثاني هو جيش إمارة أراكون، والجيش الثالث هو جيش
فكان من المفترض أن يضع الناصر لدين الله في مقدمة الجيش القادرين على صدّ الهجوم الأول للنصارى؛ وذلك حتى يتملك الخطرات الأولى في الموقف، ويرفع بذلك من معنويات المسلمين، ويبطئ من معنويات النصارى، لكن العكس هو الذي حدث؛ حيث وضعت المطعوم في المقدمة.

ولقد زاد من ذلك -أيضًا- فجعل الأندلسيين في ميمنة الجيش، وما زال الألم والمروة تكمن في قلوبهم من جرّاء قتل قادتهم الأندلسي المجاهد المختار أبي الحجاج يوسف بن قادس، فكان خطأ كبيرًا -أيضًا- أن جعلهم يتلقّون الصدمة الأولى من النصارى.

العقبة، والعقبة المر
تكرر وكردّ في الماضي، تكمن خِين في الماضي، أيضًا -أيضًا- مع الناصر لدين الله في موقعة العقبة، وهو في أعظم قوة للموحدين، وفي أكبر جيش للموحدين على الإطلاق، بل وفي أكبر جيوش المسلمين في بلاد الأندلس منذ أن فتحت في سنة (92 هـ).
أيام لا تنسي في العهد الأندلسي

والتالي الأخطاء السابقة كان طبيعيًا جدًا أن تحدث الهزيمة، ففي 15 صفر 1019 هـ/ 16 يوليو 1212 مـ) هجوم المتطوعين من المسلمين على مقدمة الصليبيين؛ لكنهم ارتكبوا ارتباطًا شديدًا بقلب قشتالة المدرّب على القتال، فصدّوه بكل قوة ومرّقوا مقدمة المسلمين وقتلوا منهم الآلاف في الضربة الأولى لهم.

واستطاعت مقدمة الصليبيين أن تخرق فرقة المتطوعة بكاملها، والبالغ عددهم ستين ألفًا ومائة ألف مقاتل، وقد وصلوا إلى قلب الجيش الموحدي النظامي، الذي استطاع أن يصد تلك الهجوم، لكن كانت قد هبطت بشدة معنويات الجيش الإسلامي نتيجة قتل الآلاف منهم، وارتفعت كثيرًا معنويات الجيش الصليبي الناجحة نفسها.

وحين رأى ألفونسو الثامن ذلك أطلق قوات المجد المدرّبة لإنقاذ مقدمة النصارى، وبالفعل كان لها أثر كبير، وعادت من جديد الكثرة للنصارى.

في هذه الأثناء حدث حادث خطر في جيش المسلمين، فحين رأى الأندلسيون ما حدث في المتطوعين المسلمين واستشهد الآلاف منهم، إضافة إلى كونهم يقاتلون مرغمين مع الموحدين، وأيضاً كونهم يعتقدون بالعديد وليس في الثقة بالله، كان هذه الأمور أعتملت في قلوبهم، ففرّوا من أرض القتال.

وحين فرت ميمنة المسلمين من أرض الموقعة التفّ النصارى حول جيش المسلمين، وبدوا بالنفخ بهم، فقتل الآلاف من المسلمين بسبي النصارى في ذلك اليوم، والذي سُميّ بيوم العقاب أو معركة العقاب.

فقتل سبعون ألفًا من مسلمي دولة الموحدين ومن الأندلسيين، قتلوا على يد الصليبيين، وفَرَّ الناصر لدين الله من أرض الموقعة ومعه قلب الجيش المتطور المتكسر والمصاب في كل أجزاء جسمه الكبير، وقد قال الناصر لدين الله وهو يفرّ: صدق الرحم وكذب الشيطان.

حيث دخل الموقعة وهو يعلم أنه متصور بعدده، فعلم أن هذا من إلقاء الشيطان وكنبه، وصدق الرحم: "فَوَيَّمَهُ خُطْبَةٌ إِذ أَحَبَّبْتُكَ مِنْ كُلِّ عَدَى عَلَيْكَ خُلُقَ مَثْلَ مِثْلِكَ وَيَضَّافَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ أَيَا رَحْبَتُ ثُمَّ كَتَبْنَيْنِ مُرْحِبَيْنَ" [النبوة: 25]. فنزل الناصر لدين الله مدبّراً.

وأما زاد من مرارة الهزيمة أنه أرتكب خطأ آخر لا يقلّ بحال من الآخرين عن هزيمته المنكرة السابقة وفراره من أرض المعركة، وهو أنه لم ينكم بعد موقعة العقاب في المدينة التي تل مباشرة
مدينة العقاب، وهي مدينة يسجية، بل فر وتترك يسجية ثم ترك أبدًا. ترك كاتبهما بلا حامية وانطلق إلى مدينة إشتيلية، وما زالت قوة النصارى في أعماها، وما زالت في بأسرها الشمال.

العاقب بعد العقاب

أطلقت قوة النصارى فحاصرت يسجية، وكانت مأوى للمرضى والنساء والأطفال، فجمعتهم في المسجد الجامع الكبير في المدينة، وقاموا بقتلهم جميعهم بالسيف، ثم انطلقوا إلى مدينة أبودة. وهناك حاصروها ثلاثة عشر يومًا، ثم أعطوا أهلها الأمان على أن يخرجوا منها، وبعد خروجهم أمر القساوسة الملوك بقتلهم وعدم تركهم، فقتل من المسلمين في مدينة أبودة.

وفي يوم واحد ستمائة ألف مسلم، وكان ذلك أعقاب موقعة العقاب.

وعلى جهة أخرى قام ملك أراغون وكونت برشلونة جيمس الأول بالتولى في مملكته، فقم بسترداد جزر البليار بين عامي (1265-1269/1276-1281م)، ومدينة بناسية عام (1275/1276م).

أسباب الهزيمة

اعتبر الإسبان يوم 16 يوليو عيدًا عُرف باسم عيد انتصار الصليبي، ولقد تضافرت عدة عوامل ساعدت في وقوع هذه النكبة، وتستطيع حصر أخطاء الناصر لدين الله وهو في طريقه نحو العقاب على النحو التالي:

1- حصار قلعة مُلَعَّبة طيلة ثمانية أشهر كاملة.
2- الاستعانة ببطانة السوء الممثلة في الوزير السوء أبو سعيد بن جامع.
3- قتل القائد الأندلسي المشهور أبي الحجاج يوسف بن قادس.
4- تنظيم الجيش وتسجيله الخاطئ في أرض الموقعة.
5- أمر في غاية الخطرة؛ وهو الاعتقاد في قوة العدو والغداة، فقد دخل الناصر لدى الله الموقعة وهو يعتقد أنه لا حالة للنصر؛ ففي سبعه نصارى المقاتل، ومن هنا تبدى في الأفق سجاح حنين جديد، يعبر عنها قوله: "ويوم حين إذ أُعُجِّبْتُكم كنُفِتُكم، فَلَمْ تَفْنِعَ عَنْكُمْ مَبْنَى وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِيْسَة رَحْبَة ثُمَّ وَتْنَبْ مُدَيِّرَين" [النساء: 25].

* * *
الفصل السادس
أيام لا تنسي
في العهد الأيوبي
معركة حطين

التاريخ
3 هـ
187 هـ

المكان
تلع حطين قرب طبريا

النتيجة
انصار المسلمين

المتحاربون
الدولة الأيوبية
ملك بيت المقدس (صلبيون)

القادة
صالح الدين الأيوبي
جاج لوشجان ملك بيت المقدس

القوى والنشر
حوالي 12 ألف مقاتل
قيل: 50 ألفاً، وقيل: 30 ألف مقاتل

غير معروفة
30 ألف قليل، و30 ألف أسير

الخسائر

معركة حطين هي معركة فاصلة بين الصليبيين وقوات صالح الدين الأيوبى المسلم، قامت في 24 من ربيع الآخر 583 هـ/4 من يوليو 1871 م، قرب قرية تلال حطين بين الناصرة وطبريا، حيث انتصر فيها المسلمون؛ فقد وقع فيها الصليبيون أنفسهم في وضع غير مريح إستراتيجيًا في داخل طوق من قوات صالح الدين، فأسفرت عن هزيمتهم وسقوط مملكة القدس، وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون من قبل.

بناء الوحدة الإسلامية

كانت وفاة نور الدين محمود سنة (569 هـ/1174 م) نقطة تحول في حياة صلاح الدين;
إذ أصبحت الوحدة الإسلامية التي بناها نور الدين محمود البطل العظيم معرضاً للضياع، ولم يكن هناك من يحمي الفراعنة الذي خلا بوفاته، فقد تم صلاح الدين ليكمل المسيرة، ويجوّي البناء، ويُعيد الوحدة، وكان الطريق شاقًا لتحقيق هذا الهدف وإعادة الأمل؛ فقد توّبي فخر الدين محمود وترك ولدًا صغيرًا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، فشبّ نزاع بين الأمراء على من يقوم بالوصاية على الأمير الصغير، وانفرط عقد الدولة النوبية، وكان صلاح الدين في مصر يراقب ما يحدث في الشام عن كثب، ينتظر الفرصة المواتية لتوحيد الجبهة الإسلامية، ولم يظل انتظاره حيث جاءته دعوة من أمراء دمشق لتشبيهها، فذهب إليها على الفور، واستقبله
أهِلها استقبالاً جميلاً، وتسليم المدينة وقعتها في سنة (570 هـ/1174 م)، ثم اتجه إلى حمص فاستولى عليها، ثم عرج على حماة فضمها -أيضاً- إلى دولته، وأصبح على مشارف حلب نفسها، وحاول أن يفتحها لكنها استعصت عليه بعد أن استنجد قادتها بالصليبيين؛ فتركها في أعياده أنه سيأتي إليها مرة أخرى، ولكن تأخرت عودته ثمان سنين، حتى تمكن من فتحها وضمها في (579 هـ/1183 م)، وكان استياء صلاح الدين على حلب وما حولها خطوة هائلة في بناء الجبهة الإسلامية المتحدة، التي امتدت تحت زعامته من جبال طوروس شمالاً حتى بلاد النوبة جنوباً.

لم يغب أمام صلاح الدين لاستكمال الوحدة سوى مدينة الموصل، فحاصرها أكثر من مرة، إلى أن تم التصالح، بعد أن سعى إليه واليها أو الدين مسعود، قبل أن يكون تابعًا لصلاح الدين، واتفقا على ذلك في صفر سنة (582 هـ/1186 م).

الجبهة الصليبية

في أثناء الفترة التي عمل فيها صلاح الدين على إحياء الدولة الإسلامية المتحدة، استناداً إلى خطة الجهاد التي رسمها لطرد الصليبيين، ارتبط بعد عقدة مع هؤلاء الصليبيين مدته أربع سنوات؛ حتى يتفرغ تمامًا لتنظيم دولته وترتيب أوضاعها الداخلية.

حصن الكرك
أيام لا تننس

غير أن أرناط (رينالد ديوشان) حاكم الكرك شاء بحايته أنه لا يترك الصليبيين ينعمون بتلك الهدنة، حيث أقدم على عمل طاشن نقض الهدنة وأشعل الحرب، فاستول على قافلة تجارية متوجهة من مصر إلى دمشق، وأمر جاهزتها ورجالها، وألقى بهم أسرى في حصن الكرك.

حاول صلاح الدين أن يتذرع بالصبر فبعث إلى أرناط مقبلا فعلا، ومهدوه إذا لم يُرْدَ أموال القافلة وحُلَّ سراح الأسرى، وبدلاً من أن يستجب أرناط آمنا الوُصُولَ واعترَ بقوته، ورد على رسل صلاح الدين يقول: "قولوا لمحمد يَتْلَّصِكم".

ولما حاول ملك بيت المقدس أن يبتاز الموقف أمر أرناط على رأيه، ورفض إعادة أموال القافلة وإطلاق الأسرى، فزاد الأمر تعقيداً، ولم يكن أمام صلاح الدين سوى الحرب والقصاص.

المشكلات العسكرية التي سبقت حطين

عُبِّر صلاح الدين قوام واستعد لمناولة الصليبيين وحروب معركة الجهاد الكبرى، التي ظلَّ يُبَذَّل لها مدة عشر سنوات متظاهرًا الفرصة المواتية لإقدامه على مثل هذا العمل، وغادرت قوات صلاح الدين التي تجمعت من مصر وحرب الجزيرة ودوار بك من مدينة دمشق في (المحرم 1083 هـ/ مارس 1871 م)، واتجهت إلى حصن الكرك، فحاصرها ودمرت مزارعه، ثم اتجهت إلى الشويبوك، ففعلت به ذلك، ثم قصدت بابناب بالقرب من طبريا لرماية الموقف.

وفي أثناء ذلك تجمعت القوافل الصليبية تحت قيادة ملك بيت المقدس جاي لو جناف في مدينة صفورية، وانضمت إليها قوات ريمون الثالث أمير ترابلس ناقضًا الهدنة التي كانت تربطه بصلاح الدين، مفادًا من ناصرة قومه، على الرغم من الحصونة المتأججة بينه وبين ملك بيت المقدس.

قال ابن كثير: "وكان جملة من مع صلاح الدين من المقاتلة اثني عشر ألفًا غير المتطوعة، فنسعت الفرنج بقدمه فاحتموا كلهم، وتصلىوا فيها بينهم، وصالح قوام ترابلس ورئس الكرك الفاجي، وجلدوا بهدومهم حديثهم، واصبحوا معهم صليب الصليبوت يحمله منهم عياض الطاغوت وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله، قال: كانوا خمسين ألفًا، وقيل: ثلاثين وأسنين ألفًا".
وكان صلاح الدين يرغب في إجبار الصليبيين على المسير إليه، ليلقاهم وهم متعمدون في الوقت الذي يكون هو فيه مدركًا قوام، وجهد رجاله، ولم يكن من وسيلة لتحقيق هذا سوى مهاجة طبرية؛ حيث كانت تحتوي بقلعتها زوجة ريموند الثالث، فثارت ثائرتا الصليبيين وعقدوا جلسات لبحث الأمر، وافترق الحاضرون إلى فريقين: أحدهما يرى ضرورة الزحف إلى طبرية لضرب صلاح الدين، على حين يرى الفريق الآخر خطورة هذا العمل؛ لصعوبة الطريق وقلة الماء، وكان ينصح هذا الرأي ريموند الثالث، الذي كانت زوجته تحت الحصار، لكن أرناط اتهم ريموند بالجبن والخوف من نقاء المسلمين، وجعل الملك على الاتفاق بضرورة الزحف إلى طبرية.

الجبهة الصليبية

بدأت القوات الصليبية الزحف في ظروف بالغة الصعوبة في 21 من ربيع الآخر 9583 هـ/1187 م، تلفج وجهها حرارة الشمس، وتعاني قلة الماء ووعورة الطريق، الذي يبلغ طوله نحو 27 كيلومترًا، في الوقت الذي كان ينعم فيه صلاح الدين وجنهو بامهة ووفر الظل المديد، مدَّخرين قواهم لساعة الفصل، وعندما سمع صلاح الدين بشروع الصليبيين في الزحف، تقدم بجندته نحو تسعة كيلومترات، ورابط غرب طبرية عند قرية حطين.
أدرك الصليبيون سطح جبل طبرية المشرف على سهل حطين في 23 من ربيع الآخر 583 هـ/3 من يوليو 1871 م، وهي منطقة على شكل هضبة ترتفع عن سطح البحر أكثر من 300 متر، وها قُتِّمان شبهان الفرسان، وهو ما جعل العرب يطلقون عليها اسم "قرون حطين". وصعدوا إلى ذلك الجبل لكي يعصبهم من المهالك؛ ومن ثم المايت في جرى معتدل يُخفف عنهم شدة الحرارة والعطش، وعلى الرغم من أوضاع الملك جأي التي كانت تقتضي بأن يتدفعوا إلى أسفل التل، لبؤدوا واجبه نحو الصليبيين، إلا أنهم اعتدوا بشدة العطش، فاستغل صلاح الدين ذلك، ورَبَّ جيشه ورسم له الخطط، وأتاح لهم إحانة النافذة ببئرها.

وقد حرص صلاح الدين على أن يحول بين الصليبيين والوصول إلى الماء، في الوقت الذي استعد فيه زعمائه، فقضى الصليبيون ليلة سبتة بعانون العطش والإجهاد، وهم يسمعون تكبيرات المسلمين وتهابهم الذي يقطع سكون الليل، ويهز أرجاء المكان، ويُثير الفزع في قلوبهم.

الحركة

ومن عندما أشترقت نبض يوم السبت (24 تعبير الآخر 583 هـ/4 يوليو 1871 م) اكتشف الصليبيون أن صلاح الدين استغل ستر الليل ليضرب حصارًا حكيمًا، وأنهم بعيدون عن المياه، في ذلك الوقت أكمل الجيش الإسلامي استعداداته للمعركة الفاصلة وتحركت جمودًا في المقابل تحرك الجيش الصليبي فاضعا في ذهنة الوصول إلى طبرية لعهله يطلب إلى الماء، إلا أن صلاح الدين ببراعته الخريج أدرك مقصودهم، ووقف بعسكره في وجوههم وأخذ صلاح الدين يطوف بين الصفوف ويُخرج الرجال على الجهاد، وأماهم بها يُضعفهم، ويهموه عيا يُضعفهم، وهم له طائعون.

- بداية الهجوم الإسلامي: بدأ الهجوم الإسلامي على الصليبيين فاستنادًا إلى المسلمين في القتال، وشردوا هجماتهم على الأعداء، مدركين أن من وراءهم الأردن، ومن بين أيدهم بلاد الروم، وأنهم لا ينجهم إلا الله. وأدرك ذلك الهجوم الإسلامي الرهيب، لأدرك الصليبيون أن نبائحهم قد حانت، وأنه لا ينجهم من صلاح الدين سوى الغمر أو الاستسلام، ولم يستطيع النجاة سوى ريموند أمير طرابلس، الذي رأى عجز الصليبيين عن مقاومة الجيش الإسلامي، فاتفق مع جماعة من أصحابه وهجموا على رمائي بلهم من المسلمين، ففتح المسلمون لهم طريقًا يُخرجون منه، وبعد خروجهم تامًا أعاد المسلمون حصار الصليبيين مرة أخرى، وقصد صلاح الدين بذلك إدخال الضعف والفأس في نفس الصليبيين؛ عندما يعلمون
أيام لا تنسي. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

بهردوب ريموند وجموعه، مما دفع بعض المسلمين إلى إقلاع أسلحتهم، وجاءوا إلى معسكر المسلمين مستسلمين، وربما زاد الطين بله، أنه في الوقت الذي تغلق فيه ريموند عن أبناء مملكة، كان بعض المتطوعين المسلمين قد أشعلوا النار في الأعشاب، والأشواك، فبايعوها تلك المنطقة، وكانت أشجار تلك بإخبار الصليبيين، فاجتمع على الصليبيين العطش وحر الرؤس وحر النار، والدخان، والشدة القاتل، هذا ما ضرب صوره الصليبيين إلى التراجع إلى أعلى الجبل، وأرادوا أن ينصروا خيامهم ويجموه فوسهم به، فاشتقل عليهم القتال من سائر الجهات، ونزعوا عنا أرادوا ولم يمكروا من نصب خيمة واحدة سوى خيمة الملك.

- الحرب النفسية عند صلاح الدين: ويبدو أن صلاح الدين كان في تلك المعركة الحاسمة بعمق النقصة على الصليبيين وإدخال الدهر في نفوسهم بكل الوسائل، ولم يكن هم مقصورًا على القتال المباشر فقط، بل كان يستخدم الحرب النفسية للتأثير على العدو والدليل على ذلك أنه بعد أن حصر الصليبيين في أعلى جبل حطين، ركز الهجوم على الاستيلاء على صليبيهم الأعظم، الذي يسمو به صلب الصليبي، والذي يذكرون أن فيه عقبة من الخشبة التي صلبه عليها المسيح يُزعمهم؛ لأنه كان يعلم أن الاستيلاء عليه يُعدّ أعظم سلاح تطهيرهم نفسيًا ومعنويًا، وقد غُلِفوا هذا الصليب بالذهب واللاك وعددج النسية، وبالفعل، فإنا أن تمكن من المدح حتى حي الصليبيين البارو، وليقرأوا بالله، وقد اتبع المسلمون نحو قمة الجبل والصليبيون يترجون أمامهم، ويدافعون أمرًا وقتيًا، حتى لم يبق مع الملك الصليبي الذي وصل إلى أعلى الليل سوى فئة قليلة، لا يمكنه عددها مائة وخمسين فارسًا من الفرسان المشهورين الشجاعين، فمنهم الله المسلميننصر في هذه المعركة، وقتل من الصليبيين ثلاثون ألفًا في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفًا من شجاعتهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى أمير طرابلس الذي انسحب في أول المعركة.

معاملة الملوك الآخرين

أخبر ملوك الصليبيين وأمراهم وقاداتهم إلى حياة صلاح الدين، حيث استقبلهم استقبالًا حسنًا، وأجلس الملك جاي إلى جانبه، وأجلس البرنس أرناو صاحب الكرنك إلى جانب الملك، وباذن صلاح الدين بتقديم إを探ته مائة مثل الملك جاي، فشبت حرب معه وأعطي ما تبقى لأرناو فشزّ، وعندئذ غضب صلاح الدين من ذلك، وخاطب الملك مؤكداً له بأن...
أرنا لَمْ يشرب الماء بإذنها فتبت أمانة، ثم انفت إليه وذَكَّره بجرامته وخيانته، وقال له: كَمْ
تَنَفَّر وتبكث؟» قال الترجان عنه أنه يقول: وقد جرته عادة الملوك بذلك. فأوقف
السلطان صلاح الدين وقال: هَآنَا عَستَنَصَرِيَ لِلهِمْ، ثم عرض عليه الإسلام فأقبل، فاستلَى
صلاح الدين سلاحه فضرب عقته، وقال: كنت نذرت مرتين أن أقتلن إن ظفرت به,
إحداهما لما أراد المسرد إلى مكة والمدينة، والثانية لما أخذ القوافل غدرًا. ولما رأى ملك بيت
المقدس جاب لوزجنان ذلك المنظر، خاف وظن أن صلاح الدين سوف يقتله، ولكن
السلطان استحضره، وَطَيَّب قلبه، وقال له: لم تجر عادة الملوك أن يقتلون الملوك، أما هذا فإنه
نَجَازِهَ حَذَر فجَرَى ما جرى.

نتائج حطين
لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة طبيعية، وإنما كانت كارثة حَتَّى بِهِم; حيث
فقدوا زهرة فرسانهم، وَقَتَلُتهم أعداد هائلة، ووقع في الأسر ثلثها; حتى قبل: إن مَنْ
شاهد القتل قال: ما هناك أسير. ومن عابين الأمير قال: ما هناك قتيل.
وبعد المعركة سرعان ما احتللت قوات صلاح الدين وأخيه الملك العادل المدن الساحلية
كلها تقريبًا جنوبي طرابلس: عكا، بيروت، صيدا، باف، قيسارية، عسقلان. وقطع اتصالات
ملكة القدس اللاتينية مع أوروبا، وفي النصف الثاني من سبتمبر (1187 م) حاصرت قوات
صلاح الدين القدس، ولم يكن بمقدور حاميةها الصغيرة أن تحميها من ضغط 60 ألف
رجل، فاستسلمت بعد ستة أيام، وفي (77 رجب 582 هـ/ 12 أكتوبر 1187 م) فتحت
الأبواب، ورفعت رابية السلطان صلاح الدين الصفراء فوق القدس.
وعامل صلاح الدين القدس وسكانها معاملة أَرْق وَأَخْفُ بكثير مما عاملهم الغزاة
الصليبيون حين انتزعوا المدينة من حكم مصر قبل ذلك بئام عام تقريبًا، فلم تقع حوادث
قتل وسلب ونهب وندمجان الكنيس، وأدى سقوط ملكة القدس إلى دعوة روما إلى بدء
التجهيز لحملة صليبية ثالثة لاسترداد القدس، ولكنها باءت بالفشل.

* * *
فتح بيت المقدس

الطريق إلى بيت المقدس

بعد هزيمة الصليبيين في حطين أضحى الموقف العسكري شديد الخطورة على ملكة بيت المقدس، وإمارتي طرابلس وأنتاكية؛ إذ لم يبق أمام صلاح الدين بعد أن دفر أعداءه إلا أن فتح حصن الأرض المقدسة، وبخاصة أنه نجح عن خسارة الصليبيين -الذين ألقوا بكل ثقفهم في معركة حطين- أن وقع عدد كبير من أمرائهم وقوادهم وفرسانهم في الأسر، وعلى رأسهم الملك جاي لوذنات ملك بيت المقدس؛ حتى لم يبق لديهم من يصلح للقيادة، يضاف إلى ذلك أن الغرب الأوروبي لم ينته إلى الخطر قبل عام (582 هـ/1187 م)؛ لذا فإن احتلال جمهور عربية صليبية سوف يستغرق زمنًا؛ لذلك شرع صلاح الدين فتح المدن والحصون الصليبية واحدة بعد أخرى، فتحًا سريعاً ومتواساً، مزجًا مضاربه المباشرة على الموانئ المهمة.

والواقع أن عملية الفتح لم تكن حربًا بالمعنى العسكري المفهوم للكلمة، بل أشبه بنزهة عسكرية؛ إذ كانت المقاومة ضعيفة؛ مما سهل للمسلمين الانتشار والتقدم، فكانت المدينة أو القلعة تساعد إلى الاستسلام لمجرد وصول المسلمين إليها؛ وذلك لعدم وجود قوة تدافع عنها، وإذا قاموا فإن مقاومتها تبدو ضئيلة. وقد قام صلاح الدين في هذا الوقت فتح قلعة طبرية، وفتح عكا، ومدن الجليل، والمدن الساحلية، والواقع أن لم ينقض شجرة جمادي الآخرة حتى لم يبق للنصارى جنوب طرابلس سوى صور وعسقلان وغزة، ووضع فلاغ مزولة، إضافة إلى بيت المقدس.

وقد صلاح الدين تغلب على حذر هذه المرة أيضًا، حين منح الصليبيين بعد أن فتح المدن والحضان المشارك إليها حرية البقاء فيها أو الخروج منها، فذهب معظمهم إلى صور؛ وذلك أنه سرعان ما أدرك أن أمر هذه المدينة قد صعباً فتركتها، واتخذ الاتجاه إلى غيرها؛ فقام فتح عسقلان.

فتح بيت المقدس

بعد أن فرغ صلاح الدين من فتح عسقلان والمدن المجاورة، تطلع إلى تحقيق هدفه الذي
كان الطريق صعبًا، ولكن في النهاية، استطاعت القوات العربية الصليبية أن تدخل القدس.

ولذا تم أيقظ فوراً لخدمة الله، وقامت القوى الصليبية بدفع الهجوم على المدينة.

وبذلك، تمكن الصليبيون من الدخول في المدينة، وأصبحت الحصار على المدينة نقطة وقعًا.

وقد وصل صلاح الدين إلى المدينة في 5 رجب 615هـ، وعسكر أمام أسوارها الشمالية، والشمالية الغربية، وشرع في مهاجمتها؛ لكنه قُبّل بالصعوبة.

وبعد الاستعدادات اللازمة، قام الصليبيون بقيادة صلاح الدين، بفتح أبواب المدينة والمعركة القادمة.

وقد أعلنت المدينة مدة خمسة أيام لبحث عن مكان يصلح للجيش أن يعسكر فيه، إلى أن أصر على
موضع في الجانب الشهابي نحو العمود وكبيرة صهينة؛ حيث الأسوار أقل من اثنتين، فانتقل إلى
هذه الناحية في (20) رجب/25 سبتمبر)، وحينما خُلّل السُلُب بدأ بقص المئات.
وترافقت الطوفان بذيل القلعة، وقاتل أهل بيت المقدس بحماية وكذلك المسلمون،
حيث كان كل فريق يرى ذلك عينيًا عليه، وجيّدًا واجبه فلا يحاج في به بسلاطين.
ولما رأى الصليبيون شدة القتال، وشعروا بأنهم أشرفوا على الهلاك؛ عقدوا اجتماعًا
لتنشأ، فاتفقوا على طلب الأمان؛ فأرسلوا وقفًا إلى صلاح الدين من أجل هذه الغزوة،
واشترطوا احترامهم في المدينة من الصليبيين، والسياح الذين يمشى بمساجدها.
كانت هذه الشروط هي نفسها التي سبق لصالح الدين أن يرفعها عليه من قبل، لكنه
رفض قبولها الآن؛ لأنه أوضح أن يفتح المدينة عفواً، وقال: «لا أفعل لكم إلا ما فعلتم بهله
حين ملكتموه ستة إحدى وتسعة وأربعين من القرن والسبت، وجزء السيّتة بتمتلهم».
وازداد موقف الصليبيين في الداخل سوءًا، وراحوا ينطلقون يلقق إلى المصير الذي
يتلطرهم، ولم يشعروا إلا أن محاولوا مرة أخرى إقناع صلاح الدين بالعفو عنهم، ولكن
صالح الدين سبق له أن أقسم بأنه سوف يفتح بيت المقدس بحد السيف، وللمجَّل من قسمه
سوى إذعان المدينة بدون قيد أو شرط.

في ذكرى الإسراء تم الافتتاح
وأمام هذا الاصرار، وبعد أن استشار مجلس حكيم في الموقع، تقرر السياح للصليبيين
بمساجد المدينة مقابل عشرة قهار عن الرجل يستوعب فيها الغني والفقير، وخمسة قهار
من المرأة، ودينارين عن الطفل؛ ومن بقي فيها يقع في الأسر، واشترط أن يدفع الفداء المفروض
في مدى أربعين يومًا، ومن لم يُؤده فداه خلال تلك المدة يصبح ملوكًا، لكن ث반 أن في المدينة
نحو عشرة آلاف فقير ليس يجوز لهم البلاغ المقرّر للفداء؛ فوافق صلاح الدين أن يدفع باليان
مبلغًا إجماليًا قدره ثلاثون ألف دينار عن ثمانية عشر ألف منهم.
ودخل صلاح الدين المدينة يوم الجمعة (76) رجب/2 أكتوبر
1871م، وشاهدت الظروف أن يصادف ذلك اليوم في التاريخ الهجري، ذكرى ليلة الإسراء
والمعراج.
سماحة القائد أم سماحة الإسلام

ومن الأمور الثلاثة ما حدث من طلب العباد من أخيه صلاح الدين إطلاق سراح ألف أسير من الفقراء؛ على سبيل المكافأة عن خدماته له، مظهرًا بذلك تساهلاً كبيرًا، فوهمهم له; وأذى أتهم الطريرك لذلك، لم يسعه إلا أن يطلب من صلاح الدين أن يهبه بعض الفقراء ليطلق سراحهم، فاستجاب لطلبه، ثم أعلن أنه سوف يطلق سراح كل شيخ، وكل امرأة عجوز، كذا ذهب بعيدًا حين وعد نساء الصليبيين بأن يطلق سراح كل من في الأسر من أزواجهن، ومنح الأرامل واليتامى العطاءًا من خزانته كل واحد بحسب حالته.

والواقع أن عطف صلاح الدين وساحته كانت على تقيق أفعال الصليبيين في الحملة الصليبية الأولى؛ إذ كان مثالًا للمسلم المتسامح الذي يعفو عن موضع القوة عن أبناء إيه، بل ويُحسن إليهم.

ثم عمل صلاح الدين على نحو الآثار النصرانية في المدينة، فأعاد قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى سابق عهدهما، وأنزل الصليب الكبير الذي أقامه الصليبيون في أعلى قبة الصخرة، في حين عَسَّل الصخرة بداء الورد ومُعرَّت، ثم دخل صلاح الدين إلى المسجد الأقصى يوم الجمعة 4 شعبان 583هـ/ 9 أكتوبر 1187 م، وصلّ فبها، وشكر الله على توفيقه ونصره.

أصداء فتح بيت المقدس تهز أوروبا

ما كاد القتال ينتهي في حطين، وتحقق خسارة الصليبيين، حتى أسرعت الرسول إلى غرب أوروبا لإعلام ملوكها وأمرائها بها آلته أو أوضاع الصليبيين في الشرق، ولم يثبت أن اقتنعت أمهن رسل أخرون عقب فتح بيت المقدس.

والواقع أن تلك الخسارة وهذا الفتح أحدثا رذًا فعل عنف في المجتمع الغربي الذي ذُكر

نلبًا الكارثيين، واعتقاد التصاري في الغرب أنها جاءت نتيجة إهمالهم في الاستجابة للاستغاثات المتكررة، التي جاءت من ملكة بيت المقدس في السنوات الأخيرة.

وأدرك من اجتمع في مدينة صور من الصليبيين أنه لم تصلهم نجدة من الغرب، فإن فرص الاحتفاظ بالمدينة ستضاءل بعد أن ضاع كل أمل في استعادة المناطق التي فقدوها، ولم يلبث (كونراد دي مونتفيثات) أن أرسل (جوسياس) رئيس أساقفة صور إلى غرب أوروبا في
أتمنى عام ٥٨٣ هـ/ أواخر صيف عام ١٨٧ م؛ ليطلب من البابا وملوك أوروبا وأمرائها النجدة العاجلة.

فأسف كأن يعود عن قيام حملة صليبية ضخمة؛ هي الحملة الصليبية الثالثة التي بادرت بها الفاطميين لاستعادة بيت المقدس بالفشل، وفي ٢٤ شعبان ٥٨٨ هـ/ ٢ سبتمبر ١١٩٢ م) عُقد الصلح بين صلاح الدين وريثارد قلب الأسد، واعترف الأصوليون بشريعة ساحلي، وسمح صلاح الدين للمجاهد والتاجر بزيارة مدينة القدس والأماكن المقدسة.

* * *
الفصل السابع
أيام لا تنسى
في العهد المملوكي
معركة عين جالوت

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>۱۲۶۰/۸۸۶ هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>عين جالوت عند مدينة بيسان ونابلس فلسطين</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انتصار المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>التحريون</td>
<td>إمبراطورية المغول</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>كعبا نوين السلوطاني وسيف الدين قطز</td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والحضور</td>
<td>حوالي ۲۰ ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>تدمير كامل القوات غير معروفة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

تُعد معركة عين جالوت التي وقعت في (۲۵ رمضان ۶۵۸ هـ/ ۳ سبتمبر ۱۲۶۰ م) من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ العالم الإسلامي؛ فقد انتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا على المغول، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يُهزم فيها المغول في معركة حاسمة منذ عهد جنكيز خان، أدت المعركة لانحسار نفوذ المغول في بلاد الشام، وخروجهم منها عتبات، وإيقاف المغول المكتسب الذي أسقط الخليفة العباسي سنة (۶۵۶ هـ/۱۲۵۸ م). كما أدت المعركة إلى تعزيز موقع دولة الماليك كأقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت لمدة قرون من الزمان إلى أن قامت الدولة العثمانية، وقعت المعركة في منطقة تسمى عين جالوت عند مدينة بيسان ونابلس فلسطين.

الاجتماع المغولي لعالم الإسلام

اجتاح المغول العالم الإسلامي في بدايات القرن السابع الهجري بقيادة جنكيز خان، وكان من أول ما واجهوا في طريقهم دولة الخوارزميين في بلاد فارس وما وراء النهر، فاستحوذوا وخرثوا فيها مدنًا، وقتلوا خلقًا كثيرًا، بعد ذلك حكم مونكو خان إمبراطورية المغول عام (۱۲۴۹ هـ/۱۲۵۱ م)، فكان الفعل مشابهًا تمامًا في الدولة العباسية حتى سقوط بغداد في أيدهم.
في (4 صفر 1258 هـ/10 فبراير 1843 م)، وأطلق بعدها المغول بجيش ضخم قوامه 120 ألف مقاتل نحو الشام بقيادة هولاكو، ومعه هلفهان من أسراء جورجيا وأرمينيا. وابتدأوا بمدينة ميافارقين بدير بكر، التي كان يحكمها الكامل محمد الأيوبي، قاموا بميافارقين الغول مقاومة عنيفة؛ إذ استمر الحصار عامين، حتى استسلم أهلها بعد نفاذ الفينون وموت معظم السكان، وعند وصول الدعم من المسلمين، دخلوها وارتكبوا مجازر تكثر فيها الجزود؛ حيث قضاوا على الكامل محمد الأيوبي وقطعوا جلده واتهموه به ليأكله إلى أن مات، وقطعوا رأسه وحملوه على أسسه رماحهم؛ تشبيًا وانتقانا منه لصموده وبطولته.

انتهى المغول بعدها إلى مدينة حلب فدخلوها بعد حصارها، وعندئذًا في تلك ليلة ضجة في سبعة أيام، ثم توجهوا نحو دمشق في (ربع الأول 1258 هـ/مارس 1260 م)، وفي هذا الوقت وصل بالبريد خبر موت الخاقان الأعظم للمغول مeko خان في قراقوم، واستدعى أولاد Kuriltai وأحفاد جنكز خان إلى مجلس الشورى الغول (الكوريل تاي)؛ لانتخاب الخان الأعظم الجديد للإمبراطورية؛ فرجع هولاكو (الذي هو آخر منكو خان) وأعد المؤهلين للعرش بمعظم جيشه إلى فارس؛ ليتابع أمور العاصمة الغولية، وترك في بلاد الشام جيشًا من المغول عدها يزيد على عشرين ألف جندي، بقيادة أحد أبرز ضباطه واسمه كتبا نون النسطوري، وهو قائد عسكري ينتمي من قبيلة الناباني التركية.

دخل كتبا نون دمشق في (10 ربيع الأول 1258 هـ/1 مارس 1260 م) بعد أن أعطوه الأمان لأهلها؛ ولكنهم خرجوا وكان حاكمها الناصر يوسف الأيوبي، وانطلق المغول بعد السيطرة على دمشق جنوبًا في بلاد الشام، حتى استولوا على بيت المقدس وغزة، والكرك والشام، بعد أن تحالف حاكمها المغول عمر مع المغول.

الموضع في مصر

كان يحكم دولة الماليك في ذلك الوقت المنصور نور الدين علي بن المعز أبيك، وهو صبي صغير. يبلغ من العمر 15 سنة، قام السلطان المظفر سيف الدين قطير -وهو من الماليك البحرية- بخليجه بعد إقناع بقية أمراء ووجهاء الدولة بأنه فعل ذلك للتجهز والتوقف ضد الخطر المحدق بالدولة المملوكية بشكل خاص والمسلمين بشكل عام. وقد كان الوضع النفسي للمسلمين سيئًا للغاية، وكان الخوف من التنازل مستمرًا في جميع طبقات المجتمع.
أيام لا تنسى في العهد الملكي
الإسلامي، وقد أدرك قطر ذلك، فعمل على رفع الروح المعنوية لدى المسلمين، واستقبل قطر منافسيه السياسيين في بلاد الشام، وحاول ضمهم إلى صفوفه، وكان من انضم معه بيرس البندقدي، الذي كان له دور كبير في قتال النتار فيها بعد.

رسالة هولاكو قطز
قبل مغادرة هولاكو من بلاد الشام أرسل رسالة قطزا لقطر يحملون كتابًا كان ما فيه: "من ملك الملوك شرفًا و غرية، الحاج الأعظم، باسمك الملهم باسط الأرض و رافع السماء، يعلم الملك المظفر قطز و سائر أمراء دولة أنا نحن جند الله في أرضنا، خلقنا من سخطه و السلطا على من حل به غضبه، فلك بجميع البلاد معتبارًا، وعن عزمنا مزدجرً، فانتظروا بغيركم، وأرسلوا إلينا أمركم قبل أن يتكشف الغطاء فتندموا، وعود عليكم الخطأ، وقد سمعتم أنا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا ممتن عباد، فعليكم بالمحبة وعلى عيني الطلب، فأي أرض تأويكم؟ أو أي طريق تنجيكم؟ وأي بلد تحميكم؟ فإذا لكم من سبوتنا خلاصًا ولا من مهابتنا مناص، فخولنا سواحق، وسهامنا خوارق، وسيفنا صواعق، وقلوبنا كحبال، وعدنا كمالًا، فنحصون لدينا لا تنفع، والعساكر لقتانا لا تنفع، ودعاكم علينا لا يسمع، فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أمانا سلم، فإن أتتم لمشرتنا ولأمرونأ أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تقبلوا نفوسيكم لأيديكم، فقد حذرتون من أذى، فلا تطلقوا الخطاب، وآسرعوا برد الجواب قبل أن تضرب الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارة، فلا تجدون منا جاهًا ولا غرًا ولا كافيًا ولا حرفًا، وتدهون منا بأعظم دالبة، وتصبح بلادكم منكم خالية، فقد أنصفناكم إذ راستناكم، وأيفظناكم إذ حذرناكم، فإنا بقينا مقصد سواكم.

موقف قطز
عقد سيف الدين قطر اجتماعًا مع وجهاء الدولة وعيلاتها، كان من بينهم العز بن عبد السلام، وتم الاتفاق على التوجه لقتال النتار، إذ لم يجد لياجاهتهم، وكان العز بن عبد السلام قد أمر أمراء وجهاء الدولة أن يتموا برفاقت أملاكهم، لدعم مسيرة الجيش الإسلامي، فطلب قطر الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فأجاب كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل، ولما وجد منهم هذا التخاذل والتهوين أتقل كلمته المثيرة: "يا أمراء المسلمين، لعبة زمان تأكلون أموال
بيت المال، وأتم للغزاة كارهون، وأنا مته، فمن اختار الجهاد يصبحي، ومن لجع ذلك يرجع إلى بيتنا، فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين». وقد اختلى قزر بيبيرس البنلدواري، الذي كان أمير الأمراء، واستشاره في الموضوع، فأشار عليه بقتل الرسل، والذهب إلى كتبنا متضامنين: فإن انتصرنا أو هزمنا، فسوف نكون في كلنا الحالتين معذرين.
فاستصوب قطر هذا الكلام، وقام بقتل رسل المغول؛ لإيصال رغبته في قتالهم، وأنه جاد بذلك، وقد زاد من عزيمة المسلمين وصول رسالة من صارم الدين زرك بن عبد الله الأشرفي -وقد وقع أسيئًا في يد المغول أثناء غزوهم الشام، ثم قيل الخدمة في صفوفهم -أوضح لهم فيها قلة عددهم، وشجبهم على قتالهم وأن لا يخفوا منهم.

 موقف الصليبيين
حاول المغول عبر كتبنا النسطوري التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية، ولكن با_PARAM
الفايكان منع وحرم التحالف مع المغول، ثم أمر حادثة قتل ابن أخي كتبنا بواسطة الفرسان الصليبيين بصفة، فاكتسب صيدا عصابًا على ذلك، أما الصليبيون في عكا فقد أتمهم قطـز إلى مـسلـاتهم ومهادواهم، واستأذنهم بعبور جيشه الأراضي التي يحتلواها، وطلب منهم الوقوف على الحياج من
الحرب ما بين الماليك والمغول، وأقسم لهم أنه متي تبعه فارس منهم أو رجل يري، أدى عسكر المسلمين إلا رفع وقائتهم قبل أن يلقى التنانير، إلا أن الصليبيين سلموا بأن المسألة هي مسألة وقت تم كتسجحهم المغول ويدمورتهم كما دمروا غيرهم؛ فذلك غضب الطرف على عبور الماليك أراضيه ولم يتصدّوا لهم، وقد يَرْبُر الصليبيون بوعدهم فلم يغادروا بالمعسكر الإسلامي من الخلف.

التحرك للحرب

في يوم الاثنين (15 شعبان 658 م، 1260 هـ) خرج قطر يسقي بيرس البندقادي بجميع عسكر مصر ومن انضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والترك، وغيرهم من قلعة الجبل في القاهرة، واوجهت سرية بيرس طالع جنود المغول في منطقة قرب غزّة، كان قائد المغول في غزّة هو بايّدر أخو كتبغا، الذي أرسل له كتبغاً للتعليم في بحرُك المسلمين، أخذ بيرس في مناوشة وقُتال المغول حتى انصر عليهم، وأتَّجه بعدها قطر إلى غزّة، ومنها عن طريق الساحل إلى شمال فلسطين، وفي تلك الأثناء اجتمع كتبغا الذي كان في بعلبك بالبقاء مع وجهاء جيشه، فاستمر الأرض صاحب حمص والمجري بن الزكي، فأشاروا عليه بأنه لا قليل له بالظهر حتى يعود إليه، وهواكو خان، ومنهم من أشار إليه اعتبرا على قوة المغول التي لا تظهر - أن يطلق لقتاهم، فاختار كتبغا أن يتحلي لقتاهم فجمع جيشه وانطلق باتجاه جيش المسلمين، حتى لاقاهم في المكان الذي يُعرف باسم عين جالوت.

المعركة

التقى الفريقان في المكان المعروف باسم عين جالوت في فلسطين في 25 رمضان 658 هـ/3 سبتمبر 1260 م - و وقت وصول الجيشين تحديدًا مختلف فيه - قام سيف الدين قطز بتقسيم جيشه فجعل المقدمة بقيادة بيرس، وبقية الجيش يتجه بين النيل وفي الوديان المجاورة؛ كيفه دعم أو تنفيذ هجوم مضاد أو معاكس، وكان قطز قد اجتمع بال أمراء، فحضورهم على قاتل التثار، وزْرُكهم يها وقع بأهل الآلفيَم من القتال والسبسي والخربق، وخرجُهم وقوع مثل ذلك، وحصّوا على استناد الشام من التثار، ونصرة الإسلام والمسلمين، فضجعوا بالبكاء، وتخلفوا على الاجتهاد في قاتل التثار ودفعهم عن البلاد. قامت مقدمة الجيش بقيادة بيرس بهجوم سريع، ثم انسحب متظاهرة بانهيار مزيّف.
هده سحب خيالة المُغول إلى الكمين، في حين كان قتار قد حشد جيشه استعدادًا لجُرم مضاد كاسح، ومعه قوات الخيالة الفرسان الكُتُبُن في قوقوق الوادي.

وانتقلت الخيالة إلى كتُبُن، فحمل بكل قواع على مقدمة جيش المسلمين اهتمامهم، وبدأت المقدمة في الرفع إلى داخل الكمين، وفي تلك الأثناء خرج قتار وقُتِّيحة مشاة وفرسان الجُلِب، وعملوا على تفتييش ومحاربة قوات كتُبُن، حيث كان المُلاليك ينزلون من فوق تلال الجُلِب، والمُغول يصعدون عليهم، ثم هجم كتُبُن بعنف شديد إلى درجة أن مقدمة جيش المسلمين أزجعت جانبًا، فاستقبل كتُبُن في القتال، فانتحر جنود ميسرة عسكري المسلمين، فإن ثبت الصدر والميمنة، وعندئذٍ ألقى السلطان قتار خدوخه عن رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته: «واسلامًا». وحمل بنفسه وآمن معه حتى استطاعوا أن يشقوا طريقهم داخل الجيوش المغولية، مما أصابهم بالاضطراب والتفكر، ولم يمض كثير من الوقت حتى هُزُم الجيش المغولي، ونصب بعض القادة كتُبُن بالفرار، فأبدأ الهوان والذَلّ، وقُتِّل بعض أصحابه وجرت بينه وبين رجل يدعى العريمان مباركًا، حيث لم يمض وقت طويل عليها حتى سقط كتُبُن صريعًا على الأرض، وكان انسىًا كبيرًا للمسلمين، وسلم التاريخ في هذه المعركة تمكن فرسان الخيالة بحيلة لماليك المسلمين من هزيمة نظرائهم المُغول بشكل واضح في القتال القريب، وذلك لم يشهد أحد غيرهم من قبل.

ما بعد المعركة
المالايكي:

بعد المعركة قام وُلادة المُغول في العِشَا في النافع، فدخل قتار دمشق في رضمان 658، وبدأ في إعادة الأمن إلى جانب المدن الشامية، وتعيين ولاة لها، واستأمن الأشرف صاحب خص وكان مع التيار، وقد جعله هولاكو خان نائبه على الشام كله، فأصبح الملك المظفر، ورد إليه خص، وكذلك ركّب خاصًا إلى المصور وزاده المُنورة وجعله سلميًا للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن منصور أمير العرب، واتبع الأمير بيبرس البندقدي رجاءً من الشجعان المغول، يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من بَدَمْشَقَ منهم يوم أحد السابع والعشرين من رمضان، فتبعهم المسلمون.
من دمشق يقتلون فيهم، ويُجرِّرون الأسرى من أبيهم، وكان قطٌ قد أرسل بيرس
البندقداري لطرد المغول عن حلب.

كانت النتيجة النهائية لهذه المعركة هي توحيد الشام ومصر تحت حكم سلطان الماليك
على مدى ما يزيد على نهار مائتي وسبعين سنة حتى قام العثمانيون بالسيطرة على أراضيهم في
عهد سليم الأول.

المغول:

بعد المؤرخون هذه المعركة ونتائجها بداية النهاية للإمبراطورية المغولية؛ إذ لم يبقوا في
معركة قط قبلا، فقد أرسل هولاكو جيشًا إلى بلاد الشام ليستعدها بقيادة ابنه «يشمط»،
إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل؛ حيث كان قد أقام حفلاً وكان في حالة ثلجة، فانتهز
جند بيرس هذه الفرصة، فانقضوا على معسكرهم وأفصوصهم عن كامليهم، وتركوا بعضهم
لينقلوا خبر الهزيمة إلى هولاكو، ومعهم رأس ابنه، فكا كان من هولاكو إلا أن قتل بقية
الناجين من المذبحة.

***
فنج عكا

المسيّر إلى عكا

قرر الأشرف صلاح الدين بن قلاوون مواصلة العمل الذي كان أبوه قلاوون قد بدأه ولم يُنهيه؛ بسبب وفاته، ألا وهو القياس على آخر ممالك ومعاقل الصليبيين في الشام، ففي عام (1289 هـ/1869 م) قضى السلطان قلاوون على كونية طرابلس الصليبية، وحرّر طرابلس من قبضة الصليبيين، ثم قرّر في العام التالي تحريك غزّ عكا، الذي كان من بقايا مملكة بيت المقدس الصليبية، إلا أنه توفي في شهر نوفمبر قبل أن يبدأ بالمسير، فلما تولّى الأشرف خليل السلطنة، قرّر المسير إلى عكا لفتحها وإنهاء الاحتلال الصليبي لها، فأرسل إلى وليام أوف بوجيه رئيس طائفة فرسان المعبد (الداوية) بعكا، يعلم أنه قد قرّر الهجوم عليها، وطلب منه عدم إرسال رسول أو هدايا إليه؛ لأن ذلك لن يثبته عن مهابة المدينة، إلا أن عكا أرسلت إلى القاهرة وفدًا محملاً بالهدية يرأسه فيليب مانيروف؛ لاسترجاع الأشرف بالعدل من خطره وضرورة الحفاظ على المعاهدة، فرفض الأشرف خليل مقابلتهم وقام بحبسهم.

قام الأشرف بعبئة جيوشه من مصر والشام، التي كانت تضم أعدادًا كبيرة من المتطوعين، وآلات الحصار التي كانت تشمل أنّى وتسعة من جنوب، وبعض العرادات الضخمة، التي كانت تحمي أسماً؛ مثل: «المصورى»، و«الغاضبة»، وكانت هناك مجانق أصغر حجمًا، وكان منها ذات قوة تدمرية هائلة؛ مثل: «الثيران السوداء».

احتست الجيوش عند قلعة الخنس في جبال الساحل السوري ثم اقترب إليها جيش مصر، الذي خرج به الأشرف خليل من القاهرة، وانضمّت أربعة جيوش يقودها نواب السلطان حمص يقوده حسام الدين لاجين، وجيش من حما يقوده يضرب تقي الدين، وجيشه من طرابلس يقوده سيف الدين بليان، أما الجيش الرابع فقد كان من الكرك، وكان على رأسه الأمير المؤرخ ببرس الدوادار، وقد كان في جيش حما أمير مؤرخ آخر هو أبو الفداء.

كان الصليبيون في عكا يدركون منذ فترة خطورة موقفهم، وكانوا قد أرسلوا إلى ملك وأمراء أوروبا يطلبون منهم العون والمساعدة، إلا إنه لم يصلهم من أوروبا دعم يذكر، ما عدا ما
أيام لا تنسى في العهد الملكي

قام به ملك إنجلترا إدوارد الأول بإرسال بعض الفرسان، وقد كان الدعم الوحيد الذي كان ذاهبهما هو ما جاء من هنري الثاني ملك فرنسا، الذي قام بتخصص أسوار عكا، وأرسل قوة عسكرية على رأسها أخوه "آمالريك".

كانت عكا محمية بزرا عن طريق سورين مزدوجين سميكين، وأثنا عشر برجًا شيدها الملوك الأوروبين وبعض أثرياء حجاج بيت المقدس، وكانت الأسوار مقسمة على الطواف والفرق الصليبية؛ بحيث تكون كل طائفة (فرسان المعبد، الاستبارة، فرسان النبوون الألمان وغيرهم) مستورة عن حماية قسمها.

حصار عكا

غادر الأشرف خليل القاهرة في 28 مارس/190 هـ، وقد بخل في الأمرINGS طريق الأمطار، وقد نصب الأشرف دهليزه الأحمر فوق تلة مواجهة لبرج المندوب الباهب على مسافة غير بعيدة، وانصرف جيش مصر من نهاية سور متوسطة حتى خليج عكا، وانتزع جيش حماة موقعه عند البحر وعلى ساحل عكا، وفي اليوم التالي انتشرت عدوداً جيش المسلمين متزامنة تتقل بالأحجار الضخمة والثيران على أسوار عكا وراح رماة السهام من المسلمين بإطلاق المدافع من الصليبيين المتمردين فوق أبلى الأبراج وأثارهم سهامهم، وبعد ثانية أيام من المعركة والانشاءات والاشتباكات تقدم الفرسان والمهندسون المسلمون وقد تغطوا بالدروع في مواجهات متلازمة نحو سور عكا، حتى سيطروا على حاصله دون أن يتمكن المناهضون الصليبيون من إيقاف موجات زحفهم، لبكر أعدائهم وتلاقوا موجاتهم بامتلاك الأسوار، واستخدم المسلمون سلاحًا يدويًا صغيرًا يطلق نيرانًا كثيفة وسرعية، أطلق عليه الصليبيون اسم "كربلوها"، وقد أحدث هذا السلاح أضرارًا بالغة بالمقاتلين الصليبيين، وصعب عليهم التقدم نحو المهاجرين المسلمين، وتمكن المسلمون من إحداث أضرار وثقوب في الأجزاء الضيقة من الأسوار.

على الرغم من استمرار وصول الإمدادات والتعزيزات العسكرية من قبرص إلى عكا عن طريق البحر، إلا أن الصليبيين المحاصرين فيها كانوا يدركون أنهم غير قادرين على التصدي لجيش المسلمين، وفي الخامس عشر من أبريل تحت ضوء القمر قامت قوة صلبيبة من
أيام لا تنسي: ملاحظات ملهمة من التاريخ الإسلامي

فرسان المعبد باغرة مفاجئة على معسكر جيش همزة، بهدف إحراق إحدى عرادات المسلمين، إلا أنه وحسن حظهم، تعرضت أرجل خيولهم في حالٍ خيال المقاتلين المسلمين؛ مما أدى إلى اكتشاف أمرهم، ومقتل وأسر العديد منهم، وتمكن عدد منهم من الفرار ببعض طول ودروع المسلمين، وبعد بضعة أيام شن فرسان الاستباقية غارة أخرى على معسكر للمسلمين، وكانت تلك المرة في الظلام الدامس، ولكن غارتهم انتهت هي الأخرى بالفشل.

بعد أن اكتشف أمرهم وأشبعت المسلمون المشاعر وتصدوا لهم فلادوا بالجارب بحراهم.

في الرابع من شهر مايو استرد الصليبيون المحاصرون بعض الثقة والأمل؛ حينها وصل الملك هنري الثاني من قرض، وفي صحته أربعون صفية مملوكة بالمقاتلين والعناصر، وقد تولى هنري قيادة الدفاع، ولكن سرعان ما أدرك هنري قلبه حيث توجه إلى مواجهة الأشرف خليل، فأذرب إيل فارس من فرسان المعبد لطلب السلام وإعادة الهدوء، وسألها الأشرف عما إذا كانا قد أخذوا معها مفاتيح المدينة، فلما أجابا بالنعم، قال لها: «إن كل ما يهم هو امتلاك المدينة».

وإنه لا يهم مصدر سكائها، ولكن تقديره من هجرة الملك هنري ولصق سنه وقدومه لتقديم المساعدة وهو مريض، فإنه على استعداد أن يُقي علي حياة السكان في حال تسليم المدينة له دون قتال، فأجابا بأنه لم يأت إليه للاستسلام، ولكن فقط لطلب رحمة علي السكان، وبينما الفارس يتشتطفان الأشرف إذ بعرة صليبية تأتي من داخل عكا بحجر يسقط بالقرب من دهيل الأشرف، فظن أنها مؤامرة صليبية لقتله، وأراد قتل الفارس، إلا أن الأمير سنجر الشجاع شفع فيها، فسمح الأشرف لها بالعودة إلى عكا.

فتح عكا

بداية من اليوم الثامن من شهر مايو بدأت أبارة عكا نصب بأضرار بالغة؛ نتيجة لدكها المستمر بالمجانين، وتقبيها عن طريق المهندسين المسلمين، فإنها برج الملك هو، وثاني البرج الإنجليزي، وبرج الكونستائية ذو بلوا، وفي السادس عشر من مايو قام المسلمون بهجوم مركزي على باب القدسي، أُتِيد لفرسان المعبد والإستئناف.

وفي فجر يوم الجمعة (17 جمادي الأولى 1291 هـ/18 مايو 1814 م) سمع صليبيو عكا دقات طبول المسلمين، وبدأ المسلمون بالزحف الشامل على عكا بامتلاء الأسوار، تحت هدير دقات الطبول التي حملت على ثلاثية جملة لإنزال الرعب في صدور الصليبيين داخل عكا.
اندفع جنود الجيش الأشرف وجيشه حماة، وهم يكبرون لمهاجمة حصصات المدينة تحت قيادة الأمراء الفايلة الذين ارتدوا عبايا يضاء، ووصلوا المقاتلون إلى البرج المدعو، وأجروا حامية على التراجع إلى جهة باب القدس أطلوا، واستباث قسان المدعو وفرسان الإستبارة في الدفاع عن البرج والباب، ولكن المقاتلين المسلمين الذين كانت نار الإغرق من ضمن أسلحتهم، قد تمكنوا من الاستيلاء عليها، وراحهم قوات الجيش المسلمين تتفق إلى شوارع المدينة، حيث دار قتال عنيف بينهم وبين الصلبيين، وقتل مقدم فرسان المدعو «أويم أفر بوجو»، ونبعه «ماثيو أوف كليرو مونت»، وجرح مقدم الاستبارة «جون فيلي» جربًا بالسم، فحمل إلى سبيلته وبنى فيها.

ورفعت الصناجاح الإسلامية على أسوار عكا، وأبقى الملك هنري أنه لا طاقة للصلبيين بجيشه الأشرف، وأن عكا سينتقم فيها. بعد الهزيمة، قلبوا عمليات الالتحام والصقبختاره، واتخذوا الصلبيين طية فيها.
مركب الكاتلاني روجر فلور مقدم المرتزقة وفارس المعبد، مقابل أموال دفعها له، وقد تمكن روجر دو فلور من استغلال الموقف وانفراد الأثرياء والبيضات وكون ثروة طائلة. وقبل أن يحل الليل كانت مدينة عكا قد صارت في يد المسلمين، فيها عددا حسن فرسان المعبد، الذي كان مشيداً على ساحل البحر في الجهة الشرقية الغربية من المدينة، وعادت عكا إلى المسلمين بعد حصار دام أربعة وأربعين يوما، وبعد أن أحتلها الصليبيون مائة عام.

بعد أسبوع من فتح عكا تفاوض السلطان خليل مع روجر دو سيفري، رئيس حصن فرسان المعبد، وتم الاتفاق على تسليم الحصن مقابل السباح بإبحار كل من في الحصن إلى قريص، وبعد وصول رجال السلطان إلى الحصن للإشراف على تدابير الإخلاء تعرضوا لبعض النسوة في الحصن، أو أرادوا أخذنهم؛ مما أدى إلى غضب فرسان المعبد، فانقضوا عليهم وقتلهم، وأزالوا صناديق المسلمين الذي كان قد فُوق على الحصن من قبل، واستعدوا لمواصلة القتال.

وفي الليل تحت جنرال القلاب غادر تيبيد غودين مقدم فرسان المعبد الجديد الحصن إلى صيدا في صحبة عدد من المسئولين ومعهم أموال الطائفة، وفي اليوم التالي ذهب روجر دو سيفري إلى السلطان خليل ومعه بعض الفرسان للتفاوض من جديد، قبض الأشراف عليهم، وأعدهم انتقاماً لرجال الذين قتلهم الفرسان في الحصن، فلأنهم رأوا أن المسلمين المحاصرين في الحصن ما حدث لريز دو سيفري ورفاقه وصولاً إلى الدقاق، وفي الثامن والعشرين من ماي، بعد أن حفر المهندسين نفق تحت الحصن، دفع الأشراف بالغى مقاتلي الاستياء عليه، وبناءهم هم يشقون طريقهم داخل البشراء، وذلك كل من كان يدخل الحصن من مدافعهم ومهاجمين.

أفراح النصر

وصلت أنحاء أنتصار جيش المسلمين وتحرير عكا إلى دمشق والقاهرة ففرح الناس وزينت المدن، ودخل السلطان خليل دمشق ومعه الأسرى الصليبيين مقيدين بالسلاسل وقبل جيش المسلمين بالاحتفالات ورفع نجوم النصر، وتزنت دمشق، وعمت البهجة بين الناس، وبعد أن دخل القاهرة وتزنت وفرودت فيه الشقوق الحرير تحت حافر فرس، وبعد أن زار أبين الملك المنصور، صعد إلى قلعة الجبل وخلع على الأموار الجلّع، أمر الأشراف بإطلاق سراح فليم ماينيف وزيملائه الصليبيين الذين كان قد قبض عليهم قبل مسيره إلى عكا، وقام الأشراف بنقل بوابة كنيسة القديس أنطيوح من عكا إلى القاهرة؛ لاستخدامها في استكمال مسجده.
الفصل الثامن
أيام لا تنسي
في العهد العثماني
مواقع متعلقة بالموضوع

www.moswarat.com
## معركة قوسوطة

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1389 هـ/1769 م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>قوسوطة - كوسوفا</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انتصار المسلمين</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>المتحاربون</th>
<th>الخلافة العثمانية (مسلمون)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>السلطة</td>
<td>ملك الصرب لازار جريلينا نوفتش</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>من 12 إلى 30 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>القوى والأسلحة</td>
<td>من 27 إلى 40 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>غير معروفة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة قوسوطة هي معركة وقعت سنة (792 هـ/1389 م) بين جيش العثماني بقيادة السلطان مراد الأول، وبين جيوش الصليبيين المكونة من الجيش الصرب والألباني بقيادة ملك الصرب لازار جريلينا نوفتش، حدثت المعركة في مكان يسمى قوسوطة (كوسوفا حاليا).

قبل المعركة

بعد أن خضعت معظم بلاد البلغار للعثمانيين، قضى بالتالي على الطرف البلغاري في الجلفة الصليبية، أراد السلطان مراد أن يقضي على بقية أعضاء الجلفة الذين كونوا بجميعهم تكتيلاً صليبياً ضخماً، وعلي الرغم من أن البلغار ليسوا ضحية، وكان جيشهم يفوق الجيش العثماني كثيرًا، فقد عقدوا العزم على استئصال شأفة العثمانيين من أوروبا، وأتجهوا إلى ميدان قوسوطة، وإدراكًا من السلطان مراد لخطر هذا التحالف، ونافضًا عليه ما حدث في بلوشيك، فإن السلطان مراد لم يكن قائد الجيش العثماني إلى أحد من قادته بل قاده بنفسه، ورتحف بجيشه يوحيًا قائد التكتيل الصليبي ملك الصرب لازار جريلينا نوفتش، واجتهد السلطان في تعقب هذا الخلف فأدركهم في مكان تجتمعهم في قوسوطة سنة (792 هـ/1389 م)، ومن الأحداث التي تذكر أن وزير السلطان مراد الذي كان يحمل معه
دعا السلطان مراد قبل انطلاق معركة قوصوة

كان السلطان مراد يعلم أنه يقاتل في سبيل الله وأن النصر من عُنده؛ لذلك كان كثير الدعاء والإخلاص على الله والتضرع إليه والتوكيل عليه، ومن دعائه الحاسم نستدل على معرفة السلطان مراد لربه وتحقيقه لمعاني العبودية؛ يقول السلطان مراد في مناجاته نباهه: "يا الله؛ يا رحمي؛ يا رب السموات؛ يا من تنقل الدعاء لا تخفني، يا رحمي يا رحيم؛ استجب دعاي واعبد الصرح التقرير هذه المرة، أرسل السوا على مداراً، وبذل ساهب الظلم فنرى معدونا، وما نحن سوى عبيد الذاتين، إنك الوهاب ونحن فقراؤك، ما أنا سوى عبدك التقرير المعلم، وأنت العالم با علام الغيب والآسر وما خفي الصدور، ليس لي من غاية لنضفي ولا مصلحة، ولا يحملني طلب الغنم، فأنا لا أطمع إلا في رضائك يا الله يا علمنا يا موجود في كل الوجود، أديدة روحي فتقبل رجائي، ولا تجعل المسلمين يبؤهم الحذلان أمام العدو، يا الله يا أرحم الراحمين لا تجعلني سبيلاً في موتهم، بل اجعلهم المنصرفين، إن روحي أُذنها فداءً لك يا رب إني ودت وما زلت دوماً أبغي الاستشهاد من أجل جند الإسلام، فلا تريني يا الله محنتم، واسيح لي يا إله هذه المرة أن أستشهد في سبيلك ومن أجل مرضاتك..."

المعركة

دارت المعركة بعنف وحجي الوطيس، وتطايرت الرؤوس ونشب قتال مرير بين الجانبين؛ تبادلا فيها النصر أكثر من مرة، واستبضلا في المعركة؛ اعتقادًا منها أنها الحاسمة والمريرة للمصير، وقد أصيب العثايين بخسائر كبيرة لكن ذلك لم يفت في عضدهم، ومن هنا فلم يكسب أحد من الفريقين النصر الحاسم في المراحل الأولى للمعركة.

استقلال السلطان مراد الأول

وفي مرحلة من مراحل القتال، وبينما كان السلطان مراد يتفقد مواقع القتال، إذا برجل صربي يدعى ميلوك كولوفيتش تقدَّم من السلطان، وكان يُريد تقديم شكوى له، فسمح له السلطان بالقرب منه؛ لكنه كان يُغفي في بردته خنجرًا مطشن به السلطان مرادًا طعنة أردتهً
أيام لا تنسى في العهد العثماني

قتيلًا، فتكالب على القاتل الانكشارية فقتله، وكان ذلك في 15 شعبان 1791هـ/ 30 يوليو 1389م.

وتقرير إحدى الروايات أن ميلوك هذا كان أحد الجند الصرب ومن بلالهم، وأنه أصيب بجراح في المعركة فاستلشاط غضبًا، وأخذ عهدًا على نفسه ليقتل مراكزًا، فانطلق في الميدان كأنه من القتيل، وَجَبَّ فَرَصةٌ مرور السلطان مراد في ميدان القتال لتفقد القتال فقتله.

كما تشير إحدى الروايات الصربية التي يتداولها الصرب فيها بينهم: «أن السلطان مرادًا قد قُتل بخناجر اثني عشر مقاتلاً صربياً، كانوا قد أخذوا على أنفسهم عهدًا بقتلهم متي ما تخطت الفرصة لهم، وأنهم اتجهوا إليه في خيانته على حين غفلة من حرسه فيها يبدو، فأدركوه صربًا. وخرج الصرب إلى الآن على تداول هذه الروايات ضمن ملحمة صربية عن هذه المعركة، وأصبحت هؤلاء الجند بالأطلال.

المرحلة الحاسمة لهذه المعركة

لم تؤثر وفاة السلطان مراد في سير المعركة لصالح العثمانيين؛ لأنها حدثت بعد أن حقق
العثمانيون انسكابًا حاسمًا في جولة أخرى لهذه المعركة، ورزق في تلاقي أثر هذه الوافدة على الجيش العثماني تولي السلطان بايزيد الأول الحكم بعد استشهاد والده، كما تولى قيادة الجيش العثماني في قوصية؛ وبذلك جرى ثور النصر الذي دفع أبوه حياته فتىًا له، وكان قائدا للجناح الأيسر، فلم شعرت القوات العثمانية التي شدّدت حملتها على القوّات الصربية، وكان ساعد العثمانيين على استعادة قوّتهم، وتنظيم جيشهم انضيأ صهر ملك الصرب المدعو فوكا برانكوفيتش، ومعه عشرة آلاف فارس، وأغلقت بابي قلعة العثمانية، وهذا يبدو أن آداء ضعف الجيش الصليبي، وقل حركته، واحتلال نظامه؛ فلما حدثت المرحلة الأخيرة الحاسمة في هذه المعركة المعركة انتهى الصليبيون هزيمة ساحقة، وأمر ملك الصرب بعد أن جرح يعبر من القادة والأمراء، واختبئ بعضهم أتباعهم، فأمر السلطان بايزيد بلفظهم جميعًا، على أن هناك رواية تقول: إن جرح ملك الصرب وبعض القادة وأمرهم كان قد مقتل السلطان مراد، وأن الأمر بقتلهم كان قد صدر منه، وهو في النزاع الآخر، وإن لم يرد ذلك إلا على يد ابنه السلطان بايزيد.

الكلمات الأخيرة للسلطان مراد
لا يسعني حين رحيلي إلا أن أشكر الله، إنه علام الغيوب المتقبل دعاء الفقير، أشهد أن لا إله إلا الله، ولا يستحق الشكر والثناء إلا هو، لقد أوصت حياتي على النهاية، ورأيت نصر جند الإسلام، أطيعوا ابنى يزيد، ولا تثبّتو الأسرى، ولا تثبّتوهم ولا تسبلههم، وأودعكم منذ هذه اللحظة، وأودع جيشنا النافر العظيم إلى رحمة الله؛ فهو الذي يحفظ دولتنا من كل سوء. لقد استشهد هذا السلطان العظيم بعد أن بلغ من العمر 65 عامًا.

نتائج معركة قوصية
1- أنتشر الإسلام في منطقة البلقان، وحول عدد كبير من الأشراف القدامى والشيوخ إلى الإسلام ببعض إرادتهم.
2- اضطرت العديد من الدول الأوروبية إلى أن تحتبب ودّ الدولة العثمانية، فبدأ بنها ضعيفه بعضها، بدف الجزية لهم، وقام البعض الآخر بإعلان ولائه للمسلمين خشية قوتهم واتقاء غضبهم.
3- اندمت سلطنة العثمانين على أمراء المجر ورومانيا، والمناطق المجاورة للبحر الأدرياتيكي، حتى وصل نفوذهم إلى ألبانيا.
معركة نيكوبوليس

التعليمات:
- العام: 1392 هـ/880 م
- المدينة: نيكوبوليس في شرق البلقان
- النتيجة: انتصار المسلمين
- الحلفاء: حلف صليبي من المجر، ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، أسبانيا، سويسرا وإيطاليا (سيسيون)
- القيادة: سليمان بايزيد الأول
- القوة والحرس: 120 ألف مقاتل، 300 ألف شهيد، 100 ألف مقاتل، 300 ألف مقاتل
- الخسائر: غير معروفة ولكنها كبيرة جداً

هي معركة وقعت سنة (880 هـ/1392 م) بين العثمانيين بقيادة السلطان بايزيد الأول وبين التحالف الصليبي بقيادة الملك سيف الدين ملك المجر، وكان النصر فيها لصالح المسلمين.

قبل المعركة:
كان لسقوط بلغاريا عام (797 هـ/1393 م) في يد السلطان العثماني بايزيد الأول صدى هائل في أوروبا وانتشار الرعب والخوف في أنحائها، وتحركت القوى المسيحية الصليبية للفقد على الوجود العثماني في البلقان؛ خاصة ملك المجر سيف الدين والبابا بونيفاس التاسع، فقد اتفق عزم الرجليين على تكوين حلف صليبي جديد لمواجهة الصواعق العثمانية المريرة، واجتمعت سيف الدين في تضخم حجم هذا الحلف وتسليمه، باشتراك أكبر قدر ممكن من الجنسيات المختلفة، وبالفعل جاء الحلف شملًا يضم مائة وعشرين ألف مقاتل من مختلف الجنسيات؛ مثل: ألمانيا، فرنسا، إنجلترا، أسبانيا، سويسرا، وإيطاليا، ويعود الحلف سيف الدين ملك المجر، وتحركت الحملة الصليبية الجموحة عام (880 هـ/1392 م) إلى المجر، ولكن بوادر الوهن والفشل قد ظهرت على الحملة مبكرًا؛ ذلك لأن سيف الدين قائد الحملة كان مغرورًا أحقًا، لا يستمع لنصيحة أحد من باقي قوات الحملة، وقد بلغ به الغزور والاعتداء بجيشه وقوته أن قال: "لاأنتظست بالسياصات على ما سماها بحيراتنا". وحدث خلاف شديد على إستراتيجية القتال، فسيف الدين يؤثر الانتظار حتى تأتي القوات
العثمانية، وبقى القواد يرون المبادرة باهوجوم، وبالفعل لم يستمعوا لرأي سيجسوند، وانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا إلى مدينة نيكدوبوليس في شمال البلقان.
المعركة

بدأ الصليبيون في حصار مدينة نيكوبوليس، وتغلبوا في أول الأمر على القوات العثمانية ولم يكد الصليبيون يدخلون المدينة حتى ظهر يابيزيد ومعه مائة ألف مقاتل، كان الأرض قد اشتعلت عليهم، وكان هذا العدو يقل قليلاً عن التكتيل الأوربي الصليبي، ولكن يتفوق عليهم نظاماً وسلاطنا، وكان ظهور العثمانيين فجأةً كفيلةً بإدخال الرعب والهول في قلوب الصليبيين، وبدأت المعركة التي تُعد من أشهر معارك التاريخ، وقاتل المسلمون يومها قتال من لا يخشى الموت، وأنزل الله على المسلمين الرحمة والسكونة وأيدهم بجيد من علّمه، فقد في قلوب الذين كفروا الرعب، وانهت المعركة بنصر مبين للمسلمين، ذكرهم بإيام المسلمين الأولى بدير والرموك، فانهتز معظم النصارى، ولذا طالب الرسول وهرب، وقتل وأسر عدد من قادتهم، فقد وقع كثير من أشراف فرنسا - منهم الكونت دي نيرف نفسه - في الأسر، فقبل السلطان يابيزيد دفع الفدية، وأطلق سراح الأسرى والكونت دي نيرف، وكان قد أزم بالقسم على أن لا يعود لمارتيل، وقال له: «إني أجز لك أن لا تخفف هذا اليمين، فلتلك في حل من الرجوع لمارتيل، إذ لا شيء أحب إلي من حمارة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم».

أما سيموندو ملك المجر فقد ولى هاربًا ومعه رئيس فرسان رودس، ولمَّا بلغ في فرارهما شاطئ البحر الأسود، وجد هناك الأسطول النصراوي فوقف على إحدى السفن وفرت بها مسرعاً لا تلوي على شيء.

وعلى الرغم من القضاء على القوات الصليبية، إلا أن السلطان يابيزيد انسحب لكثرة قتل المسلمين في المعركة، التي قُدرت بثلاثين ألف قتيل!! وذكر السلطان يابيزيد ما فعله الصليبيون بالحيمات الإسلامية في بلغاريا والمجر، فأمر السلطان يابيزيد بقتل الأسرى كلهم ثلاثة آلاف أسير، ورواية أخرى عشرة آلاف، ولم يُبق إلا أكابر وعلية القوم؛ للحصول على فدياً ضخمة منهم.

نتائج النصر

تضامنت مكانة المجر في عيون المجتمع الأوربي بعد معركة نيكوبوليس، وتبُعُرُ ما كان يُحيط بها من هيبة ورعب، لقد كان ذلك النصر المظهر له آثر على يابيزيد والمجمع الإسلامي؛ فقام يابيزيد ببعث رسائل إلى كبار حكام الشرق الإسلامي; يُبشرهم بالانتصار العظيم على النصارى، واصطحب الرسول معهم إلى بلاطات ملوك المسلمين مجموعة منتقاة من الأسرى المسيحيين؛ اعتبارهم هدايا من
المتصرف، ولديلاً مادياً على انتصاره، واتخذ بايزيد لقب «سلطان الروم»؛ كدليل على وراثة لدولة السلجوقية، وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول، كما أرسل إلى الخليفة العباسي القبل بالقاهرة. يطلب منه أن يقر هذا اللقب حتى ينصب له ذلك أن يصبح على السلطة التي مارسها هو وأجداده من قبل طلباً شرعياً شريعاً؛ فترضاه هيئة العالم الإسلامي، وبالطبع وافق السلطان المملوكي يرقق حامي الخليفة العباسي على هذا الطلب؛ لأنه يرى بايزيد حليفه الوحيد ضد قوات تيمورلنك، التي كانت تهدد الدولة المملوكية والعثمانية.

بعد الانتصار العظيم الذي حققه العثمانيون في هذه المعركة تبنت العثمانيون أقدامهم في البلقان؛ حيث انتشر الخوف والرعب بين الشعوب البلقانية، وختت البوسنة وبلغاريا للدولة العثمانية، واستمر الجند العثمانيون يتبعون فصول النصارى في ارتدائهم، وعاقب السلطان بايزيد حكام شبه جزيرة المورة، الذين قلَّما مساعدة عسكرية للحفل الصليبي.

وعقبًا للإمبراطور البيزنطي على موقفه المعادي طلب بايزيد منه أن يسند القسطنطينية، وإزاء ذلك استنجد الإمبراطور مانويل بأوروبا دون جدوى، والحق أن فتح القسطنطينية كان هدفًا رئيسيًا في البرنامج الجهادي للسلطان بايزيد الأول؛ لذلك فقد ترك على رأس جيشه وضرب حصارًا محكمًا حول العاصمة البيزنطية القسطنطينية وضغط عليها ضغطًا لا هواء فيه، واستمر الخصار حتى أفرقت المدينة في نهايتها على السقوط، وبينما كانت أوروبا تنتظر سقوط العاصمة العريقة بين يوم وآخر، إذ ينصر السلطان عن فتح القسطنطينية، لظهور خطر تيمورلنك على الدولة العثمانية.

***
معركة فارنا

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1448 هـ/ 848 هـ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>فارنا - بلغاريا</td>
</tr>
<tr>
<td>النتائج</td>
<td>انصار المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>المنتحرين</td>
<td>الحلف الصليبي مكون من المجر وألانيا وبولونيا وصقلية وناپولي (مسجد)</td>
</tr>
<tr>
<td>القادة</td>
<td>ماراد الثاني</td>
</tr>
<tr>
<td>القوة والحشود</td>
<td>ما بين 50 إلى 60 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>غير معروفة</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>15 ألف قتيل</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة فارنا هي معركة وقعت في (28 رجب 848 هـ/ 10 نوفمبر 1444 م) بالقرب من مدينة فارنا البلغارية بين الدولة العثمانية بقيادة ماراد الثاني وبين حلف صليبي؛ حيث انتصر فيه المسلمون، وقتل فيه ملك المجر.

قبل المعركة

قضى ماراد الثاني عدة سنوات يُوجه ضربات موجعة لحركات التمرد في بلاد البلقان، ويقوم على توطيد أركان الحكم العثماني بها، وأخير ملوك الصرب «جورج بركوفتش» على دفع جزء من جنوده لمساعدة الدولة العثمانية وقت الحرب، ويُزْوَجه ابنه «مارا»، ويقطع علاقاته مع ملك المجر، كما نجح السلطان ماراد الثاني في فتح مدينة سلافيك البلغارية بعد أن حاصرها خمسة عشر يومًا.

كما اشتبك السلطان ماراد الثاني مع المجر بسبب ضروبها في تحريض الصرب على الثورة على الدولة العثمانية، فتحرك إليها في سنة (848 هـ/ 1444 م)، وأحدث بها خسائر فادحة، وعاد منها يسبعين ألف أسير على ما يقال.

وفي السنة التالية خرج جورج بركوفتش أمير الصرب على طاعة الدولة العثمانية، فخرج
السلطان مراد في قواته وحاصر مدينة بلجراد عاصمة الصرب لمدة سنة أشهر؛ لكنه لم ينجح في فتحها لبسالة المدافعين عنها، ثم انطلق إلى إيطاليا بالجيش وأغرق عليه، وكان من شأن ذلك أن أعلن البابا أوغستوس الرابع في سنة (843هـ/1439م) قيام حملة صليبية ضد الدولة العثمانية، وسرعان ما تكونت من وراء دعوة البابا حلف من المجر وبولونيا والصرب، وبلاد الأغالب (رومانيا)، وجنوب البندقية، وقاد هذا الحلف القدام الجمري (بوهنا هونادا)، وكان كاثوليكيًا متعصبًا; هدنه في الحياة إخراج العثمانين من البلقان ومن أوروبا.

وقد نجح هذا القائد المجري في إلحاق هزيمة ساحقة بالعثمانيين سنة (842هـ/1442م) بعد أن قتل منهم عشرين ألفًا، فيهم قائد الجيش، وألزم من نجا منهم بالتهجير إلى خلف نهر الدانوب، ولم يبلغ السلطان خبر هذه الهزيمة أرسل جيشًا من ثمانين ألف جندى تحت قيادة شهاب الدين باشا، للأخذ بالثأر، وإعادة الاعتبار للدولة العثمانية، لكنه لم يزيد هو الآخر من هوناد المجري في معركة هائلة بالقرب من بلجراد.

وثوابت الهزائم بالسلطان؛ هذا ما جعله يعقد معاهدة للصلح لمدة عشر سنوات مع المجر في (26 ربيع الأول 848هـ/13 يوليو 1444م) بمقتضىها تنزل السلطان عن مدن الصرب، واعترف بجورج برانكوفيتش أميرًا علىها، وتنازل عن الأقاليم للمجر، وبعد عودة السلطان إلى بلاده فجعل بموت ابنه «علا الدين» أكبر ولده، فحزن عليه وسمح الحياة فتنازل عن الحكم لابنه محمد، الذي عرف فيما بعد بمحمد الفاتح، وكان في الراية عشر من عمره، وتوجيه مراد الثاني إلى «مغنيسيا» في آسيا الصغرى ليقضي بقية حياته في عزلة وطمأنينة، وينفرغ للإبداع والتأمل.

المجر تنقص معاهدة الصلح

أنعش غلي السلطان مراد الثاني عن الحكم آمال الأوروبيين في الانقضاض على الدولة العثمانية، ولم يكن مثل السلطان الصغير محمد الثاني أهلاً لأن يتحمل أعباء مواجهة الحلف الصليبي؛ وبالتالي نقض ملك المجر المعاهدة بتحريض من مندوب البابا الذي أقنعه بأنه في جل من القسم الذي تعيد به، وكان ملك المجر قد أقسم بالإنجيل وأقسم مراد الثاني بالقرآن على عدم خلافته شروط معاهدة الصلح، ما دام على قيد الحياة.

وعلى أنقض المعاهدة قام حلف صليبي تكون من المجر وبولونيا وألمانيا وفرنسا...
أيام لا تنسى في العهد العثماني

والبندقية والدولة البيزنطية، وحشدوا جيشًا ضخمًا بقيادة يانوس هونياي والملك المجري لاديسلاس الثالث، والذي اختير قائدًا شرقيًا للجيش الصليبي.

مراد الثاني يعود إلى السلطنة

تحركت هذه الحشود الضخمة نحو الدولة العثمانية، ونزلت إلى ساحل البحر الأسود، واقتربت من فارنا البلغارية الواقعة على ساحل البحر، وفي الوقت الذي كانت تجري فيه هذه التحركات كان القلق والفزع يسيطر على كبار القادة في أدرنة عاصمة الدولة العثمانية، ولم يكن السلطان الصغير قادرًا على تبديد هذه المخاوف والسيطرة على الموقف، واتباع النصر من أعداء الدولة من أجل ذلك اجتمع مجلس شوري السلطنة في أدرنة، واتخذ قرارًا أبلغه إلى السلطان محمد الثاني؛ نصه: «لا يمكننا مقاومة العدو، إلا إذا اعتن والدك السلطان مكانك... أرسلوا إلى والدكم ليجاه العدو، وتمتعوا براحكم، تعود السلطنة إليكم بعد إكمال هذه المهمة».

وعلى الفور أرسل محمد الثاني في دعوة أبيه مراد الثاني الموجود في مغنيسيا، غير أن السلطان مراد أراد أن يبعث الثقة في نفس ولده، فبعث إليه قائلاً: «إن الدفاع عن دولته من واجبات السلطان». فرد عليه ابنه بالعبارات التالية: «إن كنا نحن السلطان فإننا ندرك: تعالوا على رأس جيشكم، وإن كنتم أنتم السلطان ففعلوا ودافعوا عن دولكم».

![دالة في إقليم الأناضول والقفقاز](https://example.com/image-url)
اللقاء المرتقب في فارتا

واستطاع مراد أن يتفق مع الأسطول الجنوبي لتنقل أربعين ألفًا من الجيش العثماني من آسيا إلى أوروبا تحت سمع الأسطول الصليبي وبحر في مقابل دينار لكل جندي.

وأسرع السلطان مراد في السير، فوصل فارتا في اليوم نفسه الذي وصل فيه الصليبيون، وفي اليوم التالي نشب معركة هائلة، وقد وضع السلطان مراد المعاهدة التي نقضها أعداؤه على رأس رمح؛ ليُشهد السماء على غدر العدو، وفي الوقت نفسه ليزيد من حمس جنده.

وبدأت المعركة بهجوم من هونياد قائد الجيش الصليبي على ميمنة الجيش العثماني وجناحه الأيسر، وترك السلطان مراد العدو يتوغل إلى عمق صفوف جيشه، ثم أُعطي أمره بالهجوم الكاسح، فنجحت قواته في تطويق العدو، وتمكن السلطان المسلم من قتل الملك المجري النصراني، فقد عاجله بضربة قوية من رحمه أستطع من على ظهر جواده، فأغر ضربة فجر معاهدته وجزأ رأسه، ورفوه على رمح مهللين مكبرين وفرحين، وصاح أحد المجاهدين في العدو: "أيها الكفار هذا رأس ملككم.

وكان ذلك المنظر أكثر شديد على جمعة النصارى، فاستحوز عليهم الفزع والدهر، فحمل عليهم المسلمون حلة قوية، بدأنت شملهم وهزموهم شر هزيمة، وولى النصارى مديرين يدفع بعضهم ببعض، ولم يطارد السلطان مراد عدوه ولا يكتفي بهذا الحد من النصر، وإن كان فجره عظمه. فهرب القائد العام هونياود وخفى وراءه حوالي 15 ألف جمعة مقاتليه في أرض المعركة، وتم هذا النصر في (28 رجب 844 هـ/ 10 نوفمبر 1444 م).

نتيجة المعركة

فرح المسلمين بهذا النصر، ولم يقتصر الاحتفال به على الدولة العثمانية وحدها، بل امتدّ إلى العالم الإسلامي، وقد أخرجت هذه المعركة بلاد المجر لعشر سنوات على الأقل من عداد الدول التي تستطيع النهوض بعمليات حرية هجومية ضد العثمانيين، كما كانت هذه المعركة مُقدمة مهمة مهدت لفتح القسطنطينية بعد تسع سنوات.
فَنْحُ القَطَسْطِنِيَّةِ

انظر المسلمون أكثر من ثمانية قرون حتى وُقعت البشارة النبوية ففتح القسطنطينية، وكان
حالياً غاليباً وأملًا عزيزاً راوذ القادة والفُتُوحُ، لم يُجب جذوعه من الأيام وكرُ السنين، وظلَ هدى
مشويًا يثير في النفوس رغبة عارمة في تحقيقه حتى يكون صاحب الفتح هو مخلّص النبي ﷺ في
 قوله: ﴿فَفَتَحَ الْقُطَسْطِنِيَّةَ فَلَيْيُمَّ الْأَمِيرَ أَمِيرَكُهَا، وَلِيُعْمَ جَهَنُّ ذَلِكَ الْجَيْشُ﴾ (1).

وضع القسطنطينية

نُعُضُ القسطنطينية من أهم المدن العالمية، وقد أسست في عام (330م) على يد الإمبراطور
البيزنطي قسطنطين الأول، وكان لها موقع عالمي فريد، حتى قبل عنها: ﴿لَوْ كَانَتُ الدِّينَا مَلِكَة
واحدة لكانَت القُطَسْطِنِيَّةَ أَصِلُّ الْمَدن لِتَكُونَ عَاصَمَةً لَهَا﴾.

وتحتل القسطنطينية موقعًا مIGHLIGHTًا، حيث الطبيعة بأبدع ما يحبه المدن الوعظية، تحتُها من
الشرق مياه البوسفور، وتحدها من الغرب والجنوب بحر مرمرة، ويمتد على طول كل منها
سور واحد، أما الجانب الغربي فهو الذي يُصل بالقارة الأوروبية، ومحمية سوران طولها أربعة
أميال، يمتد من شاطئ بحر مرمرة إلى شاطئ القرن الذهبي، ويبلغ ارتفاع السور الداخلي
منها نحو أربعين قدمًا مغطى بأبراج يبلغ ارتفاعها ستين قدمًا، وتبعد المسافة بين كل برج
واخر نحو مائة وثمانين قدمًا.

أما السور الخارجي فيبلغ ارتفاعه خمسة وعشرين قدمًا، ومحصن –أيضًا- بأبراج شبيهة
بأبراج السور الأول، وبين السورين فضاء يبلغ عرضها ما بين خمسين وستين قدمًا، وكانت
مياه القرن الذهبي -الذي يحمي ضلع المدينة الشرقي- يُغطى بسلسلة حديدية هائلة،
imتد طولها عند مدخله بين سور غليظة وسور القسطنطينية، وذكر المؤرخون العثمانيون أن
عدد المدافعين عن المدينة المحاصرة بلغ أربعين ألف مقاتل.

(1) رواه أحمد في سنده (1897ج)، والحناك في المندوك (830م)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه
الذهبي، والطبراني: المعجم الكبير (1217م)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجاء تفسّر. انظر: مجموع الرواية
ومعنى الفوندات 229.
إعداد جيش الفتح

أخذ السلطان أحمد الثاني، بعد وفاة والده، يستعد لتنفيذ فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القدس. حاول أن يتكون جميع أملائه متحللاً، لا يتخللها العدو المهاجم أو صديق منافق، فبذل في بداية الأمر جهودًا عظيمة في تقوية الجيش العثماني بالقوى البشرية، حتي وصل تعداده إلى قرابة بضع مليون جندي، وهذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول في تلك الفترة، كا عني عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة، التي تؤهلهم للغزو الكبير المتوقع، كما اعتنى الفاتح بإعدادهم إعدادًا معنويًا قويًا، وغرس روحاً للجهاد فيهم، وذكرهم بشيء ما بنيه محمد على الجيش الذي يفتح القدس، وعندما يكونهم لهم الجيش المقصود بالحديث النبوي: «فَتَخَطَّى القُسطنطِنِيَّةَ وَفَلَعِيَّمْ أَمْيَرًا وَفَلَعِيَّمْٓ الجَيْشٍ ذَلِكَ الجَيْشُ»، مما أعطاهم معرفة هذا الحديث قوة معنوية.

قلعة روملي حصار

أراد السلطان قبل أن يتعرض لإقلاع القسطنطينية أن يُصَدّ مضيق البوسفور، حتى لا يأتي لها مدد من ملكة طرابزون، وذلك بأن يُقيم قلعة على شاطئ المضيق في أقصى نقطة من الجانب الأوروبي منه مقابل القلعة التي أُنشِئَت في عهد السلطان بيزيد في البر الأسيوي، ولم يلبغ إمبراطور الروم هذا الخبر أكثر إلى السلطان سفيانًا يعرض عليه دفع الجزء التي يزورها، فرفض الفاتح طلبه.
أيام لا تنضس في العهد العثماني

واصرّ على البناء؛ لما يعلمه من الأهمية العسكرية لهذا الموقع، حتى اكتملت قلعة عالية ومحصنة، وصل ارتفاعها إلى 72 متراً، وأطلق عليها اسم "قلعة روملي حصار" وأصبحت القلعة من مقاتليهم، ولا يفصل بينهما سوى 60 متراً، تحكى تفاصيل في عبر البوسفور إلى غربه، وتعلم نيرو من مدافعهم بعض الأشياء من الوصل إلى القسطنطينية من المناطق التي تقع شرقاً، مثل مملكة طرابزون، وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة، كما يرغب السفاح رسمًا على كل عينة في مدى القتال العثماني المتصور في القلعة، وكان أن رفضت إحدى سفن البندقية أن تتدفق بعد أن أعطى العثمانيون لها عددًا من الإشارات، فتم إغراقها بطنية مدفعية واحدة فقط.

صناعة المدافع وبناء الأسطول

اعتقى السلطان عناية خاصة بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية ومن أهمها المدافع، التي أخذت اهتماماً خاصاً منها؛ حيث أحضر مهندسين مجريي يدعى "أربيان"، كان بارعاً في صناعة المدافع، فأحسن استقباله، ووفر له جميع الإمكانيات المالية والأخيرا، تمكّن هذا المهندس من تصميم وتصنيع العديد من المدافع الضخمة، كان على رأسها "المدفع السليماني" المشهور، والذي ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان، وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه، وقد أشرف السلطان نفسه على صناعة هذه المدافع وتجربتها.

ويضيف إلى هذا الاستعداد ما بذل الفاتح من عناية خاصة بالأسطول العثماني؛ حيث عمل على تقوية وتروده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلاً لقيام بدوره في الهجوم على القسطنطينية، تلك المدينة البحرية التي لا يمكن حصارها دون وجود قوة بحرية تقوم بهذه المهمة، وقد ذكر أن السفن التي أعدت هذا الأمر بلغت مئات وثمانين سفينة، وقال آخرون:

إنها بلغت أكثر من أربعة سفينة.

عقد معاهدات

عمل الفاتح قبل هجومه عل القسطنطينية على عقد معاهدات مع أعدائه المختلفين:

لتفوز بعد وجود واحد، فقد معاهدة مع إمارة غلطة المجاورة للقسطنطينية من الشرق، ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبي، كما عقد معاهدات مع جنوة والبندقية، وهما من الإمارات الأوربية المجاورة، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حتى بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية.
موقف الإمبراطور البيزنطي

في هذه الأثناء كان السلطان يعيد العدّة فتحه للفتح، استنادًا إلى الإمبراطور البيزنطي في محاولته لغائه عن هذته، بتقديم الأموال والهدايا المختلفة إليه، ومحاولة رشوة بعض مستشاريه ليؤثروا على قرائه، ولكن السلطان كان عازمًا على تنفيذ خططه، ولم تنته هذه الأمور عن هذته، ولا رأى الإمبراطور البيزنطي بشدة عزمه السلطان على تنفيذ هذته، عمد إلى طلب المساعدات من مختلف الدول والمدن الأوروبية وعلى رأسها يا زعيم المذهب الكاثوليكي، في الوقت الذي كانت فيه كنائس الدولة البيزنطية على رأسها القسطنطينية تابعة لكنيسة الأرثوذكسية، وكان بينهما عداء شديد، وقد انضطر الإمبراطور لمجالمة بالباي بأن يقرب إلى هذته، ويظهر له استعداداً للعمل على توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، في الوقت الذي لم يكن الأرثوذكس يرغبون في ذلك، قام بالباي بناءً على ذلك بإرسال مندوب منه إلى القسطنطينية، حيث خطب في كنيسة آيا صوفيا، ودعاه للبابا وأعلن توحيد الكنيستين؛ مما أغضب جمهور الأرثوذكس في المدينة، وجعلهم يقومون بحركة مضادة لهذا العمل الإمبراطوري الكاثوليكي المشترك، حتى قال بعض زعماء الأرثوذكس: «إنَّي أفضل أن أشاهد في ديار البيزنط عائشة الترك على أن أشاهدي القبعة اللاتينية».

التحرك إلى القسطنطينية

سعى السلطان في إيجاد سبب لفتح باب الحرب، ولم يثبت أن وجد هذا السبب يعدي الجنود العثمانيين على بعض قري الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم، فقتل البعض من الفريقين، عمل السلطان على تهديد الطريق بين أدرنة والقسطنطينية، لكني تكون صاحبة لجرّ الدافع العملية خلاصاً إلى القسطنطينية، وقد تحركت الدافع من أدرنة إلى قرب القسطنطينية في مدة شهرين، حيث تمت حمايتها من الجيش، كما وصلت الجيوش العثمانية يقودها الفاتح نفسه إلى مشارف القسطنطينية في يوم الخميس 26 ربيع الأول 1453هـ – 6 أبريل 1454م، فجمع الجنن، وكانوا قرابة ماتين وفي خمسين ألف جندي، أيربع مليون، فخطب فيهم خطبة قوية، حثُّهم فيها على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة، وذكرهم فيها بال الضحى وصدق القتال عند اللقاء، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التي تتح على ذلك، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التي
أيام لا تنسى في العهد العثماني

تُنْتَجْ بفتح القسطنطينية وفشل الجيش الفاتح لما وآمره، وما في فتحها من عزّ للإسلام والمسلمين، وقد بادر الجيش بالتهليل والتكرير والدعاء.

و بهذا ضرب السلطان الحصار على المدينة بجند من ناحية البحر، وبمغسله من ناحية البحر، وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية مدفوعة، ووضع بها المدافع الكبيرة التي صنعتها أوربان، والتي تقع إما كانت تذل كرات من الحجارة الكبيرة إلى مسافة ميل. وفي أثناء الحصار اكتشف قبر أبي أوبوصي الأنصاري، الذي استشهد حين حاصر القسطنطينية في سنة 962 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان الأموي.

المقاومة البيزنطية

وفي هذا الوقت كان البيزنطيون قد قاموا بسدّ مداخل ميناء القسطنطينية بسلسل حديدية غليظة، حالت بين السفن العثمانية والوصول إلى القرن الذهبي، بل ودمرت كل سفينة حاولت الدخول والاقتراب، إلا أن الأسطول العثماني نجح على الرغم من ذلك في الاستيلاء على جزير الأموات في بحر مرمرة.

استنجد الإمبراطور قسطنطين آخر ملوك الروم بأوروبا، فلبّى طلبه أهالي جنوة، وأرسلوا له إمدادات مكونة من خمس سفن، وكان يقودها القائد الجنوبي جوستينيان، يُوافقه سبعين مقاتل متطوع من دول أوربية متعدّدة، فأتي هذا القائد بمركبته، وأوراد الدخول إلى ميناء القسطنطينية، فاعتبرته السفن العثمانية، وثبتت بينها معركة هائلة في 11 ربيع الآخر 857 هـ/21 أبريل 1453 م، انتهت بفوز جوستينيان ودخول المدينة بعد أن رفع المحاصرون السلاسل الحديدية، ثم أعادوها بعد مرور السفن الأوروبية كما كانت، حاولت القوات البحرية العثمانية ضمان السلاسل الضخمة التي تحكم في مدخل القرن الذهبي والوصول بالسفن الإسلامية إليه، وأطلقوا سهامهم على السفن الأوروبية والبيزنطية، ولكنهم فشلوا في تحقيق مراهم في البداية، فارتفعت بهذا الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة.

نقل الأسطول عبر البحر واكتمال الحصار

أخذ السلطان يُكرّر في طريقه لدخول مراكبه إلى الميناء لإغاثة الحصار بريًا وبحرًا، فخطر بعليه فكرة غريبة، وهو أن ينقل المراكب على البحر، لييجنزا السلاسل الموضوعة لمعها، وتمّ هذه الأمر المستغرب بأن مُهَدّدت الأرض وسُوّيت في ساعات قليلة، وأُبِيَّ بآلواح من الخشب.
دهنت بالزیت والشم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة بسهولة ازيل السفن وجرها، وهذه الكمية أمكن نقل نحو سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذاهب على حين غفلة من البيزنطيين.

استيقظ أهل المدينة صباح يوم 22 أبريل وفوجؤوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعرق المائي، ولم يعذّب هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القدس وبين الجند العثمانيين، ولقد عبر أحد المؤخرين البيزنطيين عن عجبهم من هذا العمل، فقال: "ما رأينا ولا سمعنا من قبل بفعل هذا الشيء الحارق، محمد الفاتح يُحَول الأرض إلى بحر، وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج، لقد فاق محمد الثاني هذا العمل الإسكندر الأكبر". أيقن المحاصرين عند هذا أنه لا مناص من نشر العثمانيين عليهم، لكن لم تصد عزائهمهم بل ازدادوا إقدامًا واصفو على الدفاع عن مدينتهم حتى الممات، وفي 15 جامع الأول 855 هـ (24 مايو 1453 م)، أرسل السلطان محمد إلى الإمبراطور قسطنطين رسالة دعاه بها إلى تسليم المدينة دون إرافة دماء، وعرض عليه تأمین خروجه وعائلته وأوعاّته، وكلُّ من يرغب من سكان المدينة إلى حيث يشاءون بآمان، وأن تحقن دماء الناس في المدينة ولا يتعرضوا لأي أذى، وأعطائهم الخيار بالبقاء في المدينة أو الرحيل عنها، ولم تصل الرسالة إلى الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر، فعال بعضهم إلى التسليم وأصرَّ آخرون على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت، فعال الإمبراطور إلى رأي القاتلين بالقتال حتى آخر لحظة، فرَّ الإمبراطور رسول الفاتح برسالة قال فيها: "إنه يشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم وأنه يرضى أن يدفع له الجزية، أما القسطنطينية فإنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفس في حياته، فإنه أن يحفظ عرشه أو يدفع تحت أسوارها"، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال: "حسناً عن قريب سيكون في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر".

فتح القسطنطينية

وفي فجر يوم الثلاثاء (20 جامع الأول 857 هـ / 29 مايو 1453 م)، كان السلطان العثماني قد أعدَّ أهمتى الأخيرة، ووزعت قواته وحشد زهاء 100 ألف مقاتل أمام الباب الذهبي، وحشد في الميمنة 50 ألفًا، ورابط السلطان في القلب مع الخان الإكشاري، واحتضنت في الميناء 70 سفينة وبدأ الهجوم برأو بحرًا، واشتدت هيب البحرية والقوة المدفعية يشق دويًا عنان...
اليام لا تنسى في العهد العثماني

السيا وثير القفز في النفوذ، وتكريرات الجند تززج النكير المكان فيسمع صداها من أمال بعيدة، والمدافعون عن المدينة يذلون كل ما يمكن دفاعًا عن المدينة، وما هي إلا ساعة حتى امتلاً الخندق الكبير الذي يقع أمام السور الخارجي باللاف القتل.

وفي أثناء هذا الهجوم المحموم جرح جستينيان في ذراعه وفخذه، وسالت دماؤه بغزارة فانسحب للمعالج رغم تواصلات الإمبراطور له بالبقاء لشجاعته ومهارته الفائقة في الدفاع عن المدينة، وضاعف العثمانيون جهدهم، واندفعوا بسلامهم نحو الأسوار غرب ميالين بالمور، الذي يصددهم حسبًا، حتى وثب جماعة من الإنكشارية إلى أعلى السور، وتبهب المقاتلون وسهام العدو تنفذ إليهم، ولكن ذلك كان دون جدوى؛ فقد استطاع العثمانيون أن يددقوا نحو المدينة، ونجح الأسطول العثماني في رفع السلاسل الحديدية، التي وضعت في مدخل الحاجة، وتدفق العثمانيون إلى المدينة التي ساءها الدمار، وفر المدافعون عنها من كل ناحية، وما هي إلا ثلاث ساعات من بدء الهجوم حتى كانت المدينة المعتدية تحت أقدام الفائزين، ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر، ووجد الجنود مشتغلة بالسلب والنهب وغيره.
أيام لا تنسي... صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

فأصدر أمره بمنع كل اعتداء، فساد الأمن حالًا.

محمد الفاتح في المدينة

لما دخل محمد الفاتح المدينة ظاهرًا ترجُل عن فرسه، وسجد لله شكرًا على هذا الظفر والنجاح، ثم توجه إلى كنيسة آيا صوفيا؛ حيث احتشاد فيها الشعب البيزنطي ورهبانه، وعندما اقترب من أبوابها، خاف المسلمون داخلها خوفًا عظيمًا، وقام أحد الرهبان يفتح أبوابه، فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم، والعودة إلى بيوتهم بأمان، فأطمأن الناس، وكان بعض الرهبان خشيتين في سراديب الكنيسة، فلم رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بأن يؤمن في الكنيسة بالصلاة إعلانًا بجلبها مسجدًا، وقد أعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية، واختيار رؤسائهم الدينين الذين لهم حق الحكم في النظر بالقضايا الدينية، كما أعطى هذا الحق لجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى، ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع، ثم قام بجمع رجال الدين المسيحيين، ليختبروا بشرىً لهم، فاختاروا "جورجيوس كوريسيوس سكولاريوس"، وأعطاه نصف الكنائس الموجودة في المدينة، أما النصف الآخر فجعله جوامع للمسلمين، وبتيم فتح المدينة، نقل السلطان محمد مركز العاصمة إليها، وسُمِيت "إسلامبول"، أي: "فتح الإسلام" أو "مدينة الإسلام"، وسميّ السلطان محمد بعد هذا الفتح بالسلطان محمد الفاتح.

***
معركة موهاكاس

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
<th>النتيجة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>موهاج، بارانيا - جنوب بودابست - المجر</td>
<td>الخلافة العثمانية (مسلمون)</td>
<td>المحاربون</td>
</tr>
<tr>
<td>الملك فيلاد يسلاف الثاني جاجليو</td>
<td>سلبيان القانوني</td>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td>ألف مقاتل</td>
<td>ألف مقاتل</td>
<td>القوى والحدود</td>
</tr>
<tr>
<td>200 ألف مقاتل</td>
<td>100 ألف مقاتل</td>
<td>الخسائر</td>
</tr>
<tr>
<td>غرق معظم الجنود في مستنقعات وادي موهاكاس</td>
<td>150 شهيدًا، ويعة آلاف من الجرحى</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

هي معركة وقعت سنة (932 هـ/1526 م) بين الخلافة العثمانية بقيادة سلبيان القانوني، وبين مملكة المجر بقيادة فيلاد يسلاف الثاني جاجليو، وانتصر فيها المسلمون بانتصارًا ساحقًا مع أنهم أضاقت المجر إلى الدولة العثمانية.

أسباب المعركة

كان ملك المجر فيلاد يسلاف الثاني جاجليو قد عزم على نقض أي عهود كانت قد أعطت من قبل أسلحته لسلطات الدولة العثمانية، وذهب إلى حدّ قتل مبعوث السلطان سلبيان إليه، وكان المبعوث يطالب بالجزية السنوية المفروضة على المجر، وهذا ردى سلبيان بغزوة كبيرة ضد المجر.

التحرك للمعركة

سار السلطان سلبيان من إستنبول في (23 رجب 932 هـ/23 أبريل 1526م) على رأس جيشه، الذي كان متوفرًا من نحو مائة ألف جندي، وثلاثمائة مدفع وثمانية سفينة، حتى بلغ بلجراد، ثم تمكن من عبور نهر الطونة بسهولة ويسر؛ بفضل الجسور الكبيرة التي تمّ
تشييدها، وبعد أن افتتح الجيش العثماني عدة قلاع حرية على نهر الطونة وصل إلى "وادي موهاماكس" بعد 128 يومًا من خروج الحملة، قاطعًا ألف كيلو متر من السير، وهذا الوادي يقع الآن جنوب بلاد المجر على مسافة 185 كم شرق غرب بلجراد، و170 كم جنوب بودابست، وكان في انتظاره الجيش المجري البالغ نحو مائتي ألف جندي، من بينهم 138 ألفًا من الوحدات المساعدة التي جاءت من ألمانيا، ويقود هذه الجموع الجرارة الملك "فيلاس يسلاف الثاني جاجليو".

القاء المرتقب

وفي صباح يوم اللقاء 21 ذي القعدة 932 هـ (29 أغسطس 1526 م) دخل السلطان سليمان بين صفوف الجند بعد صلاة الفجر، وخطب فيهم خطبة حماسية مليئة، وحثهم على الصبر والثبات، ثم دخل بين صفوف نبلاء الصلاعقة، وألقى فيهم كلمة حماسية استشهدتهم، وشجعت العزائم، وكانما قاله لهم: "إن روح رسول الله ﷺ تنظر إليكم". فلم يتزال الجند سامعهم التي انهرت تأثرًا بما قاله السلطان.

وفي وقت العصر هجم المجريون على الجيش العثماني، الذي اصططف على ثلاثة صفوف، وكان السلطان ومعه مدافعه الجبارة وجنده من الإكشاريين في الصف الثالث، فها هجم فرسان المجر وكانوا مشهورين بالبسالة والإقدام، أمر السلطان صفوفه الأولي بالتفهير حتى يدفع المجريون إلى الداخل، حتى إذا وصلوا قريبًا من المدافع، أمر السلطان بإطلاق نيرانه عليهم، فاحترقهم حرصًا، واستمرت الحرب ساعة ونصف الساعة في نهايتها أصبح الجيش المجري في ذمة التاريخ، بعد أن غرق معظم جندوه في مستنقعات وادي موهاماكس، ومعهم الملك فيلاس يسلاف الثاني جاجليو وسبعة من الأساقي، وجميع القادة الكبار، ووقع في الأسر خمسة عشرون ألفًا، في حين كانت خسائر العثمانيين مائة وخمسين شهيدًا، و-bsعة آلاف من الجرحى.

نتائج المعركة

كانت معركة موهاماكس من المعارك النادرة في التاريخ، حيث هزم أحد أطرافها على هذا النحو من مصادفة واحدة، وفي وقت قليل لا يتجاوز ساعتين، وترتب عليها ضياع استقلال المجر بعد ضياع جيشها على هذه الصورة في هزيمة مروعة، وبعد اللقاء ببومين في 23 ذي
القعدة 932 هـ/ 31 أغسطس 1526 م) قام الجيش العثماني بعمل استعراض أمام السلطان سليمان، وقام بأداء التحية له وتهنئته، وقام القادة ببداء من الصادر الأعظم بتقبيل يد السلطان.

ثم تحرك الجيش نحو الشرق بمحاذاة ساحل الطونة الغربي، حتى بلغ بوتاسب عاصمة المجر، فدخلها في 9 ذي الحجة 932 هـ/ 10 سبتمبر 1526 م)، وشاءت الأقدار أن يستقبل في هذه المدينة تهاني عبد الأضداد في سراي الملك، وكان قد احتفل بعيد الفطر في بلجراد في أثناء حملته الظافرة.

مكث السلطان في المدينة ثلاثة عشر يومًا يتظَّم شنوهاً، وعيَّن جان بابتي أمير ترانسلفانيا ملكًا على المجر، التي أصبحت تابعة للدولة العثمانية، وعاد السلطان إلى عاصمة بلاده، بعد أن دخلت المجر في سلطان الدولة العثمانية.

** **
معركة ليبانتو

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>المكان</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>هـ 979 / 1571 م</td>
<td>خليج كورنت بالقرب من بانطاس بالبحر الأدرياتيكي</td>
</tr>
</tbody>
</table>

انتصار التحالف الصليبي

<table>
<thead>
<tr>
<th>المتجاوزين</th>
<th>المتصدون</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>تحالف أوربي صليبي (مسيحيون)</td>
<td>نصارię العثمانية (مسلمون)</td>
</tr>
<tr>
<td>دون حون النمساوي</td>
<td>علي باشا</td>
</tr>
</tbody>
</table>

القادة

<table>
<thead>
<tr>
<th>القوة والتحشيد</th>
<th>الخسائر</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>حوالي 400 سفينة</td>
<td>حوالي 160 ألف شهيد وأسير، و24 سفينة بين غارقة ونجاة، وأسر الصليبيون 60 سفينة عثمانية</td>
</tr>
<tr>
<td>وأصيبت غالبية السفن المسيحية</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة ليبانتو هي معركة بحرية وقعت في (باجادا الأولي 979 هـ / أكتوبر 1571 م) بين العثمانيين وبين التحالف الأوروبي، وقد انتهت بهزيمة العثمانيين، وقد كانت هذه الهزيمة بداية عصر الضعف للدولة العثمانية.

ما قبل المعركة

كانت الدولة العثمانية عند وفاة السلطان سليم القانوني قد بلغت أقصى اتساعها، وخاضت الحروب في ميادين الشرق والغرب، وحققت لها هيبة كبيرة في العالم، وبقدر هذه الهيبة الكبيرة كان لها أعداؤها الأقوياء الذين يتظرون أي بادرة ضعف حتى ينالوا منها.

وعندما جلس سليم الثاني على العرش خلفًا لوالده سليم القانوني في (974 هـ / 1566 م)، ظهر بعض التمرد في الدولة؛ فقامت حركة تمرد في اليمن سنة 975 هـ (1567 م) استطاعت حضر العثمانيين في الشريط الساحلي، ولم يستطيع العثمانيون إعادة سيطرتهم على اليمن إلا بعد عامين.

وظهرت في تلك الفترة في أروقة الدولة العثمانية كثير من المشاريع الكبيرة، التي
استهلقت الكثير من الوقت من الدولة، دون أن توضع موضع التنفيذ، أو ربما تعرّضت للغشائش؛ حيث فكرت الدولة في فتح قناة السويس بين البحر الأبيض والبحر الأحمر، لإعادة حركة التجارة العالمية من رأس الرجاء الصالح، الذي سيطرت عليه البريطاني، إلى طريق التجارة القديم عبر ولاية مصر.

كما شرعت الدولة سنة (1277 هـ/ 1959 م) في فتح قناة بين نهر الدون والفولجا، وتأمّن المرور بين البحر الأسود وبحر الخزر؛ حيث إن هذه القناة ستربط تركيا بمنطقة تركستان، وتحول دون تهديد الروس والإيرانيين لتركستان؛ لذا قامت الدولة العثمانية بحملة عسكرية على إمارة أستراخان، لكن فتح هذه القناة المهمة لم يؤتّم مثمرًا، نظرًا لأوزار مصالح حكام الأقاليم تعارض مع شرق مملكة هذه القناة، وأبدى ذلك خان القرم بقوله: "عندما تبدأ أجندة العثمانية القائمة إلى الأراضي السيبجية وشروان (منطقة أوكرياندا وشيال أذربيجان حالية) فسوف لا تبقى هناك قيمة للمر، ويفضّل أن تذهب القرم (أوكرياندا) من أبداً.

كان العثمانيون رغم المشاريع الكبيرة التي أعلنوا عنها في تلك الفترة يُقرّرون اهتمامهم على فتح جزيرة قبرص، التي كانت عقبة كبيرة في طريق التجارة المتزعم بين مصر وإستانبول، والتي يسيطر عليها البنادقة، وبارسون ممن خلقها بعض أعمال القرصنة البحرية، لذا شرع العثمانيون في فتحها، رغم إدراكهم أن فتح هذه الجزيرة سوف يؤدي إلى قيام تحالف مسيحي قوي ضدهم.

التحالف المسيحي

كانت قبرص مثلاً أهميّة خاصة للعالم المسيحي في صراعه مع الدولة العثمانية، وعندما علمت أوروبا بأنّ العثمانيين تجهز قبرص؛ تحرك البيروسي بوس الخامس وعقد معاهدة اتفاق ضد الدولة العثمانية في (غربي المحرم 979 هـ /25 مايو 1571 م) مع ملك إسبانيا والبندقية وبعض الدوليات المسيحية، وكان هذا الاتفاق المسيحي هو الاتفاق الثلاثة عشر الذي تعقد أوربا ضد الدولة العثمانية منذ تأسيسها.

ومن الكتاب الذي أرسله البيروسي بوس إلى ملك إسبانيا على: "أنه لا يوجد في العالم المسيحي أي دولة مسيحية يمكنها أن تتفق بمفردها في مواجهة الدولة العثمانية؛ ولذا فالواجب على كافة الدول المسيحية أن تتحّاج لكسر الغزوة التركي". وهكذا بدأ يتشكل الائتلاف المسيحي لحرب الدولة العثمانية.
استطاعت أجهزة المخابرات العثمانية في البندقية وروما أن ترصد هذا الاتفاق، وهو في طور التكوين، وأبلغت به إسطنبول، وتحرك الأسطول العثماني للبحث عن الأسطول الصليبي وإبادته، وتحرك الوزير العثماني برتو باشا قائد الأسطول لتنفيذ تلك المهمة.

كان التحالف المسيحي القوي الذي تغذيه مشاعر الكراهية للدولة العثمانية يتمتع بأسطول على قدر كبير من القوة والخبرة في القتال البحري والكثافة في عدد السفن، ووجود عدد من كبار قادة البحر، فكان الأسطول الصليبي يضم 295 سفينة، و30 ألف جندي، و16 ألف جند، و208 سفينة حربية، وكان القائد العام للأسطول هو دون جون، وهو ابن غير شرعي للإمبراطور الإسباني كارلوس الثاني، وهو من كبار قادة البحر.

أما الأسطول العثماني في البحر المتوسط والبالغ حوالي 400 سفينة; فقد توزَّعت سفنه عند حلول فصل الخريف على عدد من القراع، وبقيت حوالي 184 سفينة تحت قيادة برتو.
アイザム・ラ・クスーシフ・アシャルフ

ياشي، ومكان ياشي، وذهب هذه السفن إلى ميناء "إينيختي" أو ليونان، وقد كان ميناء عثاني في اليونان على خليج باترس - كورنثوس.

وعندما قرر القادة جميع السفن التي يقودها بيرتو ياشي، بدأ الضباب في السرب لقضاء الستاء، بعدما رأوا السفن العثمانية ألقن ملاحيها في "إينيختي"؛ ظنًّا منهم أنه لن يوجد قتال في هذا الموسم، ولم تظهر من بيرتو أو مهذن قدرة على ضبط الأسطول، إضافة إلى أنه كان يوجد عدد من السفن في حاجة إلى إصلاح، كا أن عدالة الأسطول العثماني كانوا من المسلمين.

وكانت النقاط المهمة في الأمر أن القائدين بيرتو ياشي ومؤذن علي ياشي لم يكونوا من القادة البحريين، ولكنهم من قادة الجيش البري، وتوليا مهمة قيادة الأسطول منذ فترة وجيزة، وكان يوجد بعض القادة البحريين في الأسطول العثماني؛ مثل: حسن باشا الذي يبلغ من العمر 71 عامًا، وأولوياً باشا ويلغ من العمر 64 عامًا، لكن لم ينكليها السيطرة على القرار.

النقطة القادمة

عندما اقترب الأسطول الصليبي من ميناء إينيختي، الذي يرسو فيه الأسطول العثماني، اجتمع بيرتو ياشي مع كبار قادة البحر لبحث الموت، وانتقش هذا الاجتماع دون أن يتواصل القادة إلى خطة لمواجهة المعركة القادمة، التي لا يفصل بينها وبينهم إلا وقت قصير.

وكان دائماً القادة البحريين في الأسطول هو عدم الدخول في هذه المعركة غير المكافئة، إلا بعد أن تقصف مدافع القلاع العثمانية سفن العدو وتلفها، وهو ما يعطي فرص كبيرة لسفن الأسطول العثماني لتبعد ومطاردة الأسطول الصليبي، أو بمعنى آخر إنها الأسطول الصليبي قبل بدء المعركة، ثم الانقضاض عليه بعد ذلك، ولكن بيرتو ياشي ومؤذن باشا أعلنا أنها تسري أمراً بالهجوم على الأسطول الصليبي.

ولما رأى قادة البحر في الأسطول العثماني ذلك نحوهما بأن يخرجوا إلى القتال في البحر المتوسطة؛ لأن ذلك يعطي الفرصة لسفن العثمانية بأن تقوم بال Każdy وأثنان تستخدم مدفعيتها
القوى بكفاءة عالية ضد الأسطول الصليبي.

إلا أن برتو وغيره من القادة لم يستمعوا إلى هذه النصائح من أهل الخبرة في القتال البحري، وأعلن أنه سيقاتل بالقرب من الساحل، وقال: "أي كلب هو ذلك الكافر حتى نخافه؟" ثم قال: "إني لا أخشى على منصبي ولا على راسي، إن الأوامر الوردة تشير بالموج، لا ضير من نقص حصة أو عضلة شائعات من كل سفينة، ألا توجد غيرها على الإسلام؟ ألا يُصاب شرف البادية؟!

وكانت هذه النقطة تُعبر عن الجهل بالحقائق، ولا تعبير عن شجاعة أو حاسة دينية؛ إذ إنه من غير المعقول أن تُبادر حرب بحرية على الساحل؛ ومن ثم فقد كانت النتيجة في تلك المعركة محسوبة لصالح الأسطول الصليبي قبل أن تبدأ.

المعركة

كانت معركة ليتاليو في 17 جمادى الأول 969 هـ (7 أكتوبر 1561 م)، وهي تُعدُّ من أكبر الحروب البحرية في التاريخ في ذلك الوقت، واتسمت بالدموع والعنف الشديد، فاستشهد قائد القوة البحرية مؤذن علي باشا وابنه مع بداية المعركة كأسر ابنه الثاني، وغرقت سفينة القيادة الخاصة بالأسطول العثماني التي فيها برتو باشا، وتمّ سحبها إلى الشاطئ بنضجات كبيرة.

أما القائد البحري العثماني أوروج الذي كان يقود الجناح الأيمن، فإنَّه لم يخشى أيًا من سفينه البالغة 42 سفينة، واستطاع أن يقف على الأسطول الماطي بالكامل، الذي يتكون من ست سفن واقتحمت رايتة، وعندما رأى أن الهزيمة تقع بالأسطول العثماني، وأن تنحيله إنقاذ هو انتصار مؤكد، رأى أن من الحكمة الابتعاد عن الميدان حفاظًا على بقية الأسطول، والاستعداد لمواجهة قادمة.

كانت الخسائر في تلك المعركة ضخمة للغاية لكلا الطرفين؛ فقد خسر العثمانيون 142 سفينة بين غارقة ونجاها، وأسر الصليبيون 20 سفينة عثمانية، واستولوا كذلك على مدفوع كبير، و256 مدفعًا صغيرًا، كما تمّ خليص 30 ألف جند مسيحي كانوا في الأسر، وسقط من العثمانيين حوالي 20 ألف قتيل وأسير، من بينهم 346 أسيراً، ومن بين الأسرى 3 برتق لواء بحري، وحاصر الصليبيون رابع مؤذن باشا الحريري المطزرة بالذهب، وقد أعادها بابا روما إلى تركيا سنة (1385هـ/1965 م) كتعبير عن الصداقة بين الجانبين.
أيام لا تنسي في العهد العثماني

وخلد من الصليبيين حوالي 8 آلاف وسقط 20 ألف جريح، وأصيبت غالبية السفن المسبحة، وكان من بين الأسرى المسلمين «سيروفانتوس»، الذي فقد ذراعه الأيسر، وعاش أسيرًا في الجزائر وألف روائح المشهورة «دون كيشوت».

والواقع أن خسائر العثمانيين المعنية كانت أشد فداحة من خسائرهم المادية؛ حيث كانت تلك المعركة الكبيرة ذات مروحة سلبي في علاقة الدولة العثمانية بالأوروبيين، فزال من نفوذ الأوروبيين أن الدولة العثمانية دولة لا تقه، وهو ما شجع التحالفات الأوربية ضدها.

بعد ذلك، وظهرت المراهنات على هزيمتها.

ورغم هذا الانتشار الباهز للأوروبيين في معركة ليسباتو البحرية، فإن الأوروبيون لم يستطيعوا استغلال هذا الانتشار الكبير من الناحية الإستراتيجية، فقد استطاع العثمانيون بعد أقل من عام واحد على هذه الهزيمة بناء أسطول جديد كان أكثر قوة وعددًا من الأسطول الذي تعمّض في تلك المعركة، وهو ما أثبت أن الدولة العثمانية ما زالت تحتفظ بالقوة، وأنها تستطيع في الوقت الفاصل تعويض الفاقد من قوتها وخسائرها؛ نظرًا لما تتمتع به الدولة من موارد وطاقات ضخمة.

هزيمة وعزم

وهذه المفارقة أنه بينها كانت البندقية وغيرها من الدول التي شاركت في ليسباتو يشيرون كنورس الانتشار، وينحنون النكب تخلصًا لذل الانتشار الكبير، كان العثمانيون يعملون على قدم وساق في بناء أسطولهم الجديد؛ حتى إن السلطان العثماني نفسه خصص جزءًا من حديثه الخاصة لإنشاء مصنع لبناء 8 سفن جديدة، واستطاع العثمانيون خلال الشتاء الذي أعقب ليسباتو أن يشيروا ما يقرب من 153 سفينة حربية.

ولم ينس لليسباتو تقوية الروح المعنية لشعبهم، وندكنهم بأن خسارة معركة لا تعني بحال من الأحوال خسارة الصراع؛ لذا قام أولوج علي باشا القائد البحري بالدخول إلى إسطنبول بعد الهزيمة بحولي شهرين في أسطول كبير مكون من 87 سفينة، وتمت ترقيته إلى قائد القوات البحرية.

ولم يلبث أولوج علي باشا أن غادر إسطنبول مع 245 سفينة في (صفر 980هـ / يونيو 1572 م) للدفاع عن قبرص، بعدما علم أن الأسطول الصليبي يسعى لاستيلاء عليها.
عندما رأى دون جون الأسطول العثمانى متجهًا نحوه، أدرك أنه ليس في استطاعته مقاتلته بعدها تمكن العثمانيون من تعويض خسائرهم، أما البابا بيوس الخامس فكتب إلى الشاه الصفوي وإلى إمام اليمن يطلب منهما التحالف معه لقنال الدولة العثمانية.

ولم تستّ.ss الدولة العثمانية القصاص هزيمتها في ليبيا؛ فقد قعت معاهدة مع البنديقة في مارس 1573م نصت على سبعة بنود؛ منها: أن تستدّد البنديقة إلى الدولة العثمانية 300 ألف ليرة ذهبية كغرامة حرب، وأن تعترف بالسيادة العثمانية على قبرص، وبعد أقل من عام قامت 260 سفينة عثمانية بتدمير سواحل إيطاليا الجنوبية.

***
معركة وادي المخازن

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1578 هـ / 986 م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>القصر الكبير - وادي المخازن - المغرب</td>
</tr>
<tr>
<td>انتصار المسلمين</td>
<td>المنتحبون</td>
</tr>
<tr>
<td>الملحبوانيون</td>
<td>معركة السعدية في المغرب والغنايون</td>
</tr>
<tr>
<td>السلطان عبد الملك</td>
<td>المقتلى والفساد</td>
</tr>
<tr>
<td>الملك مصطفى والملك محمد المتوكل</td>
<td>قتلى وأسر معظم الجيش</td>
</tr>
<tr>
<td>من 80 إلى 125 ألف مقاتل</td>
<td>40 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة وادي المخازن أو معركة الملوك الثلاثة; هي معركة قامت بين المغرب والبرتغال في 30 جمادى الآخرة 986 هـ / 4 أغسطس 1578 م. كان دافع البرتغاليين لحوض هذه المعركة هو احتلال شواطئ شمال إفريقيا، وسحب السفن والطوارئ من تحت أقدام الإسلام في تلك المناطق، وإدخالها إلى ح妁رة المسيحيين، وإحكام السيطرة على طرق التجارة، خاصة مدخل البحر المتوسط من خلال السيطرة على مضيق جبل طارق، مما أنعم في ذلك استهتام تحرير حروب الاسترداد التي خاضتها إسبانيا ضد الوجود الإسلامي بها. وكي لا تعيد الدولة المغربية معاونة المحتلين الكثرة على الأندلس، وكانت نتيجة هذه المعركة أن انتصر المغرب، وفقدت البرتغال في هذه المعركة ملكها وجيشها، والعديد من رجال دولتها.

سبب المعركة

تبقي سلطتان على عروش إمبراطورية البرتغال عام 1578 م. وكان يعتزم نفوذ البرتغال وقتها على سواحل إفريقية وأطلسية وأمريكية، فانطل إلى استخلاص شواطئ إفريقيا من يد المسلمين، فاتصل بخاله ملك إسبانيا فيليب الثاني; بدعوته للمشاركة بحملة صليبية جديدة.
أيام لا ننسى: صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

على المغرب العربي: كي لا تُعبد الدولة السعدية بمعاونة العثمانين الكريمة على الأندلس.

أما حكام المغرب الأشراف السعديون فهم من نسل محمد بن الفضل الزكية من آل البيت النبوي، فبعد دولة المرابطين قامت دولة الموحدين ثم دولة بني مرين ثم دولة وطاس، ثم قامت دولة الأشراف السعديين، وكان قيامها عام (923 هـ/1517 م) على أساس مغادرة البرتغاليين، واستطاعت هذه الأسرة أن تُحرر الكثير من شواطئ المغرب المطلة على المحيط الأطلسي، والتي احتلها الإسبان في عدة حلقات؛ حيث استطاعت دخول مراكش عام (931 هـ/1525 م) ثم فاس في عام (971 هـ/1564 م)، وكان ذلك بداية قيام تلك الدولة التي استمرت حتى عام (1011 هـ/1603 م).

وأيضاً توفي عبد الله الغالب السعدي حاكم الدولة السعدية تولى من بعده ابنه محمد المتوكل الحكم سنة (981 هـ/1574 م)، وقد عُرف عنه القسوة وابتان المجرات، فانقلب عليه عمه عبد الملك وأحمد، واستنجدوا بالعثمانيين الذين كانوا موجودين بالجزائر، فقُلِّدَ لها العثمانيون المساعدات، واستطاعت الانصياع على المتوكل في معركتين عام (983 هـ/1576 م) واستطاع عبد الملك أن يدخل فاس عاصمة الدولة السعدية وأن يأخذ البيعة لنفسه، وأن يشرع في تأسيس جيش قوي ضم العرب والبربر وعناصر تركية وأندلسية.

وأما خسارة المتوكل أمام معابي عبد الملك وأحمد إلى أن يرضى بالأمر الواقع، فرحل إلى الشواطئ البرتغالية، واستنجد بالمملك البرتغالي دون سبتيسان؛ لساعده في استرداد ملكه، مقابل أن يمنحه الشواطئ المغربية على المحيط الأطلسي.

التحالف الصليبي

أراد الملك البرتغال الشاب عمماً وصم به عرش البرتغال خلال فترة حكم أبيه من الضعف والتخاذل، فأراد أن يعلي شأنه بين ملوك أوروبا، فتجهت الغرفة باستناده المتوكل به على عمه وبني جدته، مقابل أن ينزل له عن جميع شواطئ المغرب.

استعان سبتيسان بخاله ملك إسبانيا، فوعده أن يبدأ بالمراكب والعناصر ما يملك به مدينة العراقي؛ لأنه يعتقد أنها تعدل سائر ممالك الغرب، ثم أُنْهِي بعشرين ألفًا من عسكر الإسبان، وكان سبتيسان قد عانى معه اثني عشر ألفًا من البرتغال، فأرسل إليه الطبالين ثلاثمائة عائلة، ومثلها من الآل، وأرسل غيرهم عددًا كثيرًا، وبعث إليه البابا بأربعة آلاف أخرى.
وتألف وخيام من الخيل، واثني عشر مدفعاً، وجمع مسستياس نحو ألف مركب؛ لحمول هذه الجمعية إلى العدوة المغربية، وقد حذرملك إسبانيا ابن أخيه عاقبة التوغل في أرض المغرب، ولكنه لم يلتقي لذلك.

وإبانة استمتعت المخابرات العثمانية في الجزائر أن ترصد هذه الاتصالات بين المتوكل والبرتغاليين، وبعث حسن باشا أمير أمراء الجزائر رسالة مهمة إلى السلطان العثماني بهذا الشأن، وكان العثمانيون في إستانبول على دربها بها في أوروبا، فقد كانت لديهما معلومات عن الاتصالات بينها بابا روما ودول فرنسا منذ عدة أشهر، وبدف جمع جند وإعداد سفن وتحميها بمقاتلين لمساعدة البرتغال في غزوها للشاطئ المغربي، ورصدت المخابرات العثمانية الاتصالات بين ملك البرتغال مسستياس وخلافه ملك إسبانيا فيليب الثاني، ولكنها لم تستطع أن تثق على حقيقة الاتفاق الذي جرى بينهما، لكن المعلومات التي تجدتها أكرحت أن ملك إسبانيا جمع حوالي عشرة آلاف جندي؛ لمساعدة البرتغال في تأديبه ملك فاس عبد الملك السعدي.

أما الدولة السعودية فقد استمتعت صنعاً أن تلقي القبض على صفارة كان قد أرسلها المتوكل إلى البرتغال تطلبهم بالتدخل لمساعده في استرداد ملكه، مقابل منحهم الشواعر العربية للمغرب على الحضور الأطلسي، لذا بدأ السعديون يأخذون أهبة الحرب القادمة من حيث الاستعدادات الحربية وحشد الجنود، والاتصال بالعثمانيين الموجودين في الجزائر للحصول على دعمهم في الحرب القادمة ضد البرتغاليين والإسبان.

مسيرة الجيشين إلى وادي المخازن

الجيش البرتغالي: أبحرت السفن الصليبية من ميناء لشبونة باتجاه المغرب يوم 24 (يونيو 587 هـ)، وأقامت في لاكوس بضعة أيام، ثم توجهت إلى قادس، وأقامت أسبوعاً كاملاً، ثم رست بطنجة، وفيها قب مسستياس حليفه المتوكل، ثم تابعت السفن سيرها إلى أصيلة، وأقام مسستياس بطنجة يوماً واحداً، ثم غادر بجيشه.

الجيش المغربي: كانت الصرخة في كل أنحاء المغرب: "أن أصدوا وادي المخازن للجهاد في سبيل الله". فجمعت الجمعية الشعبية واشتبكت للنصر أو الشهادة، وكتب عبد الملك من مراكش إلى مسستياس: "إن سلطتك قد ظهرت في خروجك من أرضك، وجوازك العدوة، فإن تثبت إلى أن نقدم عليك، فأن نصرنا حقنا شجاعة، وإلا فأن كلب بن
أيام لا تنسى. صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

كلب» فلياً بلغه الكتاب غضب، واستشار أصحابه فأشاروا عليه أن يتقَّد، ويملك تطاوين والعرايق والقصر، ويجمع ما فيها من العدة، ويتنقي بها ما من الذخائر، ولكن سبستيان ترى رغم إشارة رجاء، وكتب عبد الملك إلى أخيه أحمد أن يخرج بجند فاس وما حولها ويثبت للفقات، وهكذا سار أهل مراكش وجنوب المغرب بقيادة عبد الملك، وسار أخوه أحمد بأهل فاس وما حولها، وكان اللقاء قرب مملكة القصر الكبير.

قوى الطرفين

الجيش البرتغالي: 125 ألف مقاتل، وما يلزمهم من المعدات، وأقل ما قبل في عددهم ثمانون ألفاً، وكان منهم 20 ألف إسباني، 3 آلاف إيطالي، 7 آلاف إفريقياً، مع ألفين ألف الحيل، وأكثر من أربعمائة مدفع، بقيادة الملك الشاب سبستيان، وكان معهم الموكول بشرذمة تتراوح ما بين 3 إلى 6 آلاف على الأقل.

الجيش المغربي: بقيادة عبد الملك المعتصم بالله، المغاربة المسلمون 40 ألف مقاتل، يملكون ثروة في الحيل، مدافعون أربعة وثلاثون مدفعاً فقط، لكن معنوياتهم عالية، لأنهم غلبتهم الاعتقادات من قبل، ومزجوا منهم شعوراً، وهم يعلمون أن نتيجة المعركة توقف عليها مصر بلادهم، ولأن القوى الشعبية كانت موجودة في المعركة، وكان لها أثرها في شحذ الهمم ورفع المعنويات، وتمثلوا في الشيوخ والعلياء.

قبل المعركة

ظنَّ البرتغاليون أنهم ذاهبون إلى نزوة على الشواطئ المغربية، حيث أخذوا الأمر باستخفاف شديد، فسكتاً وثقتاً من اعتبارهم السهل، حتى إن الصوب أنottie تعليقها على المساجد المغربية الكبيرة في فاس ومراكش، بل وضعوا تصميمات لتحويل قبالة جامع القرنين الشاهري إلى مذبح كنسي، وكانت بعض النساء البرتغاليات من الطبقة الراشدة يرغبون في مصادرة الجيش لمشاهدة المعركة، وكان بعض البرتغاليين يرتدون ثياب المزركشة الباهرة وكانون سبيحون سباقاً أو مهرجاناً.

أبحرت السفن البرتغالية والإسبانية من ميناء ليشونة في 19 ربيع الآخر 986هـ/ 24 يونيو 1586م، ورسخت على شاطئ ميناء أصيلة فاحتله، وفوجئ سباستيان بأن عدد قوات الموكول قليلة جدًا.
بين السعديين خطتهم على إطالة الفترة التي تبقاها قوات البرتغاليين في الشاطئ دون التوغل في الأراضي المغربية؛ حتى يتمكن السعديون من تجميع قواتهم ودفعها إلى المعركة، ثم بدأ السعديون في محاولة إغراء البرتغال بترك الشواطئ والتوغل في الأرض المغربية الصحاوية؛ لإرهاقها وإيادها عن مراكز مميتها على شاطئ المحيط.

نجحت خطة عبد الملك، واستطاع أن يُغرى القوات البرتغالية والإسبانية بالنزيف داخل المعركة؛ حتى سهل فضيحي سهل القصر الكبير، أو سهل وادي المخازن بالقرب من نهر لوكوس، وكان يوجد جسر وحيد على النهر للعبور إلى الوادي.

كانت خطة عبد الملك القتالية أن يجعل القوات البرتغالية تعبر الجسر إلى الوادي، ثم تقوم القوات المغربية بنسف هذا الجسر؛ لقطع طريق العودة على البرتغاليين؛ ومن ثم يكون النهر في ظهرهم أثناء القتال؛ بحيث لم يعد الجنود البرتغاليون غيره ليهربوا إليه عند اشتداد القتال؛ وهو ما يعني أنهم سيغرقون به نظرًا لما يحملونه من حديد ودروع.

وتواجه الجيشان بالمدفعتين، وبعدها الرماة المشاة، وعلى المجندتين الفرسان، ولدى الجيش المسلم قوى شعبية متطورة إضافة إلى كوكبة احتياطية من الفرسان تستنقض في الوقت المناسب.

المرحلة

وفي صباح الاثنين (20 جمادي الآخرة 1208/4 أغسطس 1568 م) وقف السلطان عبد الملك يُعرَض الجيش على القتال، ولم يآل القسيسون والرحبان جهداً في إثارة حمس الجنود الصليبيين مذكرين أن البابا أحل من الأوزار والحياة أرواح مُنْ يَلْقَوُنَ حتفهم في هذه الحروب.

وانطلقت عشرات الطلقات النارية من الطرفين؛ إذًا بدأ نبض المعركة، ويرغم تدهور صحة السلطان عبد الملك –الذي رافقه المرض وهو في طريقه من مراكش إلى القصر الكبير- إلا أنه خرج بنفسه ليرد الهجوم الأول، ولكن المرض غالب عليه فاعداً إلى محقه، وما هي إلا لحظات حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، ومات وهو واضح سببته على فمه مشيرًا أن يكتموا الأمر حتى يتم النصر، ولا يضطربوا، وكذلك كان فلم يُطلَع على وفاته إلا حاجب وأخوه أحمد المنصور، وصار حاجب يقول للجنود: "السلطان يأمر فلنا أن نذهب إلى موضع كذا، وفلانا..."
أن يلزم الرأية، وفلانًا يتقدم، وفلانًا يتأخر، وفي رواية: إن المتوكل دم السم لعمه عبد الملك قبل اللقاء ليموت في المعركة فقعت الفتنة في مسرك المغاربة.
ومال أحمد المنصور بمقدمة الجيش على مؤخرة البرتغالين، وأوقدت النار في بارود البرتغالين، وانتجهت موجة مهاجمة ضد رماعهم. — أيضًا — فلم يفق البرتغاليون لقوة الصدم، فحاولوا الهروب من ميدان المعركة والعودة إلى الساطع، لكنهم وجدوا أن جسر وادي المخازن قد سُفِّه، فألقى الجنود ومعهم سيباتيان بأنفسهم في الماء، فمات هو وكثرٌ من جنوده غرقًا، أما الباكون فقد فتحوا في ميدان المعركة وأرواها، أما البيبة التي نجت وركبت البحر فقد استطاع حاكم الجزائر حسن باشا وقائده الريس سنان أن يعترض سفنهم، وأن يأسر غالبيتهم؛ حيث أسر 500 شخص.

وحاول الموكلي الخان الفرار شياً، فوقع غريقًا في نهر وادي المخازن، ووجد جثته طافية على الماء، فسلب وملح بناؤه، وطعن به في أرجاء المغرب حتى تمزق وتمسخ.

دامت المعركة أربع ساعات وثلاثة ساعات، ولم يكن النصر فيها مصادفة، بل لمعنويات عالية، وتفوق شعرت بالمسؤولية، ولحظة متروكة محكمة.

نتيجة المعركة

وتأتي نتيجة المعركة من نصر خالد في تاريخ الإسلام، وعن موت ثلاثة ملوك: صليبي جندل وهو سيباتيان ملك أعظم إمبراطورية على الأرض آنذاك، وخان غزير مسلم، وهو محمد الموكلي، وشهد بطل وهو عبد الملك الثعلب بعده فاضت روحه، وسيلفه التاريخ ينخر بإخلاصه وحكيمته وشجاعت وفروسته. وفقدت البرتغال في هذه الساعات ملكها وجيشها ورجال دولتها، ولم يبق من العائلة المالكة إلا شخص واحد، فاستغل فيليب الثاني ملك إسبانيا الفرصة وضم البرتغال إلى تاجه سنة (1488هـ / 1501م)، وورث أحمد المنصور العرش السعدي في فاس، وأرسل سفارة إلى السلطان العثماني يعرض عليه فيها انتزاع دولته لدولة الخلافة العثمانية.

أسباب النصر

1- آلام المسلمين من سقوط غرناطة، وضم الأندلس، وحاكم التفتيش جرح لم تندم بعد، وهي مائلة أمامهم.
2- الخطة المحكمة المرسومة بدقة، واستدراج الخصم ليدان تحول في الخيول وتصول،
مع قطع طرق تمويه وإمداده، ثم نسف القنطرة الوحيدة على نهر وادي المخازن.

3- المشاركة الفعالة للقوى الشعبية بقيادة العليا والشيوخ، الملثمة بالإيابان وحب الشهادة وبالروح عالية لتحقيق النصر; حتى قاتل البعض بالباتال والعصي.

4- تفوق المدفعية المغربية على مدفعية الجيش البرتغالي مع مهارة في التصويب والدقة.

5- كانت خيل المسلمين أكثر من خيل النصارى، ويُلائمها السهل الذي انتقاه السلطان للمعركة.

6- كان سيبستيان في جانب ومستشاروه وكبار رجالاته في جانب آخر.

***
معركة فيينا

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1094 هـ/1683م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>فيينا</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انصار النحاحل الصليبي</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الخلافة العثمانية (مسلمون)</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المتمردون</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>المقاتلون</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>القادة</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>القوى والقادة</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>الخسائر</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>120 ألف مقاتل</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>حوالي 15 ألف شهيد</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ما يقرب من 40 ألف قتيل</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>70 ألف مقاتل</td>
</tr>
</tbody>
</table>

معركة فيينا وقعت في (20 رمضان 1094 هـ/12 سبتمبر 1683 م)، وبعد محاصرة الإمبراطورية العثمانية فيينا لمدة شهرين، كسرت المعركة أسلوبية الإمبراطورية العثمانية في أوربا، حيث انتصرت القوات البولندية والألمانية والروسية بقيادة ملك بولندا يوجين الثالث سويسيتي على الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم (الوزير) قرة مصطفى قائد القوات العثمانية.

العثمانيون وفيينا

احتلال فيينا كان حاليًا طالما راد السلاطين العثمانيون؛ لما تمثله من أهمية إستراتيجية للسيطرة على خطوط التجارة والمواصلات في القلب الأوروبي؛ فقد كان العثمانيون في كل مرة يكتفون بالعودة من أسرار فيينا غائبين الأموال، وربما أجزاء جديدة من أوروبا الشرقية أو الوسطى بموجب اتفاقيات مع الإمبراطورية النمساوية.

فقد كان الحصار الأول في زمان سليمان القانوني قبلها بقرن ونصف، وذلك بعد أن توغل في أوربا بعدما انتصر على المجربين في معركة موهاكس الرهيبة، ودخلت جيوش القانوني عاصمة المجر بودابست في (3 ذي الحجة 932 هـ/10 سبتمبر 1526 م)، لتجعل من
أيام لا تنسى: صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي

(جرسانت) ولاية عثمانية أخرى وتكرس السيطرة المطلقة للعثمانيين في وسط وشرق أوروبا، وقد استطاع العثمانيون احتلال بودابست بجزئيها الشرقي والغربي عام 1541م.

وفي عام (1863م) حاصر الأتراك فيينا للمرة الثانية، ولكن استطاع جراح شتارهمبرج في معركة عند جبل الكالخنجير رد الأتراك، وبعد ذلك استردّوا بودابست من الدولة العثمانية عام (1867م) بعد حوالي 145 عامًا من السيطرة العثمانية على بودابست.

قبل المعركة

كانت ألمانيا تنافس العثمانيين في مناطق المجر وسلوفاكيا، وكانت فكرة توجيه ضربة قوية لألمانيا تكثف بروحًا من التدخل في شؤون المجر تسيفر على الصدر الأعظم العثماني، فاستطاع قرة مصطفى باشا إقناع السلطان العثماني محمد الرابع والديوان الهياحيون (مجلس الوزراء) بإعلان الحرب على ألمانيا، فتحرك الصدر الأعظم أحمد باشا كوربلياني من أدرنة، ووصل إلى المجر على رأس جيش كبير، يبلغ نحو مائة وعشرين ألف جندي، وفرز الرماة والذخائر الملحومة على مليين ألف جبل وعشرة آلاف بغل، ودخل سلوفاكيا ضاربًا في الاستحکامات العسكرية التي كانت في طريقها، متجهًا إلى قلعة نوهل، وهي تقع شمال غرب بودابست، على الشرق من فيينا بنحو 110 كم، ومن بريانسلافا بنحو 80 كم، وقد حصنها الألمان، وجعلوها قاعدة الاستحکامات؛ لكي تصبح أقوى قلاع أوروبا، وبدأ الجيش العثماني في حصارها في (13 حرم 1074هـ / 17 أغسطس 1663م).

واصل حصار العثمانيين لقلعة 27 يومًا؛ مما اضطر قائد حامية القلعة إلى طلب الاستسلام، ووافق الصدر الأعظم على ذلك؛ بشرط جلاء الجماهير عن القلعة بغير سلاح ولا ذخائر، وقد أحدثت هذه الحملة دويًا هائلًا في أوروبا، وأدخلت الرعب والقع في قلوب ملوكها عامة، وبعد استسلام هذه القلعة العظيمة استسلمت حوالي 30 قلعة نمساوية للجيش العثماني.

وتزداد هذا الفتح العظيم أن تقدّم أحمد كوربلياني بجيوش فاتحًا أقليميًا مورافيا (في نسخه فوشاكيا) وسلوبزيا في وسط أوروبا.

مجلس الحرب

جمع الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا مجلس الحرب في جيشه، وأضاف أن سيستولي على فيينا، وأن سيستولي شروطه على ألمانيا في هذه المدينة؛ لأن الاستيلاء على «بائن قلعة» المدينة التي
يُعتبر مفتاح فيينا، وتقع على بعد 80كم شرقي فيينا على الضفة الغربية لنهر راب، لا يمكن أن يُقطع Áلمايا ويسلبه تكتيك يذاك عند شنون المجر.

أتار قرار قرارة مصطفى باشا حيرة الوزراء وجعلهم، واعترض عليه الوزير إبراهيم باشا، الذي أصر أن رغبة السلطان محمد الرابع هي الاستيلاء على «رانج قلعة»، ومناوشة أوروبا الوسطى بواسطة كتائب الصاعقة العثمانية، وأن الحملة على فيينا يجب أن تكون في العام المقبل، فأخبر قرارة مصطفى باشا بأنه من الصعب أن يتجمع جيش مرة ثانية بمكان هذه الكثافة والقوة، وهذا الأمر يقضي إنسال ضرورية قوية قاضية بالألمان، وإلا فإن الحرب ستستطع معهم، خاصة أن ألمانيا عقدت صلحًا مع فرنسا، وأصبحت آمنة من الجانب الغربي، وأن الأميرات لهابولدا اتفق مع الملك البولندي سويسكسي على استعادة منطقة باودول، وأن البلدية لا بد أن تكون ضمن هذا الاتفاق، وبالتالي ستضم روسيا وبقية الدول الأوروبية هذا التحالف المسيحي إلى جانب ألمانيا، وهذا يقضي كسره وتحطم هذا التحالف الوليد في ذلك العام، وإلا فإن الحرب ستستطع إلى أجل غير معلوم.

 موقف أوروبا

تداعت الدول الأوروبية بأقصى سرعة لتجندة فيينا من السقوط، وأعلن بابا روما الحرب الصليبية على العثمانين، وأمر ملك بولندا سويسكسي يتطق عهده مع العثمانيين، وأمر - أيضاً- أمراء ساسونيا وبافاريا الألمان -وهم أقرب أرامل أوروبا- بالتوقيع إلى فيينا بأقصى سرعة ممكنة، فتجنّعت الجيوش الأوروبية من بولندا وألمانيا والنمسا حتى وصل تعدادها إلى 70 ألف جندي، وترك دوق لورين القيادة العامة لملك بولندا بوشنا الثالث سويسكسي، واكتمل استعداداتهم يوم الجمعة الموافق 11 سبتمبر، بعدما شعروا أن سقوط فيينا ليس أمامهم إلاً أمثال قليلة؛ لذلك أقدم الأوروبيون على عبور جسر الدونة، الذي يسيطر عليه العثمانيون بالقوة مما كلفهم من خسائر، حيث لم يكن بالإمكان إرسال الإمدادات إلى فيينا دون عبرة هذا الجسر.

الخانية

كان قرة مصطفى قد وضع قوة عثمانية كبيرة يقودها أمير القرم مراد كراي حاكم القرم عند جسر الدونة، وهو الطريق الوحيد المؤدي إلى فيينا من ناحية الغرب؛ لمنع تقدم...
الأوربيين، وأمر مراد كراي بنسف الجسر إذا اقتضى الضرورة.

وهنا حدث ما لم يكن في حساب أحد لا من العثمانيين ولا من الأوروبيين، إذ قام مراد كراي بخيانة عظمى للإسلام والمسلمين؛ وذلك بأنه سمح للأوربيين بالعبور من الجسر دون قتال، وذلك بسبب كراهيته وعدوانه لقرة مصطفى؛ فقد كان مصطفى يكره مراد كراي، ويعامله معاملة شديدة، أما مراد فكان يعتقد أن فشل مصطفى باشا في فيينا سيسترمه من السلطة ومن منصب القيادة، ولم يخطر ببال هذا القائد الحائط أن خسارة العثمانيين أمام فيينا ستُغيِّر مجرى التاريخ العالمي؛ لذلك قرر مراد أن يظل متفرجاً على عبور القوات الأوربية لبحر الدونل، ليجففوا الحصار المفروض على فيينا، دون أن يُحَرَّك ساكناً، يضاف إلى ذلك أن هناك وزراء ويوسوع في الجيش العثماني كانوا لا يرغبون في أن يكون قرة مصطفى باشا هو فاتح فيينا، التي فشل أمامها السلطان سليمان القانوني.

الحركة الفاصلة

في يوم السبت (20 رمضان 1094 هـ) 16 سبتمبر 1873 م، تقابل الجيشان أمام أسوار فيينا، وكان الأوروبيون فرحين لعبورهم جسر الدونل دون أن يُسكِّب منهم قطرة د م واحدة، وكان الجيش العثماني في حالة من الذهول لرؤيتهم الأوروبيين أمامهم بعد عبور جسر الدونل، إلا أن مصطفى باشا شن هجوماً مضاداً بمعظم قواته، وأجزاء من النخبة الإنجازية لغزو المدينة، وكان القادة الفرنجيون احتلال فيينا قبل وصول بوها الثالث سوسيسكي، ولكن الوقت نفد، ففي الوقت الذي أعد المهندسون العسكريون تفجيرًا كبيرًا ونانياً لتوقيع إمكانية الوصول إلى المدينة، وبينما أن الأورقة على عجل عمهم، فقاموا بوضع التفجيرات في نفق، وتم إغلاقه لجعل الانفجار أكثر فعالية، اكتشف النمساويين موضعه في فترة ما بعد الظهر.

فدخل أحدهم التفجيرا، وأبطل مفعول التفجير في الوقت المناسب تمامًا.

وحدثت خيانة عظمى أخرى من جانب أوغلو إبراهيم قائد ميمنة الجيش العثماني؛ إذ انسحب من القتال، وكان هذا الانسحاب الأكبر في هزيمة العثمانيين، وقد استطاع قرة مصطفى أن ينسحب بصورة منظمة من أراض المعركة، وفي طريق الخروج قام قرة مصطفى بإعدام كل من مراد كراي وأوغلو إبراهيم، ولكن لم يُشفَ ذلك له عند السلطان محمد الرابع الذي أمر بقتله.
أيام لا تنسي في العهد العثماني

قتل من العثمانيين حوالي 15 ألف رجل في القتال، وقتل من الأوروبيين ما يقرب من 4 آلاف قتيل، وأخذ الجيش العثماني معه أثناء الانسحاب 81 ألف أسير، وانتهى الخسار الذي استمر 59 يومًا.

نتائج المعركة

كانت هزيمة العثمانيين عند أسوار فيينا نقطة تحول فاصلة في التاريخ العثماني والأوروبي، فقد فقدت الدولة العثمانية هزيمتها أمام فيينا ديناميكية الهجوم والتوفيق في أوروبا، وكانت الهزيمة نقطة توقف في تاريخ الدولة العثمانية، وعمرت بعد ذلك جيش التحالف المسيحي لاحتلال بعض الأجزاء من الأماكن العثمانية في أوروبا على مر القرون اللاحقة.

***
حملة فريرز ومعركة رشيد

خطة الحملة

كان قد مضى عامان على تولي محمد علي حكم مصر، وكان الإنجليز قد انتهزوا الصراع بين الوالي محمد علي والماليك وضعف الجبهة الداخلية، فاتفقوا مع محمد بك الألفي زعيم الماليك على أن يُؤدي الحملة البريطانية في مقابل أن تغلب إنجلترا للماليك الاستلاب على مقاليد الحكم في البلاد، لكن الأنفيس مات قبل وصول هذه الحملة إلى مصر، وكانت الخطأ أن يرتفع الماليك إلى القاهرة ليحتلها، والإنجليز يؤجرون بأسلحتهم موافي مصر، والبداية كانت ثغر رشيد، وبعد ذلك يحرفون إلى الدلتا ويتخلون القاهرة؛ لسقاط حكم محمد علي، على أن يتعاون الماليك عاملهم في مصر ولا سيما جبهة الألفي بك.

وجئت إنجلترا بقيادة الجنرال فريرز أسفلها، الذي احتوي على 65 سفينة تحمل ما يزيد على 7 آلاف مقاتل إلى الإسكندرية، حيث نزلت هذه القوة غرب الإسكندرية يوم 7 محرم 1271هـ (17 مارس 1858م)، واستولت على الإسكندرية يوم 21 مارس، بسبب خيانة حاكمها التركي آنذاك «أمين أغا»، واستسلم حاميتها.

تلقى الجنرال فريرز تقريراً من قصف إنجلترا في رشيد عن حالة مصر وما بها من قوات، مما جعله يرتفع برآ إلى رشيد لاحتلالها، واتخاذها قاعدة حربية لقواته، وكلف القائد ويكوب بهذه المهمة العسكرية.

التحرك إلى رشيد

في 19 مارس 1858م) تحركت حملة فريرز الإنجليزية بحملة قوامها 1600 جندي من الإسكندرية سيرا على الأقدام إلى مدينة رشيد بين كفاح الرمال على شاطئ البحر المتوسط وفي ظلال النخيل والقوارب حتى وصلت مدينة رشيد، وكان محافظ إقليم رشيد علي بك السلاجكي وقواته 700 جندي، فلزم على مقاومة عساكر الإنجليز، واستمر الشيخ حسن كريت الأهالي للمقاومة الشعبية، فأمر بإبعاد المراكب المصرية من أمام شاطئ النيل، برشيد إلى
اليرق الشرقي المقابل عند الجزيرة الخضراء وبرج مغزل بمركز مطرابس، وكان الهدف منع الأهالي من ركوبه والفرار من المدينة، حتى لا يجد رجال حامية وسيلة للارتداد أو الاستسلام، أو الانسحاب كما فعلت حامية الإسكندرية من قبل، وأصبحت الحامية بين الأهالي متوازية بالمنازل داخل مدينة رشيد، والبحر من ورائهم والعدو أمامهم، ولا مناص إلا القتل والمقاومة، وأمرهم بعدم التحرك أو إطلاق النار إلا بعد صدور إشارة متفق عليها.

معركة رشيد

دخل الإنجليز رشيد ولم يجدوا أي مقاومة، فاعتقدوا أن المدينة ستستسلم كما فعلت حامية الإسكندرية، فدخلوا شوارع المدينة مطمئنين، وأخذوا يستريحون بعد السير في الرمال من الإسكندرية إلى رشيد، وانتشروا في شوارع المدينة والأسواق للعنصر على أماكن يلجؤون إليها ويسريرون فيها، وما كادوا يستريحون حتى انطلق نداء الآذان بأمر السلاطين من فوق مئذنة سيدي زغلول مرددًا: "الله أكبر، حي على الجهاد" فانهالت النيران من الأهالي وأفراد حامية رشيد من نوافذ المنازل وأسطحها، فقتل الكثير من جنود ضباط الحملة، وهرب من بقي حيًا، وبلغ عدد قتل الإنجليز 170 قتيلاً، و250 جريحًا، و120 أسيراً لدى حامية رشيد، بعد ذلك هاجمت حملة فريرز مدينة الخردة، ولكن نفيت هزيمة كبيرة على يد المتطوعين من رشيد والحيدر والبحيرة والقاهرة.

الانسحاب من مصر

أرسل فريرز إلى الماليك يطلب منهم المساعدة، ولكنهم لم يستطيعوا مساعدته بعد أن
ترفقت كلمتهم، ومات زعيمهم محمد الألغي، فرأى فريزر أنه من البعث مواصلة القتال، فتضمن بالإسكندرية، وأرسل إلى محمد علي يطلب الصلح في مقابل أن يجزو عن الإسكندرية، في تلك الأثناء كان محمد علي يستعد للزحف على الإسكندرية، وسار محمد علي بجيشه من معسكره في إمضاء متوجهًا إلى الرحمانية، ومنها إلى دمياط في 16 أغسطس 1807 م، وهناك التقى بالجنرال شريروك، الذي فوضه فريزر لإبرام الصلح بين الطرفين المصري والبريطاني، وبعد مفاوضات قصيرة عند الطرفان معاهدة دمياط في 14 سبتمبر 1807 م، التي بمقتضاها أجلت القوات البريطانية عن الإسكندرية مقابل استرداد أسراهم وجرحاهم، وتمت رحيلهم في 16 رجب 1222 هـ/19 سبتمبر 1807 م، حيث أغلقت السفن البريطانية بما تبقى من جنود الحملة إلى صقلية، وضمَّت الإسكندرية إلى محمد علي بقراً سلطانياً بعد أن كانت تتبع مباشرة السلطان العثماني، وكان حاكمها يتعين من قبله.
معركة نافارين

<table>
<thead>
<tr>
<th>التاريخ</th>
<th>1243 هـ / 1827 م</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المكان</td>
<td>خليج نافارين - اليونان</td>
</tr>
<tr>
<td>النتيجة</td>
<td>انتصار بريطانيا وفرنسا وروسيا</td>
</tr>
</tbody>
</table>

المتحاربون: الدولة العثمانية ومصر وتنس، الجزائر (مسلمون)

<table>
<thead>
<tr>
<th>القادة</th>
<th>إبراهيم باشا</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>القوى والحشد</td>
<td>300 بارجة، 17 فرقة، 28 بحرية، 5 سفن، 5 سفن، زورق خفيف أو 6 حراقت</td>
</tr>
<tr>
<td>الخسائر</td>
<td>4109 م، 480 جريحين، 661 قتيل</td>
</tr>
</tbody>
</table>

كانت معركة نافارين (29 ربيع الأول 1243 هـ / 20 أكتوبر 1827 م) من أعظم المعارك البحرية بين الأساطيل العثمانية والجزائرية والصربية - التي كانت تُشكّل الدرع الواقي للآيتة الإسلامية - وبين الأساطيل البريطانية والفرنسية والروسية من جهة أخرى، وقعت في خليج نافارين جنوب غرب اليونان، انتهت العثمانية هزيمة كبيرة، وقد كانت بداية التغيير البحري للإمبراطورية العثمانية، وسقوط الجزائر سنة (1830 م) تحت الاستعمار الفرنسي، ونقطة فاصلة نحو استقلال اليونان من الحكم العثماني.

الثورة اليونانية

كانت اليونان جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وبدأت بذور الثورة اليونانية بالظهور من خلال نشاطات أخوية الصداقة؛ وهي منظمة وطنية سريَّة تأسست عام (1814 م) في أوديسا الواقعة اليوم في أوكرانيا، وفي تلك الفترة كانت رغبة الاستقلال متشفية بين اليونانيين بجميع طبقاتهم وفئاتهم، بعد أن تمّ شحن مشاعرهم الوطنية لفترة طويلة من الزمن؛ بفضل جهود
الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، التي كانت تعمل على تعزيز روح القومية اليونانية في نفسها أثناءها، وقد كانت الكنيسة حينها الخصم الأخير للغة اليونانية، والمسؤول الإداري عن اليونانين أمام السلطان العثماني.

ومن العوامل التي ساعدت —أيضًا— على اندلاع الثورة، التدوير الاقتصادي في اليونان، والتأثير بالأفكار الثورية الغربية، التي أُلمت في نفوس اليونانين الغيرة على قوميتهم ووطنهم. بدأت حدة المعارك تصاعد شيئاً فشيئاً، مشتبكة بمجازر من قبل الطرفين، ففي جزيرة شيوس قتل العثمانيون 25 ألف يوناني، بينما قتل اليونان 15 ألفاً من الأربعين ألف تركي المقيمين في شبه جزيرة بيلوبونيس، وسرعان ما تدخل إبراهيم باشا —أيضًا— لإخماد الثورة.

رأت روسيا في الثورة اليونانية فرصة لتمزيق الدولة العثمانية، التي تناصبها العداء، ورأى ألكسندر الأول قصر روسيا أن مساندة اليونانين ستخدم المصالح الروسية؛ حيث سُلّت الروس حمآه للمذهب الأرثوذكسي في العالم، وهو ما سبق ود زعماء بعض من العناصر الأرثوذكسية داخل الدولة العثمانية، مما سبب سوءاً من وجهة روسيا في أحلام حرب مقبلة، خاصة أن الناطقين باللغة اليونانية ضمن الدولة العثمانية كانوا يتمركزون في المرة وكرت وفبر، وكان هؤلاء يُشجعون ما يقرب من نصف سكان تلك المناطق، أي أنهم يتفوقون على العنصر التركي الموجود بين ظهرانيهم؛ مما يجعل أي ثورة ذات قوة وعنفان ودورية في الوقت ذاته.

تحرك الأسطول المصري والمملكة

قام محمد علي بدوره في القضاء على الدعوة السلفية في الجزيرة، وحان الوقت لإضعافه وتقليل أطوارها؛ ولذلك دفعت الدول الأوربية السلطان محمد الثاني بالاستعانة بحبيبه لإخضاع فتنة التمرد في اليونان، وشجعت الدول الأوربية محمد علي على قبولهم المهمة، وأوصاه بأنه سيكون أكبر زعيم في المنطقة، ويمكن أن يُؤدي به الأمر ليكون خليفة المسلمين بعد أن يُعصف سلطان الخلافة، ووافق محمد علي باشا على عرض السلطان محمد الثاني بشرط أن يحصل على ولاية كل من كريت واليونان. وبمجرد تلبية خبر القبول هذا الشرط أمر إبراهيم باشا بدعوة إبراهيم باشا ومستشاره سليمان باشا الفرنسي، بحراً من الإسكندرية عام (1329 هـ/ 1813 م)، باتجاه
كريت وشبه جزيرة موريزيا مركزاً للمتمرد الصليبي، وفتح نافارين عام (1240/1824م)، ودخل أثينا عام (1241/1823م) رغم معاوِتة القائد الإنجليزي البحري اللورد كوشمان الصليبيين اليونان؛ وبعد أن أجهزت القوة الإسلامية للتمرد اليوناني الصليبي أبانت الصليبية الأوروبية عن وجهها الكالح، فأعلنت بسط حمايتها على بلاد اليونان بل إن روسيا كانت تدعم التمرد اليوناني عسكريًا، ورأيت أن القوة سانحة لدخول إستانبول وإعادتها إلى عهدها السابق مركزًا للصليبية الأورو-ذكسية، ووقف الإنجليز إلى جانب روسيا.

انتقلت روسيا وفرنسا وإنجلترا على إجبار الدولة العثمانية إعطاء اليونان استقلالها، بمعنى فصلها عن جسد الدولة الأم (الدولة العثمانية) ففرض السلطان العثماني، فأمرت الدول الأوروبية أسباطها بالتوجه إلى سواحل اليونان، وطلبت من إبراهيم باشا التوقف عن القتال، فكان جوابه طبيعيًا بأنه يتفنّى الأوامر من خليفة المسلمين أو من أبيه لا من غيرهما، ومع ذلك توقف القتال عشرين يومًا؛ حينها تصل إليه التعاملات.

ودخلت الجيوش الأوروبية المتحالفة إلى مرفاً نافارين في (29 ببرام الأول 1243/20 أكتوبر 1827م) دون أن يُرفع أعلام الحرب؛ لذا فقد كان دخولها دخول خدعة، وقامت هذه الأسباط بمباغته الأسطول العثماني المصري الجائر المشترك، وغدرت به، وأطلقت عليه النيران فهزمته هزيمة نكراء، وأغرقت السفن، وهي مفاجأة لم يكن يتوقعها القادة، وبالتالي لم يعمل لها أي حساب.

نتائج المعركة

تُعدّ معركة نافارين واحدة من المعارك البحرية التي غيّرت مجرى التاريخ، وغيّرت مواقع الكثير من القوى المعروفة آنذاك، وكانت خلاصتها هو الانهزام الذي وقع لأكبر الأسطول البحرية، وهو تحطم الأسطول العثماني، وأصبحت القوات العثمانية في موضع الضعف والانهزام، بعد أن كانت في موقع القوة والنصر، واستقبلت الشعوب الأوروبية هذه الحادثة بدمار الفرح والسرور، وهكذا تحقّق خطط الأعداء؛ فأضعنوا قوات محمد علي، وفصلوا جزءًا من ديار الإسلام عن الدولة العثمانية؛ لقد قامت فرنسا وإنجلترا بعمل مزدوج؛ حيث شجعوُا السلطان على إرسال جيش للقضاء على التمرد في بلاد اليونان، ثم قضوا على ذلك الجيش.
ولما رأى محمد علي باشا ولي مصر ما حلّ بأسطوله، أمر ولده بالانسحاب وقامت القوات الفرنسية بأخذ أماكن حشد محمد علي المسرب، وقامت فرنسا وإنجلترا بعقد مؤتمر قرّروا فيه فصل بلاد اليونان عن الدولة العثمانية، على أن يحكمها حاكم نصرايّ تختاره الدول الثلاثة.

أما الجزائر التي وجهت غالبية قطعها الحربية لمساندة الأسطول العثماني ضد القوى البريطانية الفرنسية والروسية، فقد كانت كل الهجمات ترتكز على الأسطول الجزائري، الذي فقد معظم قطعه، وتربّت على ذلك ضعف عسكري جزائري في البحر فاتها الباب أمام الهجوم المعادي، وهو ما شجّع شارل العاشر ملك فرنسا على فرض حصار بحري، أنهى باحتلال الجزائر في (1830 م)؛ أي بعد ثلاث سنوات بعد معركة نافارين.

***
الخاتمة

الحمد لله الذي هدى ووفق وأعان ويسر.

وبعد...

إن تاريخ المعارك العربية الإسلامية يُعتبر من المفاخر الأولى والأخيرة للعرب والمسلمين؛ لأنها أثبتت عمليًا بأن هذه الأمة قادرة على الفتح، وعلى استعادة الفتوح بالنصر على الأمم الأخرى، وأن مكانها ليس الذل والهوان، بل المجد والعز إن أعدى قواتها بالإيمان والسلاح والاتحاد.

ولا أزال أؤمن بأن ثمة دور كبيرًا يتنتظر الأمة المسلمة، ولا أزال أؤمن بأن حركة التاريخ التي هي من سنن الله سوف توقف هذه الأمة أمام قدرها المحتوم؛ لتؤدي واجبها نحو البشرية النائمة. والدليل ما روي عن أبي هريرة يا رسول الله قال: «لا تقوم الساعة حتى يقتلون المسلمون اليهود، فقتلوهم المسلمون، حتى يقتلون اليهود، حتى يقتلون اليهود، حتى يقتلون اليهودين، حتى يقتلون اليهودين حتى يقتلون اليهودين!».

قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله يقول: «لا تزال طائفة من أثري يقتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة!».

ولسوف تبقى هذه الأمة، ولسوف تُؤدي دورها، ولسوف تكون هناك معارك حاسمة أخرى في انطلاق المسلمين. هكذا يقول لنا معلمنا العظيم «تاريخنا» ذو الأربعينات وألف سنة أطلال الله عماره!!

ولقد كونا كثيراً، ثم قمنا...

ولقد حاربنا العالم كله ذات يوم.. ونجونا.. وانتصرنا.. فقط ثمة شرط واحد: أن نعرف...

---
(1) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود (2768)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل يقبل الرجل (2922)، والتفاوت، أحمد (9387).
(2) مسلم: كتاب الإبان، باب نروز عيسى بن مريم حاكي بشريعة نبينا (151).
لا أدى كان. من أي نبأ، وإلى آية غاية نردي!! ودائمّ يُعلّمنا تاريخنا أن آخر أغيّتين لا يصلح إلا به أوهاً.

أرجو أن تكون قد أبرزت في كتابي هذا كل هذه الدروس؟ كي تتفع كل عرب ومسلم، حتى تكون هم فائدة تُعينهم على معرفة الطريق الصحيح، لبدء استعادة المجد الغائب والأراضي المحتلة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

إن أهمية كتابة المعارك العربية الإسلامية لا تقتصر على معارك الفتح ومعارك استعادة الفتح باعتبارها صفحات مضيئة في تاريخ العرب والمسلمين المجيد، بل تشمل المعارك الدفاعية الناجحة والمعارك الدفاعية الخاسرة؟ كي نعرف عرقي ومسلمين لما إذا انتصرونا وإذا انحرنا، وكيف يمكن أن نتصر أو كيف يمكن أن نتحاشى الانحرار؟ إن الدروس المستفيدة من المعارك كافّة، والعبير التي تعلمها من دراسة تلك المعارك كافّة، بها أعظم الفاتحة لحاضر العرب والمسلمين، مستقبلهم.

وحتى تكتمل لنا الصورة عن معارك المسلمين وفتوحاتهم كان لا بدٍ من أن أبرز أهم القادة العسكريين المسلمين الذين تＦّموا الأئمة الإسلامية أروع أمثلة التضحية والتفاوض، والدفاع عن أمّة الإسلام، الذين جاهدوا في سبيل الله حتى ينشروا دين الإسلام في كل مكان، وهذا ما سوف ستيعره استفادة في كتابي القادم إن شاء الله.

وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن ينقيث من هذا الجهد قبولاً حسناً، وأن يبارك فيه، وأن يجعله من أعيالي الصالحة التي نتقب بها إنه كي أكون رفيق النبي ﷺ والصحابة والشهداء في الفردوس الأعلى إن شاء الله.

***
المصادر والمراجع

1- دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، للدكتور عبد الحليم عويس.
2- عيون الأثر في المغازى والسير، لأب سيد الناس.
3- الدمر في اختصار المغازى والسير، للمحافظ أبي يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد العبد النمري.
4- السيرة النبوية، لأب هشام.
5- البديعة والنهاية، لأب كثير.
6- الكامل في التاريخ، لأب الآثر.
7- سلسلة غزوات النبي المصطفى، لأمير بن محمد المدرزي.
8- فتح الينك، لأب عبد الله بن عمر الوافدي.
9- الأندلس من الفتح إلى السقوط، للدعاية الدكتور راغب السراجي.
10- قصة الحروب الصليبية، للدكتور راغب السراجي.
11- الحروب الصليبية كراها العرب، لأيمن معلوف.
12- قصة التتار من البديعة إلى عين جالوت، للدكتور راغب السراجي.
13- كيف دخل النصارى بلاد المسلمين؟ لسيلاز بن حمود الوعر.
14- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، لعلي محمد الصالبي.
15- موسوعة الفتوحات الإسلامية، لمحمد شاكر.
16- الفتح الإسلامي عبر العصور، لعبد العزيز إبراهيم العمري.
17- أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤسس.
18- أطلس التاريخ العربي الإسلامي، للدكتور شوقي أبو خليل.
19- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.
20- موقع قصة الإسلام الإلكتروني.
21- موقع إسلام أون لاين.
22- قسم البحوث والدراسات، الجزيرة نت.
الفهرس

تقييم

مقدمة

الفصل الأول: معارك فاصلة في العهد النبوي الشريف

- معركة بدر
- معركة أحد
- معركة الحدنق
- فتح مكة
- معركة حنين
- معركة مؤتة

الفصل الثاني: معارك فاصلة في عهد الخلفاء الراشدين

- معركة ذات السلاسل
- معركة الولجة
- معركة عين النمر
- معركة دومة الجندل
- معركة أغاديين
- معركة الجسر
- معركة البويج
- معركة القادسية
الفصل الثالث: معارك فاصلة في العهد الأموي

الفصل الرابع: معارك فاصلة في العهد العباسي

الفصل الخامس: معارك فاصلة في العهد الأندلسي

الفصل السادس: معارك فاصلة في العهد الأموي

الفصل السابع: معارك فاصلة في العهد المماليكي
الفصل الثامن: معارك فاصلة في العهد العثماني

197. معركة قوصوة

199. معركة تيكيتوس

203. معركة فيانا

207. معركة قسطنطينية

211. معركة موهافكس

219. معركة ليبانو

222. معركة وادي المخازن

229. معركة فيينا

237. حملة فريزر ومعركة رشيد

242. معركة نافارين

249. الخاتمة

251. المصادر

253. الفهرس

***
اشتر إصدارات المؤلف
عبر شركة أقلام

اتصل بتصلك المنتج أينما كنت
القاهرة ت: 2249502. محول: 1111111110001

أو عبر موقعنا الإلكتروني

www.aqlamonlin.net

أقلام

www.aqlamonline.net

329 ش بورسعيد، السيدة زينب القاهرة
إهؤلاء
زاى هزار وثمان

إلى الذين يجدعون بأموالهم وأنفسهم مكي تقف هذه الأمة بمكانها الصحيح فلكي لؤدي إهؤلاء الصحيح.
إلى الذين يجدعون بأموالهم وأنفسهم مكي يحرروا أراضي المسلمين المحتلة.
إلى الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم ل سبيل رفع راية الإسلام في مكان.
إلى كل من قاد الجيوش والجهاد في سبيل الله تتكون مستقبل الله في العليا.
إلى كل من قاد الجيوش والجهاد في سبيل الله مكن يصل الإسلام إلى...
إلى كل مسلم حريص على إعتراف دين الله ورضاه.
إلى العلماء العاملين والمؤمنين ميثاق العلم المنشدون وأبناء الأمة المفروضين.
إلى صلاح الدين الذي وجد المسلمين وقاد الجيوش ودفع وسلح وحرر الأقصى من الصليبيين.
إلى كل من يريد تحرير بيت المقدس من اليهود.
إليهم وحدهم أهدي هذا الكتاب سادةً المولى مزعوج بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.